

دار الكتب www.dar-alkotob.com

غَايَاتُ الْأَدَبِ فِي مَجْتَمَعِنَا الْمُعَاصِرِ بَيْنَ النَّظَرِ وَالتَّطْبِيقِ

الجزء الثاني

(الجانب التطبيقي)
فِي الشَّعْرِ خَاصَّةً

تأليف

دكتور محمود علي السبيعي

دكتوراه في الأدب والنقد من جامعة الشرق الأوسط، جامعة المنصورة
أستاذ اللغة العربية وآدابها المساعد
وكيل كلية التربية بكفر الشيخ - جامعة طنطا

الجواند المركزى للكتب الجامعية
والدراسية والوسائط التعليمية

طبعة ١٩٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أخي الفارسيء الكريم

سلام الله عليك ، وبعد

فلعلك بعد ان قرأت الجزء الاول من هذا الكتاب ، وعرفت ان غايه الأدب في مجتمعنا المعاصر ينبغي أن تكون هي خدمة المجتمع تلقائيا بغير توجيه أو الزام ، حتى يتوافر له جانبه الفني القائم على اساس من عاطفة الأديب الصادقة . .

لعلك أخي الفارسيء الكريم بعد ذلك تكون في شوق الى قراءة تطبيقية في الأدب الحديث ، وليكن في جنس واحد من اجناسه ، لتعرف بها واقع ذلك الأدب وحقيقتة اتجاهاته التي غلبت عليه ، وسوف تجد انها تتفق الى حد كبير مع غايه الأدب تلك ، وهي التي افضت في الحديث عنها في الجزء الاول .

وقد اخترت الشعر خاصة من بين اجناس الأدب للتطبيق عليه ، دون ايثار مني له على غيره من بقية الاجناس الأخرى لانه افضلها أو ادلها على الغرض الذي قصدت اليه ، وانما لأسباب أخرى ذكرت في مقدمة الجزء الاول ولعل أهم هذه الأسباب اني اؤثر الشعر قراءة وانشاء على غيره من شتى اجناس الأدب .

غير انني قصرت ما قدمته من الشعر في هذا الكتاب على الفترة التي حددتها للبحث ، وهي التي تقع بين قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م ووفاة قائدها جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠ م . . مع تمهيد وجيز عرضت فيه حالة الشعر قبيل قيام الثورة ، حتى يكون الجديد اللاحق موصولاً بالقديم السابق ، فكل جديد مرتبط بالقديم ومتولد عنه ارتباطاً فروع الشجرة باصلها وتولدها عنه .

وارجو ان كان قد رافك الجزء الاول من الكتاب - ان يروقك ويمتلك هذا الجزء الثاني منه .

والله ولي التوفيق .

د. محمود السمان

طنطا الجديدة في ١٩٨١/٧/٧

تمهيد

الشعر في مرحلة التمهيد لثورة ١٩٥٢ م

منذ جثم كابوس الاحتلال البريطاني على صدر البلاد في نهاية القرن الماضي اضطرت الحياة فيها اضطرابا شديدا ، وتلمست الجماهير سبيل الخلاص من الكابوس الثقيل ، وكافح الشعب كفاحا مريرا بالكلمة وبالسلح، وسقط الكثيرون من أبناء الشعب شهداء في معركة الحق والواجب ، ولكن القيادات المتوالية والحكومات المتعاقبة لم تكن واعية بمتطلبات المعركة أو لم تكن في بعض الأحيان مخلصه صادقة في احراز الانتصار وتحقيق آمال البلاد في الحرية والاستقلال، فخابت مساعي البلاد مرة تلو مرة ، ولكن ما زال الشعب يناضل ويناضل دون أن يصبه في نضاله كليل أو ملل حتى تحققت له أمنيته ، وقامت ثورته التي حررتة من كل ما أثقل كاهله أكثر من سبعين عاما .

ولقد كان الشعر في هذه المرحلة - كما هو دائما - مرآة صادقة تنعكس عليها صورة للحياة بكل ما فيها من هدوء أو اضطراب ، من ثورة أو مهادة ، من معاداة أو موالاتة ، من تصد سافر أو متخف للمسئوليات أو هروب منها .

كان الشعر في هذه المرحلة متعدد الاتجاهات متباين الألوان لأن الحياة السياسية والظروف الاجتماعية لم تكن مستقرة بل كانت أبعد ما تكون عن الاستقرار مما طبع نفوس الشعراء بذلك الطابع المضطرب وجعلهم لا يصدرن عن عقيدة ثابتة ولا يلتزمون بآراء محددة ولا يقفون مواقف موحدة ، فهم حينما يشورون وحينما يهادنون ، تارة يعادون وأخرى يوالون ، طورا يتصدرون لحمل المسئوليات وبذل التضحيات وطورا يهربون .

ولهذا كانت رسالة الشعر وغايته في أذهان النقاد وأقلام الشعراء مضطربة فالشعر حينما عندهم ذو رسالة أو غاية اجتماعية وهو حينما آخر مقصور على رسالته أو غايته الفنية .

ثورة الشعر على الاحتلال واعوانه :

ومن موقف الثورة ومعاداة الواقع الأليم والتصدي للمسئوليات كانت ثورة الشعر على الاحتلال واعوانه وثورته على أمراضنا الاجتماعية . ومن موقف المهادة

والموالاتة والهروب من الواقع ومن حمل مسؤولية الكفاح والنضال كانت مهادة
الشعر للمحتل وتخوفه من بطشه بل الاشادة به في بعض الأحيان ، كما كانت عزله
وانطوائه على نفسه .

فمن موقف المسؤولية السياسية شكك الشعر من المحتل الانجليزى وثار عليه
وندد بظلمه ونقضه للعهود وخداعه ومخاربهته للتعليم واللغة ، كما ندد بأعوان
الاحتلال ، وهاجم الملكية ودعا الشعب الى الوحدة ونبذ الخلاف وبذل التضحيات.
ففى الشكوى من الاحتلال والنقمة عليه يقول « شوقى » فى وداع اللورد
« كرومر » (١)

يا مالكا رق البلاد بآسسه
لما رحلت عن البلاد تشهدت
هلا اتخذت الى القلوب سيلا ؟
فكأنك الداء العياء رحيلاً !
ويقول « أحمد نسيم » (٢) :

انا منينا بأقوام جابرة
صبوا على مصر سوطاً من تمننتهم
ما بين مغتصب منهم ومحتكم
وأججوا فى حشاها جمر بغيهم
وفى اعلان الثورة على الاحتلال وانذاره بسوء العاقبة :
يقول « أحمد الكاشف » مخاطباً الانجليز (٣) :

قلدتم الرومان فى استعمارهم
مهلا لمتنحن الطريق خطاكا
هلا ذكرتم منتهى الرومان ؟
وقال فى استقبال اللورد « كشنر »
المتعمد البريطانى سنة ١٩١١ :
ان كلفوك لغاية ادراكا
متفرد لا يقبل الاشراكا
لسنا قطيعاً غاب راعيهم كما
كنا ولست الضيعم الفتاكا

ويقول « محمد عبد المطلب » سنة ١٩١١ مخاطباً مؤتمر الصلح بباريس
منذراً بالاستمرار فى الكفاح اذا لم تجب مطالب مصر :
فان تصنفوا أبناء مصر فمنة
والا رددناها عليكم كرهية
لكم أبدا نثنى عليها بما نثنى
وللدهر شأن لا يقاس على شأن

(١) عبد الرحمن الرفاعى : شعراء الوطنية ص ٤٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٣٥ .

وفي التنديد بظلم المحتل والتشهير بفضائمه يقول « أحمد محرم » :
نذكر الحكم ظلما ما رأينا فيه عدلا ولا وجدنا اعتدالا
نذكر العهد سيئا ما عرفنا فيه حرية ولا استقلالا
ويقول « محمد عبد المطلب » حين اشتد عدوان الانجليز في قسح
ثورة ١٩١٩ :

ماعهد «ولسن» أين ولسن هل درى أنا بمصر نكايد الأهوالا ؟
أمن العدالة عنده أن يبتلى شعب يريد بأرضه استقلالا ؟
ويقول « عزيز فهمي » ساخرا بالانجليز على أثر الاعتداءات الدامية في
القاهرة والاسكندرية سنة ١٩٤٦ .
سلو «العلمين» هل ثبتوا بأرض وقد سبقوا مع العدو السحابا ؟
فكيف تعاطفوا بعد انكسار وكيف تبدلوا أسدا غضابا ؟
وفي التشهير بهم لخداعهم وتقضهم لليهود التي قطعوها على أنفسهم . يقول
حافظ ابراهيم :

فلا تثقوا بوعد القوم يوما فان سحاب ساستهم جهام
وحاذرهم اذا لانوا فأنسى أرى السواس ليس لهم زمام
ويقول « أحمد محرم » موجها الخطاب الى بريطانيا :

أين المواثيق التي أبرمتها ان كان منك لموثق ابرام ؟ !
لم تحفلى بمهودنا فنقضتها ياهذه تقض المهود حرام !
ويقول « محمد عبد المطلب » :

فسائل بنا أعلاج « لندن » هل وفوا بعهد لنا بين الأنام وموثق ؟
ثلاثين عاما لا ترى مصر منهم سوى صلف المستكبر المتعزق (١)

(١) المتعزق : العسر الخلق .

ويقول « أحمد الكاشف » محذرا الخديوى « عباس الثانى » من محاولة الانجليز الوفاق معه وكان الهدف من ذلك محاربة الحركة الوطنية .

أهلا وسهلا بالوفاق ومرحبا لو كان فيه قضاء ما وعدوكا
انا واياك ابتليناهم فهل صدقوا الورى يوما وهل صدقوكا ؟ !

وفي مقام الكشف عن خداع الاستعمار والاعبيه يقول سنة ١٩٠٧ مشيما للورد « كرومر » بعد رحيله عن مصر :

ولبت تبدو في زخارف مخلص للقوم تخفى ما اعترمت وتحجب
غافلتهم حينما فلم يتلفتوا الا وثابك فيهم والمخلسب
ويقول « حافظ ابراهيم » فى مشروع مد قناة السويس سنة ١٩١٠ :
وأنت تساوم فى «القناة» خديمة ولو أنها تمت لثم بها الشقا
ان البلية أن تباع وتشترى مصر وما فيها وألا تنطقا
ويحذر من تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فيقول :

انى أرى قيذا فلا تسلموا أيديكم فالقيد لا يسجج(١)
ان هياؤه من حرير لكم فهو على لين به أفدح

ويقول « أحمد الكاشف » متندرا على عيد الاستقلال الذى جعلوا تاريخه
١٥ مارس سنة ١٩٢٢ على أثر صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ :
يا عيد الاستقلال أنت له خيال أم حقيقة ؟ !
للمتق أم للرق ما خطوه فى تلك الوثيقة ؟ !

(١) لا يسجج : لا يلين ويسهل .

ويقول « حافظ ابراهيم » مخاطباً الانجليز منكراً عليهم ادعاءهم
« الحياء » في محنة الغاء الحياة الدستورية سنة ١٩٣٢ :

أخاف عليكم عشرة بعد نهضة فليس للمك الظالمين دوام
أبعد « حياء » لا رعى الله عهده وبعد الجروح الثاغرث وثام ؟ !

ويشير « اسماعيل صبرى » الى الامتيازات الأجنبية التي منحت للأوربيين
فلم تقابل بالشكر وانما قوبلت بالعدر فيقول :

منح قد بذرن في شر أيد كن مذكن منبت الكفسران
هكذا فلتك المروءات في عصر البهسائليل من بنى الرومان

ويهيب محمد الأسمر بنواب الأمة أن يحطموها بلغة قاسية فيقول :

حطموا الأغلال عن أمتكم وازأروا بالحقق فيمن زأرا
لا تموءوا هرة محبوسة بل أسودا غاضبات للشرى ؟
واخلعوا الارسان لستم حمرا واطرحوا النير فلستم بقرا

وفي محاربة الاحتلال للتعليم واللغة العربية يقول « حافظ ابراهيم » مخاطباً
اللورد « كرومر » :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم يا « لورد » ممهدا
قضيت على أم اللغات وانه قضاء علينا أو سبيل الى الردى

ويقول « محمد عبد المطلب » :

وبالعلم سل « دنلوبهم » لم لم يدع ذواقا من العرفان للمتذوق
ثلاثين عاما يسكب النيل حسرة على العلم دمع الواله المتشوق
ولولاه كانت مصر بالعلم روضة تلالا بالأنوار للمتأثق

وكما هاجم الشعر الاحتلال هاجم أعوان الاحتلال كما تصورهم الشعراء يقول
« شوقى » سنة ١٩٠٤ مستنكرا على « مصطفى رياض باشا » خطبته التي
امتدح فيها اللورد « كرومر » والاحتلال البريطانى :

خطبت فكنت خطيبا لا خطيبا
لهجت بالاحتلال وما أتاه
أضيف الى مصائبنا العظام
وجرحك منه لو أحسست دام
ويدعو « أحمد الكاشف » في ابريل سنة ١٩٠٨ وزارة مصطفى كامل الى
الاستقالة فيقول :

لقد سئمت تلك الكراسى مكثكم
وهلا اعتزلتم منصبا لا ينيلكم
فهل اشعرتهم وهي تشكو وتسرع !؟
من الأمر الآن تذلووا وتخضعوا !؟
ويقول « أحمد نسيم » منددا بوزارة « مصطفى فهمي » على أثر سقوطها
في ديسمبر سنة ١٩٠٨ :

ماللوزارة ذات الضعف والفتل
وزارة مالها في الخير صالحة
باتت على دارس أعشى من الطلل
ولا على صولة الأيام من قبل
كذلك هاجم الشعر الملكية وأسرته « محمد علي » فقال « أحمد محرم »
سنة ١٩٠٨ :-

كذب الملوك ومن يحاول عندهم
وإذا الطيب رمى العليل بدائه
شرفا ويزعم أنهم شرفاء
فيسن يؤمل أن يبيل الداء ؟ !
وفي سنة ١٩٥١ يهاجم د . « أحمد ذكي أبو شادي » الملك فاروق فيقول :
يمرغ الأمة في رجسه ويسرق الأمة في ربه
« كالكركون » الذي يزدهى
في قبضه يسخر من قده
ويندد « أبو شادي » بالحكم الملكي وينادي بالحكم الجمهوري الشعبي
فيقول :

ذهب الملوك بعصرهم وتمخضت
حق الشعوب أجل من ارضاخه
نوب الحوادث عن أذى الملكية
لمشئنة فردية علوية
ويرسم الشعر السبيل الى الحرية السياسية الصحيحة فيطالب بالدستور
وبالحياة الدستورية السليمة كما يطالب بحرية الصحافة .
يقول « اسماعيل صبرى » سنة ١٩٠٨ مخاطبا « عباس حلمي الثاني »
وداعيا الى الدستور :

سددهام الرأى بالشورى يحط
واسبق به واضرب به وافتح به
بك منه فى ظلم الحوادث فيلق
ما شئت من باب أمامك يعلق
ويقول « حافظ ابراهيم » سنة ١٩٠٩ مؤيدا حركة المطالبة بالدستور :
وبالطلبى «الدستور» لا تسكنوا ولا
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله
ولا ناله فى العالمين مقصر
ويدعو « شوقى » الشعب الى انتخاب نوابه الأكفاء :
دار النيابة قد صفت أركانها
اليوم يا قوم اذ تبون مجلسكم
لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشب
تبون للعقب الأيام والحقبا
ويقول عزيز المصرى :
إذا شتتم الشورى فذلك حكها
تولى زمان الحاكمين بأمرهم
وان شتتم القوضى فليس لها حد
ولم يبق فى الدنيا مسود ولا عبد
وينعى « أحمد محرم » فى سنة ١٩٠٩ على الحكومة تقييدها لحرية
الصحافة فيقول :
اليوم تمنع أن نئن لمؤلم
كيف القرار على الاساءة والأذى
أو نشتكى الاعنات والا رغاما
أم كيف كنتم فى القلوب ضراما!
ويقول « حافظ ابراهيم » فى سنة ١٩١٠ :
فتقيدت فيه الصحافة عنوة
ومتى الهوى بين الرعية مطلقا
وفى مواجهة طغيان المستعمر واستبداد الملكية - يطالب الشعب
بالوحدة الوطنية ونبذ الخلاف وبذل التضحيات ويضرب الشعراء المثل بأنفسهم
فى الاستعداد لبذل النفس والنفس ليكونوا فى مركز القيادة من الجماهير
قولا وعملا .

ففى الدعوة الى وحدة الرأى ونبذ الشقاق يقول « حافظ ابراهيم » :
هلاك الفرد منشؤه توان وموت الشعب منشؤه انقسام
ويقول « أحمد نسيم » سنة ١٩٢١ حين اشتد الانقسام بين « سعد وعدلى »
وأنصارهما :

قالوا انقسمنا فقلنا فتننة عمم بها تقل مواضى العزم والهمم
وكيف تقسم والتاريخ يبيننا أن الفلاح لشعب غير منقسم
ويقول « أحمد شوقى » سنة ١٩٢٥ مستنكرا الخلاف بين الأحزاب :
الام الخلف بينكم الاما وهذى الضجة الكبرى علما ؟
وفيم يكييد بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصاما ؟
ويقول « أحمد محرم » فى هذه المناسبة :

سائل الأحزاب ماذا عندها غير ترجاف وهم مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى دولة فوضى وحكم أخرق
ويقول « محمد عبد المطلب » :
عبث بوحدتنا الخطوب وأعملت والخصم يحجل بيننا بالشر فى
وفى الدعوة الى الوحدة بين عنصرى الأمة وكان المحتل يسعى دائما الى
التفرقة بينهما يقول « شوقى » فى رثائه « لبطرس غالى » سنة ١٩١٠ :
نعلى تعاليم المسيح لأجلهم ويوقرون لاجلنا الاسلاما
الدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما
ويقول اسماعيل صبرى سنة ١٩١١ :

دين «عيسى» فيكم ودين اخيه « أحمد » يأمرانا بالاخاء
مصر ملك لنا اذا ماتما سكتنا والا فمصر للغرباء

ويقول « أحمد نسيم » سنة ١٩١٩ :
أقباط مصر ومسلموها ضمهم
دين المسيح وشرعة الاسلام
برح الخفاء وبان أنا أمة
لم تبغ غير محبة وسلام
ويقول « محمد عيد المطلب » :
كلانا على دين به هو مؤمن
ولكن خذلان البلاد هو الكفر
اذا ما دعت مصر ابنها نهض ابنها
لنجدتهاسيان «مرقس» أو «عمرو»
وفي دعوة الشعب الى الجهاد ومحكمة ظالميه والتسلح بالقوة والتضحية في
سبيل الوطن يقول « أحمد نسيم » سنة ١٩٠٨ داعيا الى الجهاد :
هلم ندافع جهدا عن بلادنا
دفاع كرامة أو ضراغم غاب
ومن فقد استقلاله عاش هينا
يسام صنوقا من أذى وعذاب
ويقول « د. أحمد زكي أبو شادي » محرضا على محاكمة الظالمين :
انهض وحاكمم بائعك الى الهوى والى الفساد
أو مت ذليلا لا يقاس بذله حتى الجهاد
ويقول « شوقي » داعيا الى القوة :
وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
ويقول « أحمد الكاشف » :
والحق في كل عصر فاقده سندا
ان لم يجد طالبا بالبأس مقرونا
فذو السلاح هو المرهوب جانبه
اذا اثنى الاعزل المغلوب مغبونا
ويقول « شوقي » مرخصا التضحية في سبيل الوطن :
وللاوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مزرجة يدق

ويشير الشعر شباب البلاد للعمل على تحرير بلادهم واستمرار مجدهم :
فيقول « أحمد نسيم » :

أنا بته البلاد وخير نشء غدوا للنشء بعدهم مثالا
سيندب حظه الوطن المفسدى اذا لم تحسنوا عنه النضالا
ويقول « حافظ ابراهيم » :

رجال الغد المأمول انا بحاجة الى قادة تبني وشعب يعمس
رجال الغد المأمول انا بحاجة لاليكم فسدوا النقص فينا وشمروا
ويحرص الشعر على تأكيد الذات الوطنية و ابراز الشخصية المصرية والعربية ،
ويحرض المواطنين على الدفاع عن بلادهم بالتغنى بعب البلاد وجمالها ورخائها
وبالاعراب عن عظمة الأجداد وآثارهم :

نفى التغنى بعب البلاد ووصف جمالها - يقول « حافظ ابراهيم » :
كم ذا يكابد عاشق ويلاقى في حب مصر كثيرة العشاق !
انى لأحبل في هواك صباة يا مصر قد خرجت عن الأطواق
ويقول « شوقي » وهو في منفاه :
وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه في الخلد نفسى
وفي الاشادة بآثار القدماء وعظمتهم :

يقول البارودى :

سل « الجيزة » الفيحاء عن هرمى مصر لملك تدرى غيب ما لم تكن تدرى
بناء ان ردا صولة الدهر عنهما ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
ويقول « شوقي » :

قبل لبان بنى فساد فغالى لم يجز مصر في الزمان بناء
ليس في الممكنات أن تنقل الأجيال شما وأن تنال السماء

وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبني قواعد المجد وحدى
ويقول « حافظ ابراهيم » على لسان مصر مفتخرة :
وبناة الاهرام في سالف الدهر كقنوني الكلام عند التحدى
وكما أبرز الشعر أمجادنا المصرية وحيا أجدادنا المصريين أبرز أمجادنا العربية ،
وحيا أبطالنا المسلمين . فأنشدت المطولات التي تدعو الى العزة العربية والاسلامية
في مواجهة سطوة المستعمر التي بلغت منتهاها - ومن ذلك « كشف الغمة في مدح
سيد الأمة « للبارودي » ومطلعها(١) :
يا رائد البرق يسم دائرة العلم واحد الغمام لأقمار « بذي سلم »
ونهج البردة لشوقى ومطلعها(٢) :
ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
وعمرية « حافظ » ومطلعها(٣) :
حسب القوافي وحسبى حين ألقيتها أنى الى ساحة الفاروق أهديها
وبكرية عبد الحلیم المصرى ومطلعها(٤) :
أفضنى أبا بكر عليهم قوافيا وأمطر لسانى حكمة ومعانيها
وعلوية محمد عبد المطلب ومطلعها(٥) :
أرى ابن الأرض أصنرها مقاما فهل جعل النجوم بها مراما
الى غير ذلك من المطولات الاسلامية التي بلغ بعضها المئات بل الآلاف من
الآيات كالإلياذة الاسلامية لأحمد محرم(٦) اذ بلغت أكثر من خمسة آلاف بيت
وهى عن حروب الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته العاطرة ومطلعها :
املا الأرض يا محمد نورا وانغمس الناس حكمة والدهورا
ويتخذ الشعراء مناسبات تأبين الزعماء ورواد الوطنية فرصة للحض على
الكفاح والدعوة الى الاتحاد واذكاء نار الثورة في المواطنين ، فاذا مات
(١ - ٦) انظر الملحمة في الشعر العربى د. سعد الدين الجيزاوى ص ٤٢
وما بعدها .

« مصطفى كامل » سنة ١٩٠٨ رثاه أكثر شعراء العصر بمرثيات ملتهبة تصلى الأعداء شواظا من نار فرثاه « شوقي » بقصيدته التي مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في ماتم والسداني

و « حافظ » بقصيدته التي منها :

أيا قبر ، هذا الضيف ، آمال أمة فكبر وهلل والحق ضيفك جاثيا
عزيز علينا أن نرى فيك « مصطفى » شهيد الملا في زهرة العمر ذاويا

وإذا مات « محمد فريد » سنة ١٩١٩ رثاه الشعراء كذلك مشيدين بأعماله داعين الى مواصلة طريق الكفاح الذي بدأه - فرثاه شوقي بقصيدته التي مطلعها :

كل حى على المنية غادى تتوالى الركاب والموت حادى

و « حافظ » بقصيدته التي مطلعها :

من ليوم نحن فيه من نمد ؟ مات ذو العزيمة والرأى الاسد !
ويرثى الشعراء رواد الوطنية فيرثى « شوقي » سنة ١٩٢٥ « عبد اللطيف الصوفانى » بقصيدة منها :

قضية الحق منذ كانت لسم تأل أركانها بناء

ويرثى سنة ١٩٢٧ « أمين الرافعى » فيقول :

يا أمين الحقوق أدت حتى لم تخن مصر فى الحقوق فتىلا

ورثوا شهداء الحركة الوطنية فقال « خليل مطران » سنة ١٩٢٤ محيا ارواحهم :

تحية أيها القتلى وتسليما بلشتم الشأو تخليدا وتعظيما

لا يعبد المرء ربا لا ولا ولانا بمثل اغلاله القربان تقديما

ويتقدم الشعراء صفوف الوطن المجاهد ليكون كلامهم مصحوبا باستعدادهم
الفعلي للنضال ، وبذلك يبلغون من مواطنيتهم ذروة الاثارة والتأثير ، وأي اثاره
للكفاح أقوى من قول « حافظ ابراهيم » في أبريل سنة ١٩٣٣ تحت عنوان
« الى الانجليز » مهددا بخوض أشرس المارك معهم دون مهادنة أو تراجع :
حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا واطمسوا النجم واحرمونا النسيما
واملاوا البحر ان أردتم سفينا واملاوا الجو ان أردتم رجوما
انا لن نحول عن عهد مصر أو ترونا في الترب عظما ريميا
فاتقوا غضبة العواصف اني قد رأيت المصير أمسى وخيما
وأي تأثير في نفوس المواطنين أشد من قول « خليل مطران » لما زاد اضطهاد
الحكومة للأحرار وسلطت قانون المطبوعات على الصحف :

شردوا أخبارها بحرا وبرأ واقتلوا أحرارها حبرا فحرا
كسروا الاقلام هل تكسيرها يمنع الأيدي أن تنقش صخرا ؟
قطعوا الأيدي هل تقطيعها يمنع الأقدام أن تركب بحرا ؟
حطموا الأقدام هل تحطيمها يمنع الأعين أن تنظر شذرا ؟
أطفئوا الأعين هل اطفأؤها يمنع الأنفاس أن تصعد زفرا ؟
أخذوا الأنفاس هذا جهدكم وبه منجاتنا منكم فشكرا ؟
لقد كان للشعر في ذلك الوقت سوق نافقة ، لأن الصحف كانت تنشره
والمنتديات والمحافل تنسده والصالونات الأدبية تناقشه ، والبيوت والدواوين
والمقاهي والمحال العامة تقرأه .

وشعر بالقوة الخطابية والمعاني الثورية التي عهدناه بها فيما روينا منه آفا
وما لم نروه ، وبالشيوع الذي فرناه هنا ، لا شك يكون له الأثر الفعال في
قيادة جماهير الشعب ، وتوجيههم نحو أهدافهم وأهداف البلاد .

ولولا أن الأهداف والوسائل الى تحقيقها لم تكن محددة ولا واضحة بالقدر
الكافي في أذهان المفكرين والشعراء فضلا عنها في أذهان الجماهير ، ولولا أنه لم
يكن كثير من القيادات المتصدرة لحمل المسؤولية على مستوى المسؤولية السياسية
بل كان، بعضها يتقصه الاخلاص لقضايا الشعب العادلة اخلاصه لمصالحه

الشخصية ومصالح طبقتة ولولا أن قبضة الظلم كانت شديدة . لولا هذا وذاك
لأمكن أن تتخلص البلاد وشيكا من هاضمى حقوقها لتتنفس هواء الحرية الصحيحة
وتستنشق نسيم الاستقلال الحقيقى .

فلقد ثار الشعب قبل سنة ١٩٥٢ أكثر من مرة بفضل ما أذكاه الشعراء فيه
من حماس ، وإن كانت ثورة واحدة من تلك الثورات قبل سنة ١٩٥٢ لم تنجح ،
ثار الشعب حتى المرأة فيه فى ثورة سنة ١٩١٩ فبرغم أن المرأة لم تكن فى ذلك
الحين قد حصلت على حرية تسمح لها بالاشتراك الفعلى فى الحياة العامة
الخارجية ، بل كان الخلاف فى ذلك الحين على أشده حول حجابها وسفورها ،
فقد خرجت جموع من النساء تأثرات محتجيات معلنات غضبهن الشديد على
الاحتلال ، لابسات لباس الحداد ، مناديات بالجلء التام أو الموت الزؤام .

ووصف « حافظ ابراهيم » هذه المظاهرة الأولى من نوعها لسيدات مصر
وهى التى قمن بها يوم ١٦ مارس سنة ١٩١٩ ، وصفا شعبيا رائعا فى قصيدة
مناسبة لموضوعها بألفاظها وموسيقاها والقافية التى اختارها لها . وفيها يقول :

خرج الفوانى يحتججن ورحت أرقب جمعنه
فاذا بهن تخذن من سود الثياب شعارهنه
وأخذن يجترن الطريق ودار « سعد » قصدهنه

ويشيد « محمد عبد المطلب » بدور المرأة فى الثورة فيقول :

وغوان سمعن داعى مصر بين تلك القصور والفرفات
فترامين من وراء خردور كن فيها البدور مختدرات

وبرغم النكسة التى أصابت الشعب وقادته وشعراءه بفشل ثورة ١٩١٩ فقد
ظل بعض الشعر ينفخ فى الصور ليوفظ النيام ويشعل الثورة من جديد ويث
روح الأمل بالنصر فى النفوس والقلوب - فيقول « محمد عبد المطلب
سنة ١٩٣٠ » .

تكلم وادى النيل فليسمع الدهر وأملى على الأيام فليكتب الشعر
حرام علينا أن نعيش أذلة وذو الذل أولى ما يكون به القبر !

وقبيل قيام الثورة تعود الروح المصرية العربية الثائرة الى المصريين وينفخ
الشعر فيها بقوة : يقول أحد الشعراء الشبان تلك القصيدة التي تلهب حماس
الجمهير وتستثير نفوسهم استشارة عنيفة ومنها (١) :

يا رفيقي ونحن جرحان مران سيلان من دم وصديد
يا رفيقي أنا وأنت وعمى وابن عمى جماعة من عبيد
أيها المغمض المغرب بالليل تطلع الى نور عهد جديد
أنا أبكى وأنت تبكى ولكن لا يفيل الحديد غير الحديد

ويكتب « محمود أبو الوفا » عام ١٩٥١ ملحمة « عنوان النشيد » داعيا فيها
الى الأخذ بالقوة وببذل الضعف وبذل الدماء لتحقيق الرجاء فيقول :

ليس كالقوة في الدنيا فضيله هكذا قالت لنا الروح النبيله
قلت يا روحى هل ثم وسيله لتلافي الضعف والضعف رذيله ؟
قال الا في طموح الكبرياء لم أجد للضعف في الناس دواء
ثم يقول :

سكك الحق على الأرض عديده قدمت جدا وما زالت جديده
ان أردت القصر ذا الباب العتيده دق ، دق الباب بالكف الحديد

ويقول « محمد الأسمر » داعيا الى اليقظة واستخدام القوة :

هل بات يعنى أن يقال لها اسلمى ان صح ذلك فاسلمى ثم اسلمى
يا مصر ان الله جل جلاله لا يستجيب الى دعاء النوم
اليوم ألسنة المدافع وحدها مقبولة الدعوات طاهرة الفم

ويشتهر « محمد عبد الغنى حسن » فرصة الاحتفال بالمولد النبى الكريم
ليهيب المصريين أن يكسروا القيود ويحطموا الاغلال ويعلموا الثورة على أوضاعهم
الفاسدة فيقول : (٢)

(١) انظر د. محمد مندور : مجلة الاداب عدد يناير سنة ١٩٦٠ ص ١٠
وما بعدها .
(٢) انظر الشعر والتجديد للدكتور خفاجى ص ٢٧١ .

من هؤلاء الصامتون ؟ تكلموا
ما بالكم تقضى الأمور بغيركم
تتكلم الأسلات فوق رؤوسكم
وتكاد كف الطامعين تصيبيكم
الفانمون الأرض بعد محمد
أضحوا وهم في كل أرض مغنم

وفي الفترة التي أحرقت فيها القاهرة سنة ١٩٥١ يكتب « محمود أبو الوفا »
قصيدته « تسمعون الآن » وفيها يسخر من منطلق الأغنياء في تعزية الفقراء عن
فقرهم فيقول: (١)

ما الذي تشكوته يا جحدهاء
ولياي « أم كلثوم » الوضاء
من غناء وكساء ودواء
قل لهم استشعروا بعض الحياء
عندنا الراديو وسهرات المساء
ليلة واحدة فيها الغناء
بل عن السودان أيضا والجللاء

ويكتب « فوزى العنتيل » قصيدته « صرخة القيد » ويقدمها بقوله « اشتغلت
القاهرة واستيقظ الشعب ليحول من لهيبها مستقبه المجيد .. وهذه صرخة القيود
المحترقة ، وفيها يقول داعيا الشعب الى الثورة: (٢)

يا شعبي المسكين أنت اذا جهلت مقيد !
فمتى أراك مع الشقاء على الأسي تنرد ؟
وتحطم الأصنام لا تخشى ولا تتردد ؟
لم لا تثور ألسنت كالأحرار في كل العهود ؟
الناقمين على الطفاة الساخرين من القيود
لم لا تثور ألسنت كالأحرار يا شعبي البليد ؟
يا عابد الأصنام في عصر به ساد العبيد !

(١) ديوان « شعري » ص ١٤١ .
(٢) ديوان « عبر الأرض » ص ١٤٥ وما بعدها .

ويحس بعض الشعراء في خضم الأحداث بأنه لا مجال لغير الشعر الواقعي
الملتزم بقضايا المجتمع ، وأن زمان الشعر الرومانسي الهارب الى سماوات الخيال
قد انقضى فيقول أحدهم مخاطبا الشاعر الرومانسي .

في سماء الخيال ضم جناحيك تقح بيننا فتصبح منا
دع جمال الخيال وادخل كهوفا للسلايين وارو للكون عنا
انما الفن دمعة ولهيب ليس هذا الخيال والديه فنا

ثروة الشعر في مجال الاصلاح الاجتماعى :

وكما ساهم الشعر في اشعال الثورة الوطنية ، فقد عاش مع الشعب أفراحه
وشارك في اصلاح الأحوال الاجتماعية ، فاحتفل بالأعياد الدينية وواسى في
الشدائد والملمات ودعا الى التعاطف والتراحم ونعى على العادات والتقاليد
الضارة وحارب الفقر والجهل والريزلة وأشاد بالمال والعلم والأخلاق ونادى
بحرية المرأة وتعليمها وتربيتها والتوسط بين السفور والحجاب وبشر بالاشتراكية
والوحدة ودافع عن الفصحى وطالب بالغاء الرتب والألقاب ... الخ .

وباختصار كان الشعر صديقا للشعب يصاحبه على الدوام في آلامه وآماله ،
في أفراحه وأحزانه ، كما عبر عن ذلك أمير الشعراء « شوقي » فقال :

كان شعري الغناء في فرح الشرق وكان العزاء في أحزانه

يقول « حافظ ابراهيم » في تجية العام الهجرى :

أطل على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

ويقول « شوقي » في مولد الرسول الكريم :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وقال « حافظ ابراهيم » واصفا حريق ميت غمر سنة ١٩٠٢ عاطفا على

ضحاياه :

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف أمس رضيعهم فقد الأم
كيف بانت نساؤهم والعدارى ؟
وكيف اصطلى مع القوم نارا ؟
وقال فى تحية ملجأ الحرية سنة ١٩١٩ مهيا بالاثرياء أن يكفلوا الأيتام فيه
فلعل الوطن أن ينتفع بهم اذا كبروا :

واكفلوا الأيتام فيه واعلموا
أيها المثرى ألا تكفل من
أن كل الصيد فى جوف الفرا
بات محسروما يتيما معسرا ؟
ربما أطلعت « سعدا » أخرا
يحكم القول ويرقى المنبرا
ربما أطلعت منه « عبده »
من حى الدين وزان « الأزهرا »

وينعى على المواطنين عيوبهم الاجتماعية فيقول :

وكم ذا بمصر من المضحكات
أمور تـسر وعيش يـسر
كما قال فيها « أبو الطيب »
ونحن من اللهـو فى ملعب
ونعى « اسماعيل صبرى » على المصريين تعدد الزوجات فقال :

يا من تزوج باثنتين الا اتد
ما العدل بين الضرتين بمسكن
ألقىت نفسك ظالما فى الهاويه
لو كنت تعدل ما أخذت الثانية !
وجاهد الشعر فى محاربهه لفقر الفلاح وجهل الشعب وفساد الأخلاق .
يقول « أحمد محرم » :

ويلى على فلاح مصر أما كفى
يفنى ألوف المترفين بماله
ما ذاق من عنت ومن ارهاق
ويعيش فى فقر وفى املاق
ويقول « أحمد الكاشف » :

اذا استبقيت فى الدنيا حبيبا
كريم يملا الدنيا شره
فخير أحبتى فلاح مصر
ولا يلقى سوى الاجحاف أجرا !

ويصدر محمود حسن اسماعيل قبل الثورة ديوان شعر كاملا هو ديوان
« أغاني الكوخ » يصور به مأساة الفلاح المصرى وفى احدى قصائده « زهرة
القطن » يقول :

وارث للمسكين عيشا أسودا ران فى كوخ حقير متداع
نامت النعمة عنه وجفت بعدما لم يرعه فى مصر راع
ويقول « أحمد شوقى » ناعيا على الجهل :
تجد الذين بنى المسلة جدهم لا يحسنون لآبرة تشكيلا
الجهل لا تحيا عليه جماعة كيف الحياة على يدى عزريلا ؟ !
ويدعو الى التحلى بالأخلاق فيقول :
وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ويقول « أحمد الكاشف » :

وليس بمن أمة خصب أرضها اذا لم يكن خلق الرجال خصيبا
ويقول « خليل مطران » مخاطبا الأمة العربية داعيا الى العلم :
بالعلم تنشر ما انطوى من مجدنا وبه تزكى فى الورى ذكراك
ويقول « أحمد نسيم » مخاطبا الشباب :

فجدوا فى علومكم صفارا ولا تشكو السامة والكلالا
فمن رام الكواكب والدرارى بلا علم فقد رام المحالا
ويقول « شوقى » فى سنة ١٩٢٠ فى الاحتفال بانشاء بنك مصر مشيدا بالعلم
والمال فيقول :

يا طالبا لمعالى الملك مجتهدا خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبئى الناس ملكهمو لم يبين ملك على جهل واقلال
ويقول « حافظ ابراهيم » مشيدا بالعلم والأخلاق :
وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق فالعلم وحده ليس يجدى

ويقول :

والعلم ان لم تكتنفه الشمائل
لا تحسبن العلم ينفع وحده
تعلية كان مطية الاخفاق
مالم يتسوج ربه بخلاق
وينادى الشعر بحرية المرأة وتعليمها وتربيتها :

فيقول « شوقي » من قصيدة يحيى النهضة النسوية سنة ١٩٣٤ :

هذا رسول الله لم
وحضارة الاسلام تنطق
مصر تجدد مجدها
ينقص حقوق المؤمنات
عن مكان المسلمات
بنسائها المتجددات
ويقول « حافظ ابراهيم » :

من لى بتريه النساء فانها
الأم مدرسة اذا أعددتها
ويشارك الشعر في قضية السفور والحجاب - ويرى « حافظ » رأيا جرى
به العمل منذ ذلك الحين لأنه يتفق مع تحضرنا ومع محافظتنا وهو التوسط بينهما ،
فيقول :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا
فتوسطوا في الحاليتين وانصفوا
بين الرجال يجلن في الأسواق
في الحجب والتضييق والارهاق
فالشر في التقييد والاطلاق

وبشر الشعر بالاشتراكية - فقال « أحمد الكاشف » :

للاشتركية العقبى اذا شملت
فلا الكثيرون ملك للاقليينسا
ولا نرى واحدا ملأى خزائنه
ولا نرى درة في رأس محتكم
شتى الشعوب وجارها المجاورنا
ولا الأقلون ملك للكثيرينا
بالمغنيات وآلأفا يجوعونا
تهفو اليها قلوب المستظلينا

وقال « شوقي » مفاخرًا برسول الاسلام امام الاشتراكيين :

الاشتراكيون أنت امامهم لولا دعاوى القسوم والغلواء
داويت متشدا وداووا طقسرة وأخف من بعض الدواء الداء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء
ويلمح الشعر الى قضية الوحدة العربية حين يعبر عن تعاطف البلاد العربية
بعضها مع بعض فيما ينوبها من نوائب .
يقول « حافظ ابراهيم » سنة ١٩٠٨ ولعل هذا كان أول تعبير شعري عن
الوجدان العربي المشترك^(١) :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا الملا وهناك المجد والحسب
إذا ألمت بوادي النيل نازلة بات لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا في ذرا الأهرام ذو ألم أجابه في ذرا لبنان منتحب

ويقول شوقي^(٢) :

قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح وأن نلتقى على أشجانه
كلما أن « بالعراق » جريح لمس الشرق جنبه في « عمانه »
ويدافع الشعر عن اللغة العربية فيقول « حافظ ابراهيم » على لسانها
مفتخرة^(٣) :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظاتي
فكيف أضيّق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
ويطالب الشعر بإلغاء الرتب والألقاب فيقول « أحمد محرم »^(٤) :

رتب وألقاب ترد وما بها فخر لمحرزها ولا استعلاء
أنا تباع وتارة هي خدعة تمنى بشر ساعاتها الأمراء

(١) د. احمد الحوفي مقال « الوجدان العربي المشترك في الشعر الحديث » -
مؤتمر الأدب العربي السابق سنة ١٩٦٩ ص ٧٩ .
(٢) (٣ - المصدر السابق ص ٧٩ وما بعدها .
(٤) شعراء الوطنية ص ١٩٦ .

وهكذا عمل الشعر جاهدا على قدر طاقته في ظل الظروف الصعبة التي عاشها قبل الثورة على تطهير المجال الاجتماعي من أدرانته سعيا إلى تحقيق مجتمع متحضر ، كما عمل جاهدا على تنقية الجو السياسي من مآثراته وجرائمه وصولا إلى خلق مجتمع متحرر متطور .

والى جانب تلك الذخيرة الضخمة من الشعر الوطني والاجتماعي ، ومن خلال الأحداث التي أوجت إلى الشعراء بذلك الشعر استطاع بعض الشعراء من ذوي الاحساس المرهف والشفافية الكاشفة أن يتنبأوا بالثورة الكبيرة الشاملة تهيء على عجل لتغير تلك الأوضاع الفاسدة وتحل محلها أوضاعا أخرى تحقق أهداف الجماهير وآمالها .

فلقد جاءت على ألسنته بعض شعرائنا نبوءات صريحة بثورة ١٩٥٢ قبيل قيامها مباشرة يقول « محمود أبو الوفا » في قصيدته « أمواج » التي نشرتها مجلة أديب البيروتية سنة ١٩٥١ :

يبدو لعيني موج النيل يحمل صندوقا من الخشب المشهور «بالزان»

أنا النذير لقومي أن يكون به طفل لقيط فقد يدعى « ابن عمران »

فلم تمض بعدها الا شهور قليلة حتى اندلعت الثورة (١) .

لكن الذي ينبغي أن يعلم أن الشعراء في هذه المرحلة كثيرهم من المفكرين لم ينادوا بالحرية الاجتماعية كهدف كما نادوا بالحرية السياسية حتى لقد عدت مطالبة أحد نواب الشعب آنذاك بتحديد الملكية الزراعية نوعا من العيب ... لان جلاء المحتل الأجنبي كان هو الشغل الشاغل للجميع ، فقد كان العقبة الكأداء في سبيل كل اصلاح وتقدم ، وكانت شراسته وضراوته وتحكمه في كل أمر تجعل من جلائه عن البلاد هدفها الأوحد وعيدها الأكبر يقول « شوقي » :

والله ما دون الجلاء ويومه يوم تسميه الكنانة عيدا

وان مرحلة الحرية الاجتماعية لتأتي في الترتيب المنطقي بعد مرحلة الحرية السياسية إذ ماهاام الاحتلال جائما على صدر البلاد والملكية قائمة تحمي طبقة

(١) انظر ديوان « شعري » لمحمود أبو الوفا ص ٥٢ .

المجتمع ، فلا يمكن أن ترد فكرة الحرية الاجتماعية على ذهن المفكر وان كانت ضرورة - الا متأخرة .

ولهذا نرى قضية الفلاح في فقره وبؤسه تعالج معالجة اصلاحية بالاشفاق عليه لا معالجة ثورية بتحليل الأسباب وتحديد أسباب العلاج وجعل العدل الاجتماعي بديلا عن ظلمه وبؤسه .

وتلحق بقضية الشعب الاجتماعية قضية الوحدة العربية ، فقد كانت كذلك أملا وحلما فحسب يتغنى بها الشعراء ولكن لا تتخذ لها وسائل التحقيق أو توضع خطط التنفيذ لان الاحتلال في الأصل انما جاء لنقض هذه الوحدة وتفريق شمل الأمة والملكية نوع من الاستبداد الطبقي لا يمكن أن يعيش في ظل وحدة تجمع الشعوب العربية تحت حكم دستوري واحد اذ لا يكون هذا الحكم حينذاك بعد وعى الشعوب الا حكما شوريا جمهوريا لا استبداديا ملكيا .

ولهذا نرى الشعر في بحثه عن أهدافه وغاياته وتلمسه اياها من خلال صراعه مع الحياة يجعل في الصدارة منها تحرير الوطن من الاحتلال ثم بعد ذلك يأمل في زوال الملكية ثم يحلم بالعدالة الاجتماعية وأخيرا ينتهي الى تمني الوحدة العربية وهذه الأهداف هي ما جعلته الثورة بعد ذلك وبهذا الترتيب أهدافا لها بل أهدافا للنضال العربي كله من وجهة نظرها .

وبذلك يكون الشعر قبل الثورة قد نادى بما حققته بعد قيامها أو ما هي بصدد تحقيقه .

مواقف الضعفا في شعر ما قبل الثورة :

يتهم بعض النقاد الشعر في الفترة السابقة على قيام الثورة باتهامين لا نستطيع أن نبرئه منهما ، للوقائع المادية الثابتة من النصوص الكثيرة والدالة على هاتين التهمتين دلالة قاطمة ، وان كنا نلتبس له بعض العذر فيهما للظروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك .

١ - واول الاتهامين اتهامه بالانهزامية :

وأعنى بها انهزامية أولئك الشعراء الذين اتخذوا لأنفسهم من قضية المجتمع موقفا آثروا فيه السلامة واتجهوا بشعرهم وجهة تحفظ عليهم حياتهم وأمنهم ولا تمكن المحتل المستبد أو الحاكم الفاشم منهم فتعطيه الفرصة للكيد لهم والتتكيل بهم فأصيب شعرهم بالضعف والتهافت .

ولعل من أسباب ذلك أنه لم تكن لدى هؤلاء الشعراء نظرية محددة أو فلسفة مقررة أو عقيدة ثابتة ولذلك كانوا أو كان كثير منهم ينطلق بشعره بالقدر الذى لا يعرضه لمسئولية أو حساب فاذا شد العدو أرخوا واذا أرخى العدو شدوا .

كما أن من أسباب تلك الانهزامية فى شعرهم ذلك الضغط والارهاب اللذين امتدا فى البلاد على مدى قرون طويلة ثم اشتدا فى تلك المرحلة الأخيرة مما أكسب الأدب عامة فى بعض صورته ضعفا وتخاذلا والأدباء فى كثير من الأحيان خوفا وتملقا ، فلقد وقع الأدباء فى أخطار الزلغى لدى الأمراء والكبراء من مثل ما رواه سلامة موسى عن الدواوين الفاروقية التى توجت ذلك الطاغية « فاروقا » بصفات الألوهية حيناً وبأنه فيلسوف حيناً آخر وما رواه كذلك من آيات قالها « الجارم » فى حادث هروب جمل ودخوله قصر عابدين مستغيثاً بالملك من الذبح وما رواه عن « العقاد » من نثر وشعر فى مدح الملك يصفه بالديمقراطية والوطنية . (١)

وهذا « حافظ ابراهيم » برغم انتمائه للطبقات الشعبية وبرغم ماله من مواقف دفاعية عن الشعب مجيدة يقع فى ذلك الخطأ الجسيم ، فحين يكتب قصيدة عن « دنشواى » وهى من أبشع الجرائم الدامية التى ارتكبها الاحتلال فى مصر لا يأتي شعره فيها ملتها التهاب الحادث بل باردا فاترا ، ففى هذه القصيدة يخاطب الانجليز على أنهم أولو الأمر ويستعطفهم ويطلب اليهم تخفيض جيشهم على أن يكون لهم بعد ذلك فى البلاد ما يشاءون ، كذلك يصف المصريين بالعبودية

(١) انظر سلامة موسى : الأدب للشعب ص ٥ وما بعدها وص ٩٩ وما بعدها .

ويسترحم القتلة لكي يحسنوا القتل ان لم يحسنوا العفو وأن يكونوا كرماء لان طبعهم الكرم . اسمه يقول :

أيها القائمون بالأمر فينا
خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً
انبا نحن والحمام سواء
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو
أكرمونا بأرضنا حيث كنتم
هل نسيتم ولاءنا والوداد ؟
وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاد ؟
لم تغادر أطواقنا الأجيادا !
أقصاصا أردتم أم كيادا ؟
انسا يكرم الجواد الجوادا

ولأيشفع « لحافظ » ما قد يقال من أنه أراد بذلك السخرية فالسخرية بهذه الصورة وفي هذا الموقف ضعف أى ضعف . وبعد « دنشواى » يستقبل اللورد كرومر أثر عودته من مصيفه استقبال الفاتح المظفر فيعزو اليه الصلاح ويعقد عليه الرجاء .

أنت الذى يعزى اليه صلاحنا
رفقا عميد الدولتين بأمة
ثم يودع « كرومر » الطاغية عند استقالته وداع المحب الوامق لذى النعم والمكارم فيقول :

لقد حان توديع العميد وانه
قودع لنا الطود الذى كان شامخا
سنطرى أياديك التى قد أفضتها
وكنت رحيم القلب تحمى ضعيفنا
ويخاطب « مكماهون » فيمدح الانجليز بما ليس فيهم وبأسلوب يقطر ضعفا واستكانة فيقول :

أتم أطباء الشعوب
وعدلتم فملكتم الدنيا
أن تنصروا المستضعفين فنحن أضعفهم شكايه
وأنبىل الأقوام غايه
وفى العدل الكفايه

٢ - وثاني الاتهامين اللذين يتهم بهما شعر ما قبل الثورة :
اتهامه بالسلبية :

وأعنى بها سلبية أولئك الشعراء الذين اتخذوا لأنفسهم كسابقهم من قضية المجتمع موقفا آثروا فيه السلامة ، ولكنهم لم يتجهوا في شعرهم وجهة أولئك الانهزاميين المتملقين وإنما اتجهوا وجهة الانزواء والانطواء ، تركوا الواقع الى الخيال وآثروا الطبيعة على الانسان وانصرفوا عن العقل الى الوجدان .

وكما كان الضغط والارهاب سببا في الاتجاه الأول كان كذلك سببا في هذا الاتجاه مضافا اليهما الآثار النفسية الحادة التي ترتبت وترسبت بسبب ما منيت به البلاد من فشل في ثورتها سنة ١٩١٩ حتى بدا للشعراء لشدة الظلام آن الليل سرمدي ولحدة الطغيان أن الشقاء أبدى فأصابهم نوع من اليأس هو ما عبر عنه « حافظ ابراهيم » حين عد يوم جلاء الانجليز بعيدا بعد يوم الحشر فقال :

وأكبر ظني أن يوم جلائهم ويوم نشور الخلق مقتصران
ولقد بلغ اليأس ببعضهم حدا جعله يرثى نفسه كما فعل « محمود أبو الوفا »
في قصيدته « رثاء نفسى » (١) وفي مطلعها يقول :

في ذمة الله نفس ذات آمثال وفي سبيل العلا هذا الدم الغالي
كذلك كان من أسباب هذا الاتجاه السلبى لدى أولئك الشعراء ذلك الأدب الرومانسى الغربى الذى ساد البلاد في ذلك الحين فصادف تلك الظروف القاسية التي تمر بها حياة الناس آنئذ ووقع على مشاعر الشعراء المرهقة الحساسة فزادها ارهاقا وحساسية .

كل ذلك مكن للنزعة الفردية الهروبية من السيطرة على كثير من الأدباء ودفع جماعة من الشعراء كجماعة « أبولو » الى الانصراف عن عالم الناس الى عالم النفس والانطلاق من أرض الواقع الى سماء الخيال وإذا شعرهم يطفح بالأسى والأسف وشكوى الزمان وبث الأشجان حتى لقد صدرت دواوينهم بعنوانين كئيبة حائرة فأصدر « محمود أبو الوفا » ديوانا بعنوان « أنفاس محترقة » وعلى

(١) ديوان « شعري » ص ١٣٤ .

محمود طه ديوانا بعنوان « الملاح التائه » والصيرفي ديوانا بعنوان « الألهان
الضائعة » وإبراهيم ناجي ديوانا بعنوان « وراء الغمام » ومحمود حسن اسماعيل
ديوانا بعنوان « أين المفر؟ » ... الخ (١)

وهذه صورة من شعرهم البائس اليائس يقول « أبو شادي » :

ويلى من الدهر ييكنى ويتسم ولا يرد عوادى جوره السقم
قد عد شر ذنوبى ما يفيض به قلبى الى الناس من حب ويزدحم
ويقول ناجي :

ان شط الرجاء يا عباب الهموم
ليلى أنسواء ونهارى غيوم
البلى والثقوب فى صميم الشراع
والضنى والشحوب وخيال السوداع

ويقول العوضى الوكيل فى قصيدته « أحزان الطريق » :
قال طال بى السير يا طريق وأين بل كيف لى القرار ؟
بى سكرة منك ما أفيق منها وقد غرنى اصطبان

ويقول محمود حسن اسماعيل فى يوم عيد :

يا فرحة العيد ما بى لا يساورنى لديك الا أسى فى القلب موار
لم يكفنى مدمى أجرى سواكبه هم أناخ على جنبى جيار
ويشاركه « محمود غنيم » فى صرخته يوم العيد فيقول :

يا عين عذرا ان نظمت نشيدى لك حافلا بالنوح لا التفريد
ولقد أردت السير فيك مهنتا فوجدت رسغى مثقلا بحديد

ويعد « رامى » ظلام الليل أقل سوادا من ظلام قلبه الحزين فيقول :

وظلام الدجى أقل سوادا من حنايا فؤادى المحروق

(١) انظر محمود العالم وعبد العظيم أنيس : فى الثقافة المصرية ص ١١٢ وما بعدها .

كما يرى « شيبوب » لياسه أن الموت راحة فيقول :
كم دعوت المات دعوة يأس عالما أن راحتى فى مماتى
وهكذا يوقع هؤلاء الشعراء هذه النغمات الحزينة على قيثارة شعرهم وهم فى
معزل بياسهم عن الحياة - وقد اتخذ هؤلاء الشعراء من الطبيعة أما رء وما فلجأوا
اليها وأندمجوا فيها باحثين عن السكينة فى جوارها « تاركين كون الناس الى
كون سواه » وعشرة الانسان الى عشرة الحيوان والجماد .

يقول « أبو شادى » :

ورجعت للساء المربرد مستزيذا ما حكاه
وتركت كون الناس فى يأس الى كون سواه

ويقول « العوضى الوكيل » فى قصيدته « الطيور » :

أشرف الصبح فقومى يا طيور وأصدحى ما شئت باللحن النضير
فوق هام الغصن أو عند الغدير لا يساميك حفيف أو خرير

ويقول « محمود غنيم » :

املا السمع والنظر بالفنون
ثم أفضى الى القمر بشجونى
ليس سرى لدى البشر بمصون

ويقول محمود حسن اسماعيل :

نبذنا عشرة الانسان ذاك الأثم الفاجر
سواء ذلك الطاغى ووحش الغيضة الكاسر
وعشنا عيشة النساك فى طهر بوادينا
ثفاء الشاه تسييح وتهليل بارينا

ويقول شيبوب: (١)

جئت الى النهر قاصدا
مسرحة الفكر ناشدا
جسام نفسي على حصاه
من الملا راحة الحياه

على أننا قد نبرر هذا النوع من الأدب حين نمدد لونا من الاحتجاج السلبي ،
والحق أن القارئ لهذا الشعر الراض للحياة الهارب منها الى الطبيعة يتعشقها
ويتوحد معها والى الحب يقدسه ويقف الى ظله والى الخيال المصح يستلهمه ويبني
منه لنفسه حياة مثالية واهمة .. الحق ان القارئ لهذا الشعر الراض الهارب
اليئاس البائس يستشف من ورائه نفوسا ثائرة وعقولا حائرة فيحار لحيرة هذه
العقول وينور لثورة تلك النفوس ويفكر في الخلاص ، والشعب لكي يثور على
الأوضاع الفاسدة القائمة لا يكون في حاجة الا الى من يولد فيه الحيرة ويحرك
فيه الثورة بطريق ما من الطرق مباشرة أو غير مباشرة .

لقد نستطيع أن نبرر هذا النوع ولكن مالا نستطيع أن نبرره هو تلك السلبية
التي منى بها البعض في صورة جمود عن نظم الشعر قويا حماسيا ثائرا يدعو الى
فك الاغلال وتحطيم القيود في غير ما تهيب ، أو حتى ضعيفا فاترا خائرا يتلفت من
حواله اذا ثار خوف الرقباء ، أو خياليا رومانسيا حالما وحزينا بائسا يائسا ، يكفر
بشريعة انبشر ويصلى في محاريب الطبيعة ويخلق في سماء الخيال .

يقول أحمد حسن الزيات ناعيا على أولئك الشعراء الذين خلت نفوسهم
وخمدت قرائحهم والشعب من حولهم نار مشتعلة بالفضيب (٢) :

« ومما يملأ النفوس أسفا ودهشة أن شعراء اليوم منوا بالجمود والأذهان
ثائرة وأصيبوا بالاصفاء (٣) وأسباب القول وافرة والشعب مضطرم الشعور ثائر
الفكر يجاهد في سبيل وجوده بحيرته ودمه وماله وهم قاعدون تحت الجدر
يتشاءبون ويتمطون في دفة الشمس تاركين الجيش من غير موسيقى اللهم الا

(١) أنظر تطور الشعر العربي الحديث في مصر د- ماهر حسن فهمي
ص ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ص ٢٦٢ وما بعدها .
(٣) يقال اصفى الشاعر اذا انتقطع شعره .

صدحات من بلبل النيل « شوقى » يرسلها الحين بعد الحين فتجلوا صدىً الخواطر
وتحيى موات القلوب ، وعهدنا بالثورات السياسية والنهضات الاجتماعية تفتق
القرائح وتهيج الوجدان وتنطق الألسنة ، ولكن مصر لا تزال بلد الأسرار
والعجائب .

وقد اتهم الشعر قبل الثورة بما اتهم به الشعر العربى كله قبل عصرنا الحديث
من المبالغة الفائقة حد المعقول مما يثير الضحك بل الهزاء أحيانا فهو لا يوحى
بالصدق ولا يقنع بالمقصود ولا يسمح بالنقل الى لغات أجنبية وذلك مثل ما رواه
« العقاد » من قول « حافظ ابراهيم » فى مدح بعض الوجهاء (١) :

إذا سرت يوما حذر النيل بعضه	مخافة جيش من مواليك يغشاه
وان كنت فى روض تغنت طيوره	وصاحت على الأفنان يحرسك الله
وكان ابن داود له الريح خادما	وتخدمك الأيام والسعد والجاه
تحل بحيث المجد ألقى رحاله	فظاهرة والبيت والقدس أشباه

ولكن مع كل هذه الأخطاء وغيرها مما يتهم به هذا الشعر الذى سبق قيام
الثورة فانه لا يسعنا ازاء الظروف القاسية التى كانت تمر بها البلاد بما يسلأ -
لا شك - القلوب أسى والنفوس وحسرة .. لا يسعنا الا أن ننتقز لأولئك الشعراء
تلك الأخطاء ، ثم لا نلتفت الا للجهد الذى بذلوه فى سبيل تحرير بلادهم والجهاد
الذى عانوا منه برغم أنه لم تكن لديهم نظرية سياسية واضحة أو قيادة وطنية
حكيمه وما زالوا بشعرهم يدفعون الوطن الى الأمام متحددين التيار والاعصار حتى
كانت ليلة الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢ حين أسلمت البلاد مقادمتها
الى ربان ماهر ليرسو بها على بر الأمان ويوقع لها عقدا بحياة جديدة مع الزمان
تتوفر لها فيه على مر الأيام حرية سياسية واشتراكية انسانية ووحدة عريية .

(١) أنظر شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ص ١٧ وما بعدها .

الفصل الأول الاتجاه الوطنى

تمهيد :

لقد وضع لنا من خلال بحثنا عن الشعر قبل الثورة أن جاتيا كبيرا منه نتيجة لعوامل كثيرة محيطة ، قد هرب من الحياة والناس الى حيث الطبيعة والخيال المجنح والحب البائس المعذب وهو ما نسميه بالشعر الرومانسى أو شعر الوجدان الذاتى الخاص .

وتكن ما أن طلع صبح الثورة على البلاد وزالت العوامل المحيطة أو كثير منها من طريق الشعب ، وبدأت الثورة تضع الأسس لصرح الديمقراطية والاشتراكية الشامخ وتسعى لخير وسلام وحرية الوطن العربى وتشارك في حل القضايا العالمية .. حتى أخذ الشعر يتجاوب مع الثورة فيما تحقق من منجزات وما تقرر من أهداف رابطا قلوب الشعب بها عن طريق الهاب عواطفهم ومشاعرهم واقناعهم بالدور الخطير الذى تقوم به الرسالة الجليلة التى تحملها لخير المجتمع والعرب والانسانية .

وكان هذا هو الاتجاه الواقعى الاشتراكى لأنه وصف لواقع الحياة في مجتمعنا وتبشير بالمبادئ الاشتراكية التى يحملها وينادى بها .

والى جانب هذا الاتجاه الواقعى الموضوعى الذى ينقسم الى اتجاه وطنى واتجاه قومى واتجاه اجتماعى واتجاه انسانى .. نطلع اتجاه آخر هو الاتجاه الذاتى الذى يعبر فيه الشاعر عن ذات نفسه ، ويدور حديثه فيه عما يضطرم بين جوانحه من آلام وآمال .

فالانجاهات التى ينتجها اليها الشعر في هذه المرحلة — كما نراها — هي خمسة اتجاهات :

- ١ - اتجاه وطنى .
- ٢ - اتجاه قومى .
- ٣ - اتجاه اجتماعى .
- ٤ - اتجاه انساني .
- ٥ - اتجاه ذاتى .

الاتجاه الوطنى :

وهو أظهر الاتجاهات التى اتجه اليها الشعراء فى هذه المرحلة ولا سيما شعراء الشكل المروضى القديم . وهذا أمر طبيعى لأن الوقت هو وقت الانتصارات الثورية المتوالية المتلاحقة والشعر العمودى هو الشعر الخطابى الذى يميل الى التهويل والتضخيم والتطريب سواء بموسيقاه أو بألفاظه وتراكيبه ومعانيه وأفكاره وصوره البلاغية فهو الذى يناسب هذه الظروف الجديدة فى المجتمع .

وفى هذا الاتجاه يشيد الشعر بالانجازات الوطنية والانتصارات الثورية كما يدعو الى الأمانى والأمال القومية .

فالتعبير فيه هو تعبير عن المجتمع : أحداثه وأهدافه ، ووصف لمشاعر وعواطف الجماهير ازاء تلك الأحداث والأهداف .

ومن الأحداث والمناسبات الوطنية التى أبرز الشعر قيستها وأوضح أثرها فى الشعر وتأثيرها على مستقبله الحدث الكبير بقيام الثورة .

استقبال الثورة : -

كان يوم الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ م بداية مرحلة جديدة ومجيدة فى تاريخ النضال المتواصل للشعب العربى فى مصر ، فقد داس الشعب المصرى بأقدامه فى يوم ثورته على كل الرواسب المتخلفة من بقايا قرون الاستبداد والظلم وأسقط الى غير ما رجعة جميع السلبات التى كانت تحد من ارادته فى اعادة تشكيل حياته من جديد .

فقد كان الغزاة الأجانب يحتلون - على أرضه - بالقرب منها - القواعد المدججة بالسلاح ترهب الوطن المصرى وتحطم مقاومته - وكانت الأسرة المالكة الدخيلة تحكم بالمصلحة والهوى وتفرض الذلة والخنوع ، وكان الاقطاع يملك

حقوله ويحتكر لنفسه خيراتها ولا يترك للملايين الفلاحين العاملين غير الهشيم الجاف المتخلف بعد الحصاد ، وكان رأس المال يمارس ألوانا من الاستغلال للثروة المصرية بعدما استطاع السيطرة على الحكم وترويضه لخدمته ، وكانت القيادات السياسية المنظمة لنضال الجماهير قد استسلمت واحدة بعد واحدة واجتذبتها الامتيازات الطبقية وامتصت منها كل ثورة على الصعود بل استعملتها بعد ذلك في خداع جماهير الشعب تحت وهم الديمقراطية الزائفة ، وأما الجيش فقد حاولت القوى المسيطرة المعادية لمصالح الشعب أن تضعفه من ناحية وأن تصرفه من ناحية أخرى عن تأييد النضال الوطني بل كادت أن تصل به الى استخدامه في تهديد هذا النضال وقمعه .

وجاءت الثورة لمواجهة هذه الرواسب والسلبيات وأعلنت مبادئها الستة المشهورة التي تحققت ارادتها من مطالب النضال الشعبي واحتياجاته . في مواجهة جيوش الاحتلال البريطاني الراضية في منطقة قناة السويس كان المبدأ الأول وهو القضاء على الاستعمار وأعوانه الخونة المصريين ، وفي مواجهة تحكم الاقطاع الذي يستبد بالأرض ومن عليها كان المبدأ الثاني وهو القضاء على الاقطاع وفي مواجهة تسخير موارد الثروة لخدمة مصالح مجموعة من الرأسماليين كان المبدأ الثالث وهو القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وفي مواجهة الاستغلال الذي كان نتيجة محتمة لهذا كله كان المبدأ الرابع وهو اقامة عدالة اجتماعية ، وفي مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش واستخدام ما تبقى من قوته لتهديد الجبهة الداخلية المتحفزة للثورة كان الهدف الخامس وهو اقامة جيش وطني قوى ، وفي مواجهة التزييف السياسى الذى حاول أن يطمس معالم الحقيقة الوطنية كان الهدف السادس وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة^(١) .

لقد كانت ثورة ١٩٥٢ بقضائها على شرور الماضى ورسما لسياسة البناء للمستقبل .. ورسما لسياستها الداخلية التي تقوم على دعم الديمقراطية وبناء الاشتراكية وتحقيق الوحدة العربية ولسياستها الخارجية التي تعمل على تصفية

(١) انظر الباب الاول من الميثاق « نظرة عامة » .

الاستعمار وإشاعة السلام والتعاون الدولي من أجل الرخاء ، ورفض التكتلات العسكرية ونبذ الأحلاف ومقت سياسة الانحياز .. كانت هذه الثورة بحق هي الثورة الأم لكل الثورات التحررية التي شبت في كل أرجاء العالم منذ قيامها .. كانت ثورة رائدة « ثورة غيرت مجرى التاريخ في النصف الثاني من القرن العشرين » كما وصفها ج . أدبسون الأستاذ الجامعي الأمريكي^(١) .

وكان طبيعيا أن يستقبل الشعب وشعراؤه هذه الثورة العظيمة بالفرحة العامة والترحاب الشديد لأنها كانت حلم الأجيال المتعاقبة التي ضحت وكافحت وانتظرت في شوق ولهفة أن يطلع فجرها ويشرق نورها .

ولم يكن هذا الاستقبال الحافل للثورة مقصورا على شعبنا وشعرائنا المصريين فحسب بل شمل سائر شعوب الوطن العربي وشعرائه أجمعين ، بل لقد أشاد بها المنصفون من كتاب الغرب .

ولوفوع الثورة هذا الموقع العظيم من نفوس شعرائنا انطلقت عبقرياتهم وبراعاتهم بالشعر الذي يفيض عاطفة صادقة واحساسا قويا لأن الانفعال الشديد بالحدث الكبير الذي ملك عقول الجماهير العربية ومشاعرهم أطلق عقول الكلمات بأحسن ما عندها صدقا وتصويرا .

لقد برزت بروزا واضحا في شعر مجتسنا الجديد غاية التعبير عن فرحته بالثورة وباتنصاراتها وتأييد سياستها على الصعيد المحلي والقومي والعالمي وتأكيد أهدافها في الحرية والاشتراكية والوحدة والحياد الايجابي وعدم الجواز والسلام القائم على العدل ومحاربة الاستعمار بجميع صورته وأشكاله .

ولعل شاعرا عربيا واحدا من شعرائنا المحدثين سواء ممن واصلوا نظمهم بالشكل العروضي القديم أو كتبوا شعرهم بالشكل الجديد .. لعل شاعرا عربيا واحدا لم ينس أن يجعل من هذا المجال غرضا لشعره فكتب فيه القصائد الكثيرة أو القليلة ، القصيرة أو الطويلة ، وإن كان الشكل القديم يتمرسه به وبامكانياته الخطابية وبرااته العالية قد برز فيه أكثر من الشكل الجديد .

(١) أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن : تمهيد ص ١٢ .

وسوف نقصر حديثنا عن شعر شعرائنا في مصر بل عن بعض شعر هؤلاء الشعراء مما يفى بالفرض المطلوب .

ففى تحية الثورة يشيد الشعر بالحاضر ويندد بالماضى ويحيى رجال الثورة الأبطال ويزداد حبا لمصر وتعلقا بها .

يقول « عبد العليم القبانى (١) » مفاخرا بالعهد الجديد منددا بزعماء العهد البائد .

اليوم لا قيصرات ولا خدم ولا دخيل له فوق الربى علم
اليوم عادت الى الوادى كرامته واستشرف النور من أهوت به الظلم
أين الذين استباح العار عسرهم واسترأوا السدل حتى ذلت القيم
عاشوا وللحق فى صيحاتهم أثر حتى اذا وضع الحق المبين عموا

ويحكى فوزى العنتيل (٢) فى قصيدة « مولد شعب » قصة الصراع التى خاضها الشعب بدمائه وضحاياه حتى طلع الفجر عليه بقيام الثورة .

وعلى ذراع السهل فى الوادى المتوج بالنجيع
بدم الضحايا الأبرياء ، دم المصفد ، والصريع
جمدت خطا شعبى ، لتشهد موكب الفجر النضوع
فمشيت أحتضن الجموع لكى تباركنى الجموع ..

وبلسان الشعب يعبر « محمد على أحمد (٣) » عن الدور البطولى الذى أداه ذلك الشعب العظيم حتى قامت الثورة :

حملنا الرؤوس براحتنا وجئنا مع الحق نرعى الذمم
ونحمى الديار وأركانها ونصلح من شأنها ما انهدم

(١) ديوان « أشعار قومية » قصيدة « قصة الثورة » ص ٥٧ .
(٢) ديوان « عبر الأرض » ص ٥١ .
(٣) من قصيدة « رفعتنا الرؤوس ورفع العلم » انظر شعر الثورة فى الميزان ج ٢ ص ٣٨ وما بعدها .

ويؤد، البشرى الى النيل لانعامات الوفاء والاخاء بظهور الحق :
فبشارك يا نيل حى الوفاء وحى الاخاء وقل للأمم
هنا صفق الحق للمخلصين وزغرد بين الرمال الهرم
ويعلن « محمود غنيم(١) » تشفيه من حكام العهد الماضى وظلمهم وعشهم :
تكلم أيها القدر المتاح وللأقدار ألسنه فصاح
وحدث عن نهاية كل باغ فان حديثك الحق الصراح
ولن يبقى على الأيام ملك دم الأحرار فيه يستباح
ولن يرجى لشعب بات فيه ولالة الأمر تجارا فلاح
ويقول « أحمد رامى » مزهوا بمصر التي ثارت بالشعب والجيش في وجه
الظفأة وأزالت دولة الظلم ودعت الى حق الحياة لأبنائها :
مصر التي في خاطرى وفي فسى أحبها من كل روحى ودمى
أحبها للموقف الجليل من شعبها وجيشها النيل
دعا الى حق الحياة لكل من في أرضها
وثار فسى وجه الظفء مناديا بحقها
وقال في تاريخه المجيد يا دولة الظلم انمحي ويىدى
وبصف أحمد خميس(٢) الثورة بأنها تحرر لهذا الشعب :
بنى مصر هذى عيون الورى تكاد تسائل عما ترى
هو الشعب في أرضنا قد جرى يدك الظلام يذيب القيود
ويهتف قد راح ليل العبيد
ويصفها محمد عبد الفنى حسن(٣) بأنها الصباح الذى نسخ بضيائه ظلام
العهد البائد ونشرت فيه العدالة وتمتحت آمال الشعب :

(١) ديوان في ظلال الثورة .
(٢) انظر د* أحمد بدوى : « من النقد والأدب » المجموعة الثالثة ص ٧٤ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ٧٣ وما بعدها .

وبدا الصباح على البطاح مضمونا
تمشى العدالة فيك وهي حقيقة
وتفتحت آمال شعب مثلما
ويصفها محمود حسن اسماعيل^(١) بأنها نقحة في الصور تحيي الهالكين ،
أو صيحة هادرة تنبه الضائعين ؛ أو نور يسلا بالأمل قلوب اليائسين ؟
بدأنا كما بدأ الهالكون إذا الصور في جانبهم ألم
بدأنا كما اتتبه الضائعون على صيحة من هدير القمم
بدأنا كما اتفض اليائسون على ثورة النور في ليهم
ويشيد الشعر بالثورة لأنها ثورة بيضاء لم ترق فيها دماء - فيقول محمد
عبد الغنى حسن^(٢) :

هي ثورة بيضاء لم يهرق دم فيها ولم تسكب بها آثام
تركت بناء البغى وهو مصدع دكت قواعده فليس يقام
ويقول محمود غنيم مخاطبا رجال الثورة^(٣) :
معارك بالثبات كسبتموها ولم تطلق بساحتها قداح^(٤)
ولا سالت على أرض دماء ولا أحرمت من العلق الصفاح^(٥)
كذلك يشيد الشعر برجال الثورة الذين حرروا البلاد من الظلم والفساد
يقول محمود حسن اسماعيل^(٦) :

رعى الله من ردها للحياة ومن بث فيها جديد العمر
وأحيا ثراها فلم يبق فيه طريق لغير العلال والظفر

(١) د. أحمد بدوي : من النقد والادب ص ٧٤ .
(٢) أنظر د. أحمد أحمد بدوي : من النقد والادب - « المجموعة الثالثة »
ص ٧٣ وما بعدها .
(٣) أنظر د. أحمد أحمد بدوي : شعر الثورة في الميزان ج ١ من قصيدة
« عرش بدوي » ص ٢٧/٢٤ .
(٤) القداح : جمع قذح وهو السهم .
(٥) العلق : الدم المتجمد والصفاح : السيوف .
(٦) من قصيدة نداء الحرية « أنظر شعر الثورة في الميزان ج ٢ ص ١٩٦ وقد
نشر بمجلة الاذاعة في ٣٠ يوليو سنة ١٩٥٥ .

ويقول محمود غنيم(١) :

حماة النيل أحرزتم لمصر تهلت العسوية يسوم ثرتهم
نجاحا لا يضارعه نجاح كأن العرب أدركهم «صلاح»(٢)
وما كالظلم للشورات زاد ولا مثل الفساد لهم لقاح
وكيف يكافح الأعداء شعب وبين الشعب والعرش الكفاح
ويوازن الشعر بين النور الذي ظهر والظلام الذي انحر بطلوع فجر الثورة .
يقول أحمد رامى(٣) .

الذى كان انقساماً صار ودا ووئاماً
والذى كان خصاماً صار أمناً وسلاماً
والذى كان ظلاماً صار نوراً وابتساماً
والذى كان كلاماً صار أعمالاً جساماً

ويدعو الشعر الى الكفاح والاستمسك بالثورة وافتدائها .

يقول كامل الشناوى(٤) :

أنا يا مصر فتسأك بيىدى أحى حماك

ودمى ملء ثراك

بلدى لا عشت ان لم أفتدى يومك الحر ييومى وغدى
نازفاً من دم أعدائك ما نرفسوه من أبى أو ولدى
ويقول محمود عبد الحى(٥) :

أقسمت باسمك يا بلادى فاشهدى أقسمت أن أحى حماك وأفتدى
سأقى بمهدك بالفؤاد وباليد وبنور حيك أستضىء وأهتدى

- (١) من قصيدة « عرش هوى » : شعر الثورة فى الميزان ج ١ ص ١٤ - ١٧ .
(٢) صلاح : هو صلاح الدين الأيوبى .
(٣) انظر د. أحمد. أحمد بدوى : شعر الثورة فى الميزان ج ٢ ص ٢٠١ .
(٤) انظر كتاب أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن : قصيدة « كنت فى صمتك
مرغم » ص ٥٦ .
(٥) انظر شعر الثورة فى الميزان ج ٢ « نشيد القسم » ص ٣٨ وما بعدها .

الجيش تعليه شجاعة جنده والغاب تحميه حميه أسده
وشباب وادي النيل رافع مجده ولينصرون الله حافظ عهده
نقاء الملكية وعلان الجمهورية :

وفي الغاء الملكية يطالب الشعر بالغائها قبل أن تلغى بالفعل ويسخر مما في
النظام الملكي من مفارقات أظهرها وراثة الملك للأطفال الصغار .

فقبل أن تلغى الملكية وفي أكتوبر ١٩٥٢ يطالب الدكتور أحمد زكي
أبو شادي بالغائها لتتخلص من أذاها ولكي تكون السلطة للشعب لا للفرد(١) :

اقطعوها وانبذوا من دعاها نعممة انا شبعنا من أذاها
قد خدعنا في الذي قالوا لنا عن جناها بئس ما يجني جناها
خدعونا حقبة واستهلوا أن يضلوا الشعب في الذل فتاها
سلطة الشعب هي الأم التي أنتم الأحرار لا شيء سواها

ويسخر محمود غنيم من النظام الملكي ذلك النظام الذي سمح بتولية الطفل
« أحمد فؤاد » ملكا عقب خلع أبيه الملك « فاروق » . وكان ذلك من الثورة
تسهيذا لالغاء الملكية وعلان الجمهورية . ولهذا لم يبق اسم « أحمد فؤاد »
مرتبطا بالملكية الا أشهرها معدودة ، فقد نزل « فاروق » عن العرش وطرد من البلاد
في ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ وألغى النظام الملكي وأعلنت الجمهورية في ١٨ من
يونية سنة ١٩٥٣ . يقول الشاعر غنيم(٢) :

لنا ملك سامي المقام رفيع تبوأ دست الملك وهو رضيع
أقيم له عرش وزلزل عرشه ولم يرض في الدنيا عليه ربيع(٣)
عفا الله عن شعب وديع مسالم يلي أمره أطفاله فيطيع

(١) انظر شعر الثورة في الميزان ج ٢ قصيدة « الفوا الملكية » ص ٦٩ او كتاب
شعراء الوطنية ص ٢٨٤ وأظن أن البيت الأول قد سقطت منه (قد) قبل « دعاها »
ليستقيم الوزن - وينبغي الإشارة الى أن الشاعر نفسه طالب قبل الثورة بالغاء الملكية
فقد نشرت بمجلة الشهباء الصادرة في حلب (عدد ابريل سنة ١٩٥٠) قصيدة طلب
فيها بالغاء الملكية وهاجم فيها « فاروقا » وشبهه بالكركدن ص ١٧١ وقد سبق في
شعر التمهيد للثورة الاستشهاد ببعض آبياتها .
(٢) انظر « في ظلال الثورة » ص ٣٤ وما بعدها .
(٣) يطلق الربيع ويراد به العام .

وعندما أعلنت الجمهورية حالة محل الملكية في ١٨ من يونيو عام ١٩٥٣ عبر « محمود غنيم » عن فرحة الشعب بها مبينا أن الحكم لا يكون للفرد وإنما للشعب وأن الملك لا يكون ارثا لابن أو بنت ، فقد يكون وارث الملك غيبا أو أحمق فيورد البلاد موارد الهلاك ، فتحرير البلاد من الملكية تحرير لها من الذل ، ولهذا استحق رجال الجيش الذين قاموا بالثورة كل تقدير وعليهم أن يقيموا صرح دولتهم الجديدة على العدل والشورى ويجنبوها أخطاء العهد البائد التي وقع فيها - فقال :

لا أعرف الفرد تمنى فيه أمته لبرا فان يهو يهو الكل من سعد
الفرد ليس على شعب بمؤمن فليحكم الفرد لكن غير منفرد
كم سيطر الحمق والنوكى على بلد اذا توورث عرش الحكم فى البلد(٢)

ثم يقول :

قالوا اختفى الملك عن مصر فقلت لهم بل اختفى الذل من مصر الى الأبد
وبعد عامين من اعلان الجمهورية يشيد بها الدكتور « أحمد زكى
أبو شادى(٣) » فى قصيدة « الجمهورية » يقول حاثا الشعب على التمسك بها
والتطلع الى أعمال جلييلة أخرى غيرها .

اذا الحكم للجمهور أصبح رائدا أبى الحق أن يلتقى به العار والظلما
فيا مصر عضى بالنواجذ حرة على ما كست اليوم واغتنى اليوما
وهيا أعدى للغد المرتجى علا تبز باعجاز لها كل ما تما

قانون الاصلاح الزراعى :

وتصدر الثورة أول قوانينها الثورية فى التاسع من سبتمبر سنة ١٩٥٢ محطة
نظام الاقطاع ومحررة الفلاح المصرى من استبداد كبار الملاك ومسلية الى الزارع
أرضه التى طالما شقى فيها وحرم من ثمارها ، تصدر الثورة قانون الاصلاح الزراعى

(١) النوكى : جمع انوك وهو الاخرق القبى .
(٢) شعر الثورة فى الميزان ج ٢ ص ١٧٣ .

لتكشف عن وجهها الاجتماعي الاشتراكي منذ الشهور الأولى لقيامها . ويقضى هذا القانون بتحديد الملكية الزراعية بمائتي فدان للفرد(١) .

ويحیی الشعراء هذه الخطوة العظيمة لتحرير الفلاح من سيطرة الاقطاع وتملكه لأرضه التي طال حرمانه منها ناعين على بعض فلول الاقطاع المنهزمة ومحاولاتهم - دون جدوى - الوقوف في وجه التيار الثوري ، كما فعل « عدلي لموم » حين زين له منطق الاقطاع أن يتمرد على قانون الثورة فلم يفلح وأخذ بجريته فكان عبرة لمن اعتبر .

يقول فيه هاشم الرفاعي(٢) :

أظننت أنك موقف الركب الذي قد سار للعلياء في اسراع
هذا هو السجن الرهيب فذق به كأس الهوان بطعمها اللذاع
ويقسو « على الجندي(٣) » على أولئك المتبرمين ليذكرهم بأن الأرض
ليست لمن يعيش بغير عمل ، ثم ينفق ريعها على بنات الهوى ، انما هي وغلتها لمن
سقى غرسها وحصد زرعها :

ليست الأرض أرض من في مقاصيره رقد
منفقا ريعها على ربة الدل والغيد
انما غلة الضياع لمن جد واجتهد
انها للذي سقى غرسها والذي حصد
ثم بذكرهم أن الثورة كانت رحيمة بهم ولو كانت ثورة غيرها لاحترقوا بناها
وشتوا الى الأبد :

لو منيتهم بشورة شها الغل والجرد(٤)
لاحترقتم بنسارها وشتقتم الى الأبد

(١) وقد صدر بعد ذلك في ٢٥ يولية سنة ١٩٦١ قانون آخر يجعل الحد الاقصى للملكية الزراعية للفرد مائة فدان ، ثم صدر في ٢٣ يوليو ٦٩ قانون ثالث يجعل الحد الاقصى للملكية خمسين فدانا للفرد ومائة فدان للأسرة .

(٢) ديوان هاشم الرفاعي ص ٨١ من قصيدة بعنوان « فتى الاقطاع يتمرد » ،
(٣) أنظر د . أحمد أحمد بدوي : من النقد والأدب (المجموعة الثالثة ص ٨٠ وما بعدها .

(٤) الجرد : الغضب .

ويصف « هاشم الرفاعي(١) » أثر قانون الإصلاح الزراعي في فلاحى قرية
انثااص احدى اسلاب الاقطاع فى العهد الماضى فيقول :

« انثااص » تذكر بؤس أيام مضت خطت عليها بالدموع سطور
ذاق الفقير بها الحياة ذميمة يظنيه من ظلم الطغاة سكير
كهم بالدم المهرق من ابدانهم ملكت ضياع جملة وقصور
بعث الآله الى البلاد « جبالها » فتحطمت للفسدين صخور
ويختصر « على الجندي(٢) » هذا المعنى من زوال بؤس الفقراء وظلم الأغنياء
وتساويهما جميعا فى رغد الحياة فيقول :

ذهب الحقد والحسد ومضى البؤس والنكد
وانقضى الظلم وانطوت دولة الصيد والصيد(٣)
وتساوى بنو العنى وبنو الفقر فى الرغد

ويحكى « أحمد عبد المجيد الغزالى(٤) » قصة الفلاح وكيف عاش فى ظلام
الكوخ وأخذ يكدح صابرا حتى قامت الثورة لتعيد اليه حقه فيجنى الورد
لا الشوك ويعز بعد ذل طويل .

أيها السادرون فى ظلمة الكوخ أفيقوا على ائتلاق الصباح
صبر الكادح المكافح حتى ضاق بالصبر ذرعه والكفاح
لم يعد شوكة له وسواه نائم بين وردها والأفاحى
عز فى أرضه الذى عاش دهرا دامى القيد مستذل الجناح

ويتكلم « السيد محمد الجيار(٥) » بلسان الفلاح الأجير الذى تحرر بالثورة
من الرق مقسما أن يحمى أرضه من كل باغ :

(١) ديوان هاشم الرفاعي قصيدة « الإصلاح الزراعي » ص ١٩٩ .
(٢) د. أحمد أحمد بدوى : من النقد والأدب (المجموعة الثالثة) ص ٨٠
وما بعدها .
(٣) الصيد الأولى (بكر الصاد وسكون الباء) جمع أصيد وهو الملك ، والصيد
الثانية (بفتح الصاد والياء) داء يصيب الأبل .
(٤) انظر د. شعر الثورة فى الميزان ج ١ قصيدة الفلاح وثورة الإصلاح
١٠٣ ، ١٠٤ .

أقسمت بالفأس الذى عرفته كافرته الصخور
أقسمت بالعرق المخضب حين يلعب فى الهجير
أقسمت أن أحملك يا أرضى من الباغى المغير^(١)

الجملاء والاعتداء على عبد الناصر :

وتم الجملاء وكان جملاء الانجليز عن مصر حلم الأجيال التى ناضلت وكافحت قبل ثورة ١٩٥٢ أربعة وسبعين عاما دنست فيها أقدم الاحتلال أرض وطننا العالى وقدم فيها المحتلون عديدا من الوعود بالجملاء كلها كاذب ومزيف ، فقد وعدت انجلترا بالجملاء فى الثالث من يناير عام ١٨٨٣ وأعلنت أمام ثورة الشعب تصريحها الذى جاء فيه « انه اذا كانت القوات البريطانية باقية لحفظ النظام فان حكومة جملاء الملكة لترغب فى سحب قواتها بمجرد ما تسمح حالة البلاد » . ولكنها لم تسمح .

وعدت بالجملاء فى أغسطس سنة ١٨٨٣ حينما طالب به شريف باشا رئيس وزراء مصر وقتئذ بسبب الارتباك المالى ثم سحبت هذا الوعد .

وأمام الضغط الفرنسى فى مؤتمر لندن الذى عقد لبحث المالية المصرية وعدت انجلترا بالجملاء فى حدود عام ١٨٨٨ بيد أن الصراع بين فرنسا وانجلترا انتهى الى عقد اتفاق ودى بينهما عام ١٩٠٤ أطلقت انجلترا بموجبه يد فرنسا فى شمال افريقية على أن تتغاضى هى الأخرى عن بقاء انجلترا فى مصر والعراق .

ثم وعدت السلطات بالجملاء عام ١٨٨٧ خلال ثلاثة أعوام من توقيع الاتفاق ، واستغلت سوء الحالة المالية فى مصر لتتنقض هذا الوعد .

وبعد ثورة مصر عام ١٩١٩ قامت مفاوضات بين مصر وبريطانيا ظلت بين المد والجزر ثم تمخضت عن حصول مصر على الاستقلال الذاتى سنة ١٩٢٢ وبقي الاحتلال ولم يتم الجملاء .

وبعد الحرب العالمية الثانية التى وقعت مصر فيها الى جانب بريطانيا فى حربها مع الألمان واليطاليان وكانت سببا فى هزيمة المحور فى العلمين ، وأمام يقظة مصر

^(١) شعر الثورة فى الميزان ج ٢ ص ١٥٩ وما بعدها قصيدة « من قسم الأرض » ويؤخذ على الشاعر تذكيره الفأس وهى مؤنثة وتسكينه « احميك » والصحيح نصبها بالفتحة .

وثورة أبنائها مطالبين بالجلء أعلنت انجلترا بعد ذلك أن المصريين قد قرروا عدم التفاوض معهم وجدوا في مناوأتهم واقلاق راحتهم لم يسعهم الا أن يهجروا الأرض التي نبتتهم ، فكانت اتفاقية الجلء في التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩٥٤ ثم الجلء في الثامن عشر من يونيه سنة ١٩٥٦ (١) .

ولكن حينما وجدت انجلترا بعد ذلك أن المصريين قد قرروا عدم التفاوض معهم وجدوا في مناوأتهم واقلاق راحتهم لم يسعهم الا أن يهجروا الأرض التي نبتتهم ، فكانت اتفاقية الجلء في التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩٥٤ ثم الجلء في الثامن عشر من يونيه سنة ١٩٥٦ (١) .

لقد كان الجلء هو الأمل الذي عاش الشعب ينتظره أكثر من سبعين عاما مضحيا في سبيله بدماء أبنائه وفلذات أكباده .

وقد سمعنا الشعراء قبل قيام الثورة يتغنون بالجلء أملا بعيدا ، فبعضهم يشبه يومه بيوم الحشر والبعض يرى أنه ليس هناك عيد يضاهي عيد الجلء .

(١) قبيل عقد الاتفاقية بالجلء :

وقبيل عقد اتفاقية الجلء وتمهيدا لها كانت الثورة قد حرّضت الفدائيين ليقضوا مضاجع المحتل في منطقة القنال كي يرغموه ارغاما على الجلء وكان الشعر مع الثورة يذكي نار الحماس في أبناء الشعب المخلصين المقاتلين وها هو « مصطفى بهجت بدوى (٢) » يثير الحمية في كئيب التحرير بالقناة فيقرر رفض منطلق المفاوضات ذلك المنطق الذي جر على البلاد احتلالا لسنين طويلة دون فائدة :

قد سئتم من هتاف ما أفاد	ضائع الصرخة مكسور العماد
ليس بالزيف ولا القول الجهاد	انه بعث وحرب ومحسن
فاوض المحتل كل العاقلين	فظفرنا باحتلال لسنين
ووعود وجلء من حمى	لحمى آخر في هذا الوطن

ثم بين أثر الايمان في تحطيم كل ما يتسلح به المحتلون من وسائل التحصين والقتال :

(١) أنظر « أغنية الكفاح » لمصطفى عبد الرحمن ص ٨٧ وما بعدها .
(٢) أنظر د - أحمد حمد بدوى : من النقد والأدب « المجموعة الثالثة ص ٨٢ .

بين ألقام وسلك شائك وجحيم وعتاد فاتك
زحف الايمان فاندكت قوى خصمك وارثد عنكم وجبن
ويصيح « عبد السميع شعراوي (١) » هاتفا بالشباب أن يقدوا البلاد بالدماء
من أجل الجلاء فيقول في نشيده « صيحة الشباب » :

للفدا يا شباب للفدا يا جنود
مصر فوق السحاب منذ عهد الجدود
في رمال القنصاه قد حفرنا القبور
للفغاة الجناه قد حزمنا الأمور

* * *

اشهدى يا سماء واثارى يا دمء
فالجلاء الجلاء بالدماء الدماء

ويتحدث « محمد على أحمد (٢) » على لسان الشهيد « أحمد فريد ندا »
ضابط شرطة نقطة « فايد » الذى كان يقوم بواجبه في مكافحة الانجليز فقتلوه ،
فيقول في حفل تأبينه بلسانه :

نادى الفداء وأنا الوفء والأرض أرضى وأنا حامى الوطن
رمت الصعود نحو الخلود فدفت عمرى ، كى أوفى بالثمن
ثم يبشر الشهيد أباه بالنصر المرتقب الذى يحمله الى الوطن استشهاده أمثاله .
وأرقب غدى فعلى يدي حملت نواء النصر أشبال العرين
وغدا ترى أرض القسرى فرحى تخضبها دمء الغاصبين

(ب) بعد توقيع الاتفاقية والاعتماد على عبد الناصر :

وحين وقعت الاتفاقية بالجلاء انطلق صوت الشعر عاليا وصدحت بلابله
موقعة أعذب الألحان يقول « عبد الله شمس الدين » فى مؤتمر الشعراء الذى
انعقد بميدان الجمهورية لتكريم قادة الثورة بمناسبة اتفاقية الجلاء :

(١) شعر الثورة فى الميزان ج ٢ ص ٢٠ .
(٢) شعر الثورة فى الميزان ج ٢ قصيدة « تحية أبطال الجلاء » ص ٢٣ .

جئنا نكرم بمثا باسم قاده وباسم كل أبى شامخ بطل
ثاروا فثرنا فهبت مصر ناهضة حتى شدا بعلاها سائر الدول
وبعد أن يصف حال البلاد قبل الجلاء والثورة .

يصف حالها بعدها فيقول :

وعادت الارض انصافا لزارعها وأشرق الكوخ في زاه من الحلل
وأطلق المصنع الجبار صيحته فأنزل الرعب في قلب العدا الوجل
وبالجلاء أتم الله نصرته لمصر بعد انتظار حف بالملل
عشنا نعاني وعودا لانتهاء لها كانت تجدد بين اليأس والفشل
تمضى وتأتى حكومات مولولة بالقول .. لكن بلا صدق ولا عمل
لقد أعجب الشعراء بمهارة رجال الثورة المفاوضين اذ سلم لهم العدو بالجلاء
من غير أن يشهروا عليه حربا أو يستجدوه حقا اغتصبه أو يحفلوا بوعده أو وعيده
يقول « العوضى الوكيل (١) » :

غزاة وما شدوا الى الحرب غارة كماة اذا أبصرتهم خلتهم أسدا
وما استنجدوا الاعداءحقا ولا مضوا اليهم ييشون الهوى كمن استجدى
وما التمسوا من غاصب النيل لفتة ولا حفلوا منه وعيدا ولا وعدا
وفي المناسبة نفسها يقول « محمود غنيم (٢) » في قصيدة بعنوان « صدى
الجلاء » معبرا عن فرحته بموتق الجلاء الذى يأتى بعد طول غياب ومعاناة :

له الله من موثق مبسرم على صفحات القلوب ارتسم
متى أرقمت مصر سبعين عاما ومن رام درك المنسى لم ينم
مضى الاحتلال وما الاحتلال سوى وصمة العار بين الأمم
حملناه جزحا بكل فؤاد وهما على كل صدر جثم
وما كان في العين الا القذى ولا كان في الجسم الا السقم

(١) انظر د. احمد احمد بدوى : من النقد والادب « المجموعة الثالثة » ص ٨٤ .
(٢) انظر « نى ظلال الثورة » ص ٣٤ وما بعدها .

وينحدث عن الحرية وكيف يتغير طعم الحياة في ظلها عن طعم الحياة في ظل
العبودية فيقول :

فبئس النعيم نعيم الجنان اذا ضمه وطن مهتمم
وهل للبلاد المباحة ماء به يرتوى أو هواء يشم ؟

ويشكر الجيش الذي طهر الأرض وقسم الرزق وسوى بين الغنى والفقير .
ثم يدعو مصر الى الأخذ بأسباب القوة لأنها حامية الاستقلال كما هي
صانعة فيقول :

بنى مصر هذا زمان القوى فكونوا السباع ومصر الأجم
أقيسوا الصناعات في أرضكم وسووا الهضاب ورووا الأكم
وان الحياة مجال كفاح فويل لمن في المجال انهزم

وفي احتفال يقيمه المعلمون بناديبهم في الجزيرة ابتهاجا بمعقد معاهدة الجلاء
ونجاة الرئيس من الاعتداء على حياته ، يشدو محمود غنيم^(١) بقصيدة طويلة
يتحدث في بدايتها عن أمل الجلاء - فيقول :

أمل تحقق بعد طول مطاله بشرى الحمى بوثيقة استقلاله
عيد الجلاء لأنك يوم النحر في احرامه والقطر في احلاله
الفاصل المحتل سلم سيفه ومضى لطيته بدون قتاله

ثم يفيض في حادث محاولة الاعتداء على عبد الناصر مصورا ما كان يمكن أن
يعود على البلاد من جراء هذا الحادث لو نجحت المحاولة - فيقول :

قل للذي غدر الرئيس : غدرت من ليس ارتكاب الغدر بعض خصاله
أبقال شعب كفا حررت بالأمس هذا الشعب من اغلاله ؟!
أعود مصر الى الوراء بأهلها ويسود عهد الذل بعد زواله ؟!
الفاصل المحتل شبه مؤله في مصر يرجو الكل وصل حباله
والعرش بين خساره وقماره لاه تحف به ذوات حباله

(١) ديوان « في ظلال الثورة » ص ٢٩ وما بعدها .

ثم يدعو المعلمين أن يضربوا « بجبال » المثل في الشجاعة والثبات وأن يحروا البلاد من الجهل كما حررت الثورة البلاد من الاحتلال والفساد - فيقول :

أمعلمى النوادى اذا حدثتمو نشء البلاد الغض عن أبطلاله
فلتأخذوا لهمو « جبالا » قدوة ولتضربوا الأمشال باستبساله
رجل تناثرت القذائف حوله مطرا فلم يقطع سياق مقاله^(١)
الجيش حرر مصر أجمعها فن للعلم فى مصر يحل عقاله
فاستأصلوا من مصر ما غرست يدا « دنلوب » حانت ساعة استئصاله
العلم كان بمصر بابا مقفلا فلتنزعوا الأختام عن أفقاله

وفى معنى نجاة عبد الناصر من محاولة اغتياله وثباته فى هذا الموقف العصيب يقول « ماهر سليم البشرى^(٢) » فى قصيدته « تهنئة بالجلء والنجاة » .

قد كنت تخطب والردى متحفز والشعب حولك شاردا الاحلام
ولقد كفاك الله شر فعالهم فخرجت من تدبيرهم بسلام

ويتحدث فى معنى تحقيق عبد الناصر للجلء بغير حرب فى مدة وجيزة بعد أن جثم الاحتلال على صدر البلاد سبعين عاما لا يتحزح :

أجلت خصسك ما قذفت قذيفة بل صنت قومك من عراقك دام
سبعين عاما ما تزحزح خطوة لما أتيت أزحتته فى عام

ثم يطالب رجال الثورة بأن يبضوا فى طريق الثورة فليس الجلء وان عظم
الا بداية :

يا فتية الوادى أتموا شوطكم ليس الجلء وان علا بختام

(١) حين اعتدى على الرئيس كان يخطب فى ميدان « المنشية » فلم يقطع
جبل الكلام .

(٢) نظر د - أحمد أحمد بدوى : شعر الثورة فى الميزان ص ٧١ وما بعدها .

ويهنئ « الدكتور عبد الله عبد العزيز^(١) » البلاد بنجاة الرئيس « جمال »
الذي أُنقذ البلاد من الظلم بثورته البيضاء وحقق الجلاء ثم جاء أولئك المارقون
يحاولون اغتياله ليوردوا البلاد موارد الهلاك ويقلبوها ثورة حمراء :

صانك الله من بد المجرم الآثم والحافزيه في الظلماء
أنت أنقذتهم من العسف والظلم بتدبير ثورة بيضاء
ويريدونها دماء وقتكنا يتلينا بثورة حمراء
ويستقبل « هاشم الرفاعي^(٢) » اتفاقية الجلاء كما استقبلها أفراد الشعب
جميعاً بالاستبشار راجعاً بذاكرته الى عهد الهوان والذل والصغار في
عهد الاحتلال يقول :

فيا مصر هذى ساعة المجد قد دنت ويا وادي الأحرار عدت لنا حرا
فيا يوم اجلاء العدو عن الحسى ظننت وحق الله موعدهك الحشرا
ولا ينسى تلك الدماء الزكية التي أراقها الشباب رخيصة على مذبح الحرية
وقدموها قربانا لوطن تمجلا ليوم الجلاء فيقول :

سلام على تلك الدماء التي مضت تراق لكى نلقاك قانية حمرا
سلام على ذلك الشباب الذي انطوى وآثر دون المجد أن يسكن القبرا
(ج) بعد الجلاء :

فاذا ما جاء يوم جلاء الغزاة الانجليز وانزاح كابوس الاحتلال عن صدر البلاد
بعد استعمار دام أربعة وسبعين عاما في الثامن عشر من يونية عام ١٩٥٦ - انطلق
صوت أنشعر عاليا يهزج بأهازيج النصر والفخار .

يقول « عبد الله شمس الدين^(٣) » بعد أن رحل آخر جندي انجليزى عن
أرض القناة من قصيدة بعنوان « الجلاء » يقول فرحا يكاد لا يصدق نفسه :
الليل ليل الناقمين عرفته عانيته منذ الصبا وسهرته

(١) شعر الثورة في الميزان ص ٥٢ وما بعدها .

(٢) أنظر ديوان « هاشم الرفاعي » : قصيدة يوم الجلاء ص ١٩٠ .

(٣) ديوان الله أكبر ص ١٨ .

والفجر فجر الظافرين توافدت طلعاته وعجبت كيف رأيتنه !
أقسمت لولا أننى بدمامعى قبلت غرته لما صدقته
ويذكر بعض جرائم الاختلال فى دنشواى وغيرها .

ثم يذكر الزعماء الذين ضحوا فى سبيل الجلاء قبل الثورة :
تم « يا عربى » للجلاء مصافحا انى بظل « جمال » قد غنيتنه(١)
واهتف به « يامصطفى » ان « اللوا » قد عاد ثانية يدوى صوته
ويطلب عزيز أباطه(٢) من مصر بعد جلاء المحتل عنها وزوال عار الاختلال
أن تشمخ بأنفها وترفع رأسها فقد سلم عرضها بالجلاء :
ارفعى رأسك يا مصر ولا تطرقى اطرافة المستشفعين
سلم العرض الذى ساوره بعد « عسرو » نزوات العاصين
ثم يبين أن مصر كانت تفخر بماضيها فحسب قبل الجلاء وهذا وحده لا يكفى
فأصبحت اليوم تفخر بماضيها المجيد وحاضرها المشرق :

كنت يا مصر اذا جنت على ألسن العالم فى ماضى السنين
قيل كانت ان (كانت) سبة ان طوى الآخر جهد الأولين
كنت فى أمسك بنت الخالدين فاستويت اليوم أم الخالدين
ويعرب « عبد العليم القباني(٣) » عن فضل الشباب من رجال الثورة
وعزيتهم الماضية التى أنثرت الجلاء فى قصيدته « يوم الجلاء » :

وتأملى يا مصر كيف تحققت بيد الشباب رغبة الأجيال
لولا العزائم من شباب ثائر لم ييغ حقا ضائعا بجداول
لأضاف تجار السياسة نكسة وشهدت أغلالا على أغلال

(١) منع صرف « جمال » ضرورة شعرية قبيحة .
(٢) انظر د. أحمد أحمد بدوى/ من التقد والأدب - المجموعة الثالثة ص ٨٦
وما بعدها .
(٣) ديوان « اشعار قومية » ص ٥٥ .

ثم يوضح كيف كان السياسيون قبل الثورة يعملون من أجل الجلاء ويقرر أن القوة وحدها هي التي تحقق الآمال :

جهد السياسة أن نروح ونفتدى ونظلم من حل الى ترحال
طورا بدار الأمن نلتس المنى ونجيب داعيها بغير سؤال
أو نستفيث بعطف « لندن » تارة حتى تجود بظل الاستقلال
كذبوا فما نال الحقوق مسالم ان المطاعم فوق كل منال
من يخترق غاب الضراغم أعزلا عرف الحقيقة من فم الرئبال
ويحيى « صلاح عيد الصبور(١) » العلم المصرى الذى ارتفع على مبنى البحرية
في بور سعيد في يونية سنة ١٩٥٦ على أثر جلاء القوات المحتلة - فيقول :

لترتفع لترتفع يا أيها المجيد
يا أيها العظيم ، يا محبوب ، يا رفيع ، يا مهيب
يا علمى ، يا علم الحريره

ثم يتحدث عن مدى التضحية التي بذلت في سبيل هذه اللحظة الخالدة :

نداء تلك اللحظة المجيدة الشريه
مضى الى الكون من أحابنا ألوف
كى يجعلوا قلوبهم تلامن التراب
يقوم فوقه العلم
ليفتلوا عروقهم سارية مجيده
يزين فرعها العلم

(د) في مناسبات عيد الجلاء :

وفي مناسبة ذكرى عيد الجلاء كل عام كان الشعر لا يكتفى بالاشارة بعيد الجلاء لأنه لم يكن إلا أحد المكاسب الثورية . وانما كان يشيد بكل المكاسب والانتصارات التي حققتها الثورة منتهزا فرحته بهذه المناسبة .

(١) انظر « الناس في بلادي » : قصيدة « لترتفع أبدا » ص ١٤٢ وما بعدها .

يقول « هاشم الرفاعي (١) » في ذكرى عيد الجلاء عام ١٩٥٩ في قصيدته « شعب وقائد » :

شعب يعانق مجده المسلوبا ويشق آفاق الخلود وثوبا
قد أذن الأحرار من أبنائه بالبعث فانتفض الرماد لهيبا
وتلفت التاريخ يشهد دولة كبرى ويصر قائدا محبوبا

ثم وصف سياستنا العربية والخارجية وكيف أنها تقوم على السلام القائم على العدل - فيقول :

لسنا نقيم على الهوان وانما نبغى سلاما للجميع وطيبا
ونسد كفا للصديق نديّة ونسد سيفا للعدو خضيبا
ونشد بالاخلاص أزرق عروبة كبرى ستنتظم البلاد قريبا

تأميم قناة السويس :

وتؤمم الثورة قناة السويس لأن النضال الوطني في سعيه الى الحرية الاجتماعية كان قد صمم على استرداد المصالح الاحتكارية الأجنبية وتأميمها واعادتها الى مكانها الطبيعي والشرعي وهو الملكية العامة للشعب كله ومن ذلك الأموال البريطانية والفرنسية في مصر وهي الأموال التي سلبت من الشعب تحت ظروف الامتيازات الأجنبية .

وكانت قناة السويس معقلا اقتصاديا ضخما من معازل الاختلال لاذ به دون أن يتزحزح من مكانه فيه مائة عام أو تزيد ، ومنذ شقت القناة وعائدها في كل عام وهو عائد كبير لا يعود الى مصر وانما للأجنبي صاحب الامتياز .

والثورة ما جاءت الا لتسترد للشعب حقه وكرامته ولتحقق استقلال البلاد السياسي والاقتصادي . لهذا ولأن الاستعمار لم يقبل أن يقرض مصر لتبني سدها العالمي أزعم عبد الناصر تأميم القناة ليقيد من عائدها في بناء السد .

وفي لحظة من اللحظات الغالية على الدهر من مساء السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٦ يعلن القائد عبد الناصر تأميمه لشركة قناة السويس فاذا القناة

(١) ديوان هاشم الرفاعي ص ٢٥٤ وما بعدها .

تعود ملكا للمصريين واذا الأجنبي الانجليزي والفرنسي الذي كان يملك كل شيء فيها يجد نفسه منها صفر اليدين فيطيش صوابه وتدور رأسه وتسود الدنيا في عينيه ويدبر للعدوان العاشم أمرا .

وينطلق الشعر مع هذه المأثرة الخالدة من مآثر الثورة مشيدا بها داعيا الشعب الى مزيد من الالتفاف حول الثورة ، والشورة الى مزيد من العسل في سبيل الشعب .

فيقول « صالح جودت(١) » محييا بطل التأميم عبد الناصر الذي أعاد الأرض بالجلء فكان حقا أن يعيد المياه بالتأميم .

يا بن « بنى مر » غسلت الجباه من وصة الماضي بساء القناة
الأرض باسم الله عادت لنا فكان حقا أن تعود الجياه

ويبين حقا في القناة دون أهل الغرب المضللين :

قل لحواة الغرب لا تهزلوا قد كشف العالم فن الحواه
قناتنا تجرى على أرضنا وبين بحرينا ونحن البناء
تجرى بها الفلك وخيراتها لكم ونحن الجائعون العراء
ثم يذكر أن تأميم القناة سيجعلنا نبني السد العالي من مالنا دون حاجة الى
معوثة من الغرب وهذا أفضل :

اليوم نبني « السد » من مالنا لا من ندى الغرب وعون الطغاه
يا ذل شعب عاش مستجديا تمتد نحو الغائليه يدها
ويعبّر « عبد الله شمس الدين(٢) » عن حقا في ملكية القناة وتأميمها لصالح

الشعب فيقول :

هذه القناة قناتنا أجدادنا بقؤوسهم قد فجروا صحراءها

(١) أنظر د . أحمد أحمد بدوى : من النقد والأدب « المجموعة الثالثة » ص ٨٨ وما بعدها .
(٢) ديوان « الله أكبر » « قصيدة » تأميم القناة ص ٢٠ وراجع قصيدته « فرحة التأميم » بالديوان ص ١٨٧ .

وعلى جناحهم علت شطآنها ودماؤهم قد أغرقت أرجاءها
ثم يذكر أننا لم ننس حقنا فيها برغم ضياعه واستلابه فترة طويلة :
فإذا صبرنا راغبين فعندنا عزم يجدد في النفوس رجاءها
حتى إذا انتفض الصباح تواعدت عزماتنا ومضت تذيب مضاءها
ويتحدث « محمود غنيم^(١) » عن كيفية استيلائنا على شركة القناة فيقول :
ربض الجيش على خط القناة وعلى شطآنها ألقى عصاه
أيها الجيش أعدها للحمى فلذة قد نزعوها من حشاه
ويذكر السبب في تأميمنا لها وكان السبب المباشر هو رفض أمريكا مساعدة
مصر على بناء السد العالي بمعونة مالية - فيقول :

أمة « الدولار » مدى غيرنا من عبيد المال واستجدي رضاه
كيف يستجديك شعب ماؤه من لجين ومن التبر ثراه ؟ !
ثم يصف وقع قرار تأميم القناة في نفوس المصريين - فيقول :

حينما قال « جمال » أمت رقص الوادي وغت ضفتاه
وسرت في كل عطف هزة وتمشت بسمة فوق الشفاه
ثم يحيى بطل التأميم ويطل التحية - فيقول :

لجمال كل يوم خبر من حديث المجد يرويه الرواه
كادح ما أثر فيه نعمة عرك الدهر طويلا وبلاه
ويصف اسراره ومفاجأته باعلان قرار التأميم - فيقول :

يحكم التدبير احكام الذي يقرأ الغيب ويدري ما طواه
ويسر الأمر اسرارا فلا يعرف الكتبان سرا قد نواه
يؤثر البغثة في تصرفه ومع البغثة توفيق الاله

(١) انظر « في ظلال الثورة » قصيدة « تأميم القناة » ص ١٦ وما بعدها .

ثم يبين أنه لا بد للحق من قوة تحميه :
لا يحق الحق الاقووة تفعل القوة ما يعيى القضاء
وينحدث « عبد العليم القباني(١) » عن حقنا فى القناة مرجحا بتأميمها :
فكيف أصبر أن ألقى دماء أبى غنيمة بيد السراق تقتسم ! ؟
عادت الينا فمرحى يوم عودتها يوم به الثغرة الشوهاء تلتئم

المدوان الثلاثى :

انتهد الاستعمار فرصة استخدام مصر لحقها المشروع بتأميم شركة قناة السويس فدبر مؤامرة العدوان الثلاثى الغادر على مصر فى العادى والثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

وبذلك يكون الاستعمار الذى جلا عن أرضنا طبقا لاتفاق تم تنفيذه فى يونية سنة ١٩٥٦ قد عاد فى أكتوبر من العام نفسه لاختضاع شعبنا واذلاله واجباره على الركوع خضوعا لارادته ، وقد بدأ المستعمر قبل شن عدوانه الغادر يرغى ويزيد يهدر بالوعيد ويلوح بالتهديد ويرفع راية الانذار بالعدوان لو لم نحقق له رغباته الآتية .

ولكن شعبنا الذى كان قد عقد العزم على حماية استقلاله ورفض كل الحيل الاستعمارية التى حاولت أن تجره الى مناطق النفوذ لم يتردد فى رفض تهديدات العدو ثم فى مواجهة العدوان المسلح الذى أقدمت عليه اثنتان من دول العالم الكبرى زحفتا من القاعدة الاستعمارية اسراييل وهى التى خلقتها المؤامرات الرامية الى ارباب الأمة العربية وتمزيقها .

وكان النصر العظيم للشعب المصرى والهزيمة الكبرى للمعتدين الآتمين .
ضرب الشعب المصرى الاستعمار واحتكاراته فى الصميم باسترداد قناة السويس وقطع أمل الاستعمار فيها وأثبت الشعب صلابته بتحملة العنيد لتبعات اصراره الى حد قبول المعركة المسلحة فى مواجهة قوى جرارة غاشمة .

(١) ديوان اشعار قومية قصيدة « قصة الثورة » ص ٦٠ .

ولقد استطاع الشعب المصرى بثباته الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل حتى وجد الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه أنهم الذين أصبحوا فى عزلة عن الدنيا كلها بينما وقفت شعوب العالم الى جوار شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية له وتضامنا معه^(١) .

واندحر العدوان وجر المستعمرون أذيال الخيبة وخرجوا من البلاد مذمومين مدحورين ، وكتبت مدينة بور سعيد الباسلة أخلد صفحات الشرف والكفاح البطولى وأصبح يوم الثالث والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٦ عيدا للنصر نحتفل فيه كل عام بانتصارنا المؤزر على الأعداء .

وفى العدوان الثلاثى الشرس وصمود الشعب المصرى وانتصار بور سعيد كثر إنتاج الشعر كثرة ملحوظة وظهرت دواوين كاملة من بينها « الشعر فى المعركة^(٢) » وديوان « بور سعيد » لصالح الصاوى و « أيام عشناها » لخليل جرجس خليل و « شعبى المنتصر » لعبد بدوى و « قصائد من القتال » لكيلاى سند و « من وحى بور سعيد » لحسن فتح الباب .

(١) قبيل معركة بور سعيد :

وقبيل المعركة فى أواخر سنة ١٩٥٦ بدأت المؤامرة وكان الفصل الأول منها هو عدوان إسرائيل ثم تتابعت فصول المؤامرة فكان الانذار البريطانى الفرنسى الى مصر واسرائيل بالانسحاب الى خطوط يثبت عندها عدوان اسرائيل الغادر .

ورفض القائد البطل « عبد الناصر » الانذار ونظم « هاشم الرفاعى^(٣) » فى هذه المناسبة قصيدة بعنوان « سنقاتل » يقول فيها ردا على التهديد بالتهديد :

اننا سنعلنها شعواء باسلة فليقخر النيل وليبذخ بنا الهرم
فليرحلوا عن قناة أو لنجعلها يجرى لهم فوقها يوم القتال دم

(١) انظر الميثاق الوطنى الباب العاشر .

(٢) الشعر فى المعركة - مجموعة من القصائد لشعراء عديدين قام باعدادها ونشرها وزارة الثقافة والارشاد فى مصر .

(٣) ديوان هاشم الرفاعى ص ٢٠٢ وما بعدها .

ويرحب « عبد الله شمس الدين (١) » بالكفاح فيقول :
دقت نواقيس الكفاح فهاتي هاتي حياتك واذهبي بحياتي
ويسخر بالمستعمرين وادعاءهم وجود فراغ في الشرق الأوسط بعد خروجهم
منه :

أين الفراغ . لقد خستهم عصبة هل عندكم منى قديم هياتي ؟ !
ثم يستبشر خيرا بالمعركة القادمة مع العدو لأن معارك المروبة على مدى
التاريخ مع الأعداء هي معارك النصر :
انا على طول الطريق عروبة شماء تأكل كل غزوا آت
ومما قيل في ذلك الحين قصيدة كمال نشأت (٢) « صيحة الكفاح » وفيها
يقول :

من عزمة الفلاح
من وثبة تحررت طريقها كفاح
تنجر النضال
لتلك القتال
سواعد سمراء
تهدم السدود
وتصرع الطغاه
وتحمل السلام والحياء
وفرحة النجاه

ويستقبل « صلاح عبد الصبور (٣) » الغزاة استقبال البطل الموتور ذي المجد
المأثور الذي يمشق السلام ولكنه لا يجد بدا من القتال .

(١) ديوان الله أكبر ص ٢٢ وما بعدها وانظر قصيدته « يوم الفداء » بالديوان
ص ٢٥٨ وما بعدها .
(٢) قيلت في ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٦ : انظر ديوان ماذا يقول الربيع ؟
ص ٩٤ - ٩٦ .
(٣) انظر « الناس في بلادى ، قصيدة » ساقنتك ، ص ١٤٦ وما بعدها .

للزهر .. للأطفال .. للمحبة
فمرحبا يا صيحة الكفاح .
فيقول موجها الخطاب الى جندي غاضب تصوره :

سأقتلك
من قبل أن تقتلني سأقتلك .
من قبل أن تفوض في دمي
أفوض في دمك
وليس بيننا سوى السلاح
وليحكم السلاح بيننا .

ويتحدث عن ماضيها المجيد المهيّب : ثم يقسم بكل عزيز بأنه سيقتل هذا
الغازي ويفوض في دمه ، يقسم بالأهرام والاسلام ويقسم بالشهيد « نبيل »
الذي احترق بطائرته في « غزة » ويقسم بلجين مائتا وذهب سنابلنا وبشمسنا
الساطعة والقمر والسحاب والزهر أنه سيقتله أولا .

ثم يتحدث عن طبيعة أهل بلادنا في صنع الحب ونشدان السلام على خلاف
ما يفعل ذلك الغازي الآثم الذي يصنع الحرب وينشر الرعب :

أهل بلادى يصنعون الحب
كلامهم أنغام
ولنؤهم بسام
وحين يسغبون يشبعون من صفاء القلب
وحين يظماؤن يشربون نهلة من حب
ويلغظون حين يلتقون بالسلام
- عليكم السلام !
- عليكم السلام !

لأن من ذرى بلادنا تفرق السلام

وأنت يا مدنس الخطى

تريد . . . بئس ما تريد !

لكننى سأقتلك

من قبل أن تقتلنى أغوص فى دمك .

(ب) فى خلال المعركة :

وتقع المعركة ويستبسل شعب بور سعيد فى قتال الأعداء بشبابه وشيبه ،
بنسائه ورجاله وأطفاله ، بالفأس والمدفع ، وبالخنجر والسكين .

وإذا الشعراء يلتهبون كسائر أفراد الشعب حماسة ويصلون العدو بأناشيدهم
واشعارهم الحارة نارا حامية .

وها هو « محمد على أحمد(١) » يهتف بالشعب أن يمضى بكل أفراداه وكل
طاقاته الى المعركة ليحققوا النصر :

سنمضى جميعا الى المعركة وصوت المدافع ملء الفضاء

ونزجع والنصر يشدو لنا وأعلامنا قبلتها السماء

فهيبى سلاحك للمعركة وثبت جناحك للمعركة

وهو من الأناشيد القوية المعبرة الثائرة التى تدل على صدق وقوة الاحساس
والشعور .

ويعبر « كمال عبد الحليم(٢) » تعبيرا صادقا وقويا عن شعور الشعب المصرى
نحو المعتدين :

(١) انظر د . أحمد أحمد بدوى : من النقد والادب (المجموعة الثالثة) ص
٩١ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٩٢ .

دع سمائي ، فسمائي محرقه
دع قناتي ، فمياهي مغرقه
واحذر الأرض فأرضي صاعقه
هذه أرضي أنا
وأبي ضحي هنا
وأبي قال لنا
مزقوا أعداءنا

وهو من أشد الأناشيد حماسة وأدلها على ثورة الشعب وغيظه وتمسكه ببلاده وأرضه .

وها هو « عبد الله شمس الدين(١) » يصيح صيحة الانتقام « الله أكبر » في نشيده الذي غناه الشعب ابان المعركة وبعدها ويستمدى فيه القدرة الالهية على العدو الذي تكاثرت رجاله وسلاحه على أبناء بور سعيد الأمنين العزل ، ويقرر فيه أن الشعب بقوة ايمانه بالله وبنفسه وبحقه سوف ينتصر :

الله أكبر فوق كيد المعتدي	والله للظلم خير مؤيد
أنا باليقين وبالسلاح سأفتدي	بلدى ونور الحق يسطع في يدي
يا هذه الدنيا أنلى واسمعى	جيش الأعداى جاء يبنى مصرعى
بالحق سوف أهده وبمدعى	فاذا فنيت فسوف أفنيه معى
قولوا معى الويل للمستعمر	والله فوق الغادر المتجبر
الله أكبر يا بلادى كبرى	وخذى بناصية المغير ودمرى

ولأن هذا نشيد يعبر عن ايمان الشعب بالله واعتمادهم عليه في أن ينتصر لهم من أولئك المعتدين الأشرار الذين جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر .. ذاع النشيد وشاع وردده الكبار والصغار والنساء والأطفال وجعلته المدارس نشيدها الى مدى طويل بعد المعركة .

وتتمجر كلمات « عبد الله شمس الدين(٢) » في قصيدته « من قلب المعركة » بالغيظ والحنق وينادى بطلب الثأر من أولئك الأعداء الذين جاءوا من كل حذب وصوب من البر والبحر والجو يحملون كل أنواع الأسلحة لحرب بلد آمنة وشعب أعزل هو شعب بور سعيد .

(١) ديوان الله أكبر ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦ وما بعدها .

البربرية دون ما خرجوا به
قواتهم من كل لون شككت
أسطونهم ونسورهم ومشاتهم
ثم يصف بسالة الشعب وشجاعته برغم
لم نهرب الموت الكبير برغمه
وبرغم اشلاء الصغار على الطريق ودكنا بالموت ، لم نستسلم
وها هو « محمود حسن اسماعيل (١) » يعبر في نشيده « يد الله » عن صلابة
الشعب وصموده في وجه العدوان ثم انتصاره عليه بقوته وإيمانه بالله وبنفسه :

أنا النيل مقبرة للغزاه
أنا الموت في كل شبر اذا
يد الله في يدنا أجمعين
وشقوا اليهم جحيم الفناء
لنا النصر والموت للمعتدين
سنمضي رعوذا ونمضي أسودا
أنا الشعب ناري تبيد الطغاه
عدوك يا مصر لاحت خطاه
فصبوا الهلاك على المعتدين
أسودا كواسر تحمي العرين
لنا النصر والموت للغاصبين
نردد انشودة الظافرين

ويصف « هاشم الرفاعي (٢) » في قصيدة « معركة القناة » عدوان المعتدى على
حقنا وأرضنا وقناتنا بغير وجه حق - فيقول :

بسدفة المفرور قد صال واعتدى
وأغزى بنا عند الحدود كلابه
قناتي وفي أرضي ، وجدى لحفرها
وفوق ثراها فاض ماء جبينه
ثم يصف المقاومة الشعبية الصلبة في بور سعيد التي أحبطت ذلك العدوان :
وذاق شياطين المظلات بأسنا
وقاومهم شعب اذا سيم خطة
وراح علينا بالقدائف واعتدى
وأرسل للعدوان يضرب موعدا
أكب على الصحراء بالنأس مجهدا
وأدمى له جلاده الظهر واليدا

ثم يتحدث عن طبيعتنا في أننا شعب يحب السلام ولكنه يلجأ الى الحرب اذا
اضطر اليها .

(١) انظر اغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٠٦ وما بعدها .
(٢) انظر ديوان هاشم الرفاعي ص ٢٠٤ وما بعدها .

مددنا أكما للوداد واننا على الرغم منا أن نمد المهندا
ويعرض في صورة من صور المأساة التي ارتكبها العدو اللعين ليين الفرق بيننا
وبينه :

فرب أب قد كان يهوى وليده ويؤثر أن يرعى له الغصن أملدا
فأرسل مصفودا ليطعم حنقه على يد شعب ما أغار ولا اعتدى
ثم يصف أثر انتصارنا في تقوية الروح المعنوية لكل الشعوب المتطلعة الى
الحرية :

وخلف ضباب الظلم يلعب بارق به أمل للنائر الحرق بدا
واسمع لحن النصر في كل أمة مكبلة فوق الشفاه تردددا
والى جانب القصائد والأناشيد في وسط المعركة قرأ الرسائل الشعرية .
يقول كيلاني سند في قصيدته « الى أرملة جندي استعماري (١) » :

يا سيدتى « آن ماري »
لم يحمل زوجك شيئا الا الرهبة لصغاري
كنت كالآف غيري قد خرجوا للوحش الضاري
بفتوس كانت ملقاة بالأمس وراء جداري
شعبي قد هب كطوفان يقده بالحقن الناري
يا سيدتى « آن ماري »

ويقول كمال نشأت في قصيدته « من فدائي الى ابنته (٢) » :

اليك يا بيتي أكتب من بعيد
وحولى الرفاق والسلاح والاباء
وما رغبت مرة فراقك الأليم
لكنه الوطن
ودعوة الأوطان يا صغيرتى تجاب
ليفتدى بأنفس الشباب
وتسلم البيوت والأحباب

(١) انظر د. ماهر حسن فهمي : القومية العربية والشعر المعاصر ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(ج) بعد الانسحاب :

وينسحب الأعداء من أرض مصر مذءومين مدحورين يجرون أذيال الخيبة
ويشيعهم الشعراء باللعنة .

وفي قصيدة بعنوان « حرب القناة » يتحدث « محمود غنيم » بعد انسحاب
العدوان الثلاثي من بور سعيد عما أنعم الله به على الناس والحضارة والبشرية ،
بفشل هذا العدوان فيقول :

وقى الله البسيطة من دمار وسان المشرقين من انفجار
وقى الله الحضارة من زوال وسان الآدمية من بوار
ويحمل على « ايدن » مشعل هذه الحرب مشبها إياه « بنيرون » حارق مدينة
روما .

تناسى الناس « نيرونا » وروما بس قذف الورى بشواظ نار
لها بالحرب « ايدن » فاستطارت فصفق للهب المستطار
كما يتحدث عن أثر الانذار الروسى فى إيقاف العدوان بالإضافة الى شهامة
الشعب العربى وبسالة مدينة بور سعيد :

فلولا صيحة من غاب «موسكو» ولولا وفصة لبنى نزار(١)
ولولا نخوة من « بور سعيد » لزين رأس « ايدن » تاج غار
ثم يفرد الكلام عن بسالة بور سعيد لأن صمودها كان الأساس فى الانتصار :
ألم تر بور سعيد غداة قامت تصد هجوم سيدة البحار ؟ (٢)
وجيش «السين» يزحف عن يمين «اسرائيل تحجل عن يسار ؟ (٣)
لقد صار السلاح بمصر لهوا وتسلية لأطفال صغار
وصار المدفع الرشاش أشهى الى أيدي الحسان من السوار

(١) المراد بالصيحة الانذار الروسى الموجه الى الدول المعتدية والمراد
« بنى نزار » العرب .
(٢) سيدة البحار : كناية عن إنجلترا .
(٣) جيش السين : كناية عن فرنسا .

ثم يصف بعد ذلك طبيعة شعبنا في أنه شعب يحب السلام ويرفض الاستسلام:

إذا ما السلم رف ندى وظلا فليس لنا سواء من شعار
فإن جارت علينا الشهب يوما فنحن الذائدون عن الزمار

وهذا المعنى قرأناه قبل ذلك في شعر « هاشم الرفاعي » كما تقرأه هنا وكما تقرأه لدى كثيرين من الشعراء لأن شعار الثورة في سياستها الخارجية هو العمل من أجل السلام القائم على العدل ، بل هذا هو شعار المسلمين « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وكثيرا ما تردد على لسان « عبد الناصر » قوله « نسألهم من يسألنا ونعادي من يعادينا » .

ثم يعود « غنيم » الى « ايدن » مستهزئا مبينا أن مصر التي هزمت الاسطول الانجليزي في « رشيد » تهزمه الآن في بور سعيد ، والتي انقذت الشرق من التتار تنقذه الآن من العدوان الثلاثي :

« رشيد » أسلمتك « لبورسعيد » فسرت من اندحار لاندحار
حلفت لتتقذن الشرق منكم بلاد أنقذته من التتار

وفي قصيدة للشاعر « علي محمد احمد » (١) بعنوان « موقف بور سعيد الخالد » يحبى الشاعر مدينة بور سعيد لنضالها وصمودها فيقول :

كيف تقوى مدينة شبه عزلاء على أن تصد أقوى الممالك ؟
فاذكرى اليوم في اعتزاز وفخر كيف ضاق احتمالهم باحتمالك
يبين سوء تقدير المعتدين في أن يحتلوا بور سعيد ثم يعضوا الى الشرق كله بعدها :

ثم يبين ان على موقف بور سعيد في هذه المعركة كان يتوقف مستقبل مصر والعرب والشرق والسلام والعدل :

كان مستقبل الحضارة رهنا بكفاح الأحرار من أبطالك
وانتصار السلام والعدل بين الناس فضلل يعد من أفضالك

(١) أنظر المختار من الشعر الحديث - الحلقة الأولى ص ١٥ وما بعدها .

ويعرض صورة للعدوان الشرير على بور سعيد حين جاءت أساطيله وطائراته
وجنوده ومظلاته :

يحلون الخراب والتكل واليتم الى كل آمن في ظلالك
واللهيب المسعور يزحف في رقص كئيب على مغاني جمالك
وبنوك الأحرار يشون فوق النار لا يرهبون خوض المهالك
أثبتوا للعدو أن منال النجم أدنى لهم من منالك
ويقسم « محمد التهامي » (١) لبور سعيد المجاهدة أنه سيقا تل الأعداء ويعلم
الأجيال الجديدة كيف يبغضونهم الى يوم القيامة :

قسما بشعبك بور سعيد قسما بسوقك المجيد
سنلقن الأعداء درسا عن شرورهم يزيد
ونعلم الأجيال بغضهم الى يوم الوعيد
ويصف « عبد العليم التبانى » (٢) شراسة العدوان ونهايته في قصيدة بعنوان
« قصيدة الثورة » فيقول :

للعار ما حشدوا ، للريح ما حصدوا الرعب ما اقتسموا ، والموت ما غنموا
ويخاطب « ايدن » و « مولى » موبخا كليهما لما كانا يطلمان به من مجد
بالعدوان فباء بالخذلان في قصيدة بعنوان « قصة النصر » :

أيها الطاغيان : كيف النهاية ؟ كيف دارت على الجنة الجنايه ؟
ربما تخلف الحوادث ظنا كان ملء اليقين عند البدايه
أيها الطاغيان كيف اللقاء ؟ كيف كان الاصباح والامساء ؟
يوم أقيانما وللمسوت حشد أسود يستجير منه الضياء
أيها الطاغيان كيف الرحيل ؟ كيف ضل النهى و حار الدليل ؟
انقشا فوق أرضنا في خشوع ها هنا يرقد الرجاء القليل

(١) اغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١١٩ .

(٢) ديوان اشعار قومية ص ٦٢ وما بعدها .

ويهدى في قصيدته « إلى بور سعيد » تحية ندبة إلى بور سعيد : إلى رباها
والى رائد ثراها إلى شبابها والى نساءها والى أطفالها الذين صابروا وصبروا
وجاهدوا وضحووا ثم يبين أثر تلك التضحيات في اهداء النصر .

هده الدماء زكية اغلى واثمن ما يتاح
هى دعوه الشعب الابى اى النضال ، الى الافراح
هى صرخة فى مسمع الدنيا بها اتشقى الصباح (١)

ويعنى مامون الشناوى (٢) اغنية النصر لبور سعيد مدينة النور والحب
والسلام :

انى ملكت فى يدى زمامى وانتصر النور على الظلام
وعردت حسامة السلام انى ملكت فى يدى زمامى
حريتى انا اندى احييها احييها أحب من يفديها
انا اردى للطامعين فيها انا اندى للحب والسلام
وينشد « كمال نشأت (٣) » نشيد النصر كذلك فيقول :

النصر يا بلادى لشعبك المجيد
صمدت للاعدى فى يوم « بور سعيد »
يا مولن البطوله يا مهبط الجمال
ما كنت بالخياله بالمال والرجال
وقفتك الجليله لم يروها خيال

ويشارك « عبد العليم القباني (٤) » الشعب ابتهاجه بيوم النصر فيغنى تلك
الأغنية التى تتراقص كلماتها وموسيقاها :

من لى بالانجم انظمها نعمات تشرق فى طرسى
انظمها تحمل أشواقى والوجد التائر فى نفسى
يا يوم النصر سلام الله سلام من روح القدس

- (١) ديوان أشعار قومية ص ١٤٧ .
(٢) أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٠٥ .
(٣) ديوان ماذا يقول الربيع ؟ ص ٩٧ ، ٩٨ .
(٤) أشعار قومية « قصيدة » أغنية فى يوم النصر « ص ٧١ .

ما زال ضياؤك في عيني
ما زال صياحك أغنية
ما زال سلافك في كأسى
تترقق رائعة الجرس

* * *

ومن هذه القصائد وغيرها من ذلك الفيض الزاخر من الشعر الذى قيل قبل أن تبدأ الحركة حين بدت نذرها فى الأفق طالعة ، وبعد أن دارت رحاها ثم بعد أن انتصر الشعب المصرى واندحر العدوان الثلاثى .. من هذه القصائد ومن كثير غيرها مما لا تكاد نحصيه ، نستطيع أن نحس بمقدار ارتباط الشعراء بالشعب فى هذه الفترة وتأثر الشعراء وانفعالهم الشديد بذلك الحدث الكبير ، نحس بذلك الشعر يحرك الشعب ويثبته ويؤيده ويسجده ويبشره بالنصر المؤزر على أعدائه وينذر أعداءه بسوء المصير .

ولقد مضى ذلك الشعر الثورى لتحقيق هذه الغايات متخذاً أسلوب التعبير التقريرى المباشر لأنه الأسلوب الذى يناسب فترة احتدام المارك الأسلوب الذى يشبه البعض « بالمارشات » العسكرية التى تلهب النفوس حماساً وتشعل القلوب حمية وهذه لا بد أن يكون صوتها عالياً وموسيقاها مرتفعة مجلجلة ، وكذلك كان الشعر فى تلك الفترات خطايا عالى النبرة ، ألفاظه فخمة جزلة رصينة ، وتعبيراته قوية محكمة متينة ، وموسيقاه واضحة رتيبة رنانة طنانة ، وما ذاك الا لحاجة التعبير عن ثورة النفوس الثائرة واحداث الجو النفسى الذى يصاحب حالات الكفاح والنضال وايجاد الدافع الداخلى والحافز المعنوى للاستبسال فى القتال والتضحية بكل مرتخص وغال .

السد العالى :

ويقوم السد العالى برغم الصعوبات الكثيرة التى واجهت انشاءه وهو يعد من المشروعات الهندسية الهائلة التى كان يظن الكثيرون أنها صعبة التنفيذ ، ولكن الهمة الكبيرة والعلم الحديث والصدقة الدولية اجتمعت لتخلق تلك المعجزة الفذة التى تهب الخير وتصنع الرخاء لنا ولشعب السودان الشقيق . فالسد العالى من أضخم مشروعات التوسع الزراعى الأفقى والرأسى يعمل على تحويل أراضى الحياض فى الوجه القبلى الى الرى المستديم فيضاعف غلتها ويضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المزروعة حالياً والتي تستلح مستقبلاً .

ويعتبر مشروع السد العالى بمثابة العمود الفقرى لخطط التنسية الاقتصادية لمضاعفة الدخل القومى فى مصر نتيجة لتوفير المياه وتحسين الصرف والملاحة النيلية والوقاية من الفيضانات العالية وزيادة الثروة السمكية فى بحيرة التخزين « بحيرة ناصر » التى تعد من أكبر البحيرات الصناعية فى العالم وتبلغ الزيادة التى يضيفها السد العالى الى الدخل القومى حوالى ٢٢٠ مليون جنيه سنويا(١) .

كذلك يعمل السد العالى على زيادة الكهرباء زيادة تكفى لتوفير الطاقة اللازمة لخطط التوسع الصناعى واطاءة جميع قرى الجمهورية . هذا عدا الفوائد الكثيرة التى تعود منه على السودان الشقيق ومعلوم أن « جمال عبد الناصر » طلب الاقتراض من البنك الدولى لبناء السد العالى فامتنع المستعمرون ، فأعلن « عبد الناصر » تأميم شركة قناة السويس ليستعين بإيرادها فى بناء السد ، وحدث العدوان وتم الانتصار وبدأ العمل فى السد .

وفد افتتح « جمال عبد الناصر » العمل رسميا فى بناء السد العالى يوم التاسع من يناير سنة ١٩٦٠ ثم أعلن اكتمال بنائه يوم الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٧٠ .

وقد أخذ الشعر يسجل فرحته وفرحة الشعب بذلك الحدث الكبير منذ بدأ التفكير فى انشاء السد حتى بدأ الاحتفال الرسمى ببداية العمل فيه وحتى تم بالفعل الانتهاء منه وسوف يظل الشعر يهزج فرحا به حتما تحق فى البلاد وأملا على الزمان تحدد وتؤكد .

ومن أجمل ما قيل فى حكاية قصة السد ووصف آثاره قصيدة « عزيز أباطة(٢) » بعنوان « قصيدة السد » يصف فيها بداية التفكير والعمل فيه وآثره .

(١) انظر البرنامج الثانى للثقيف سنة ١٩٧٠ - الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ص ١١٥ .
(٢) انظر أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٤٨ .

كان حلما فخطرا فاحتمالا ثم أضحى حقيقة لا خيالا
عمل من روائع العقل جئنا بعلم ولم نجته ارتجالا
انه السد فارتقبوا مولد السد وناهوا بيومه الأجيالا
يفتح الرزق وهو سد فينسب جنسوبا في أرضنا وشالا
ويبقى النهر نزوة المسرف المحتاج يلهو فينثر الأموالا
ويشيع الحياة تنبض نبضا يعمر الجذب نوره والرمالا

ويعدد « صالح جودت^(١) » فوائد السد لمصر والسودان في قصيدته
« السد العالي » ثم يعرب عما حدث من تشكيك الغرب في نفعه وقدرة الثورة
على إقامته ثم بناء الثورة له بعزم الشعب ودخل القناة فيقول مخاطبا السد :

املا جنوب النيل خيرا ودع فيضا من الخير لأهل الشمال
وابسط جناح العز في أمة شفاء لا تعرف معنى المحال
بتتك من معدن أهرامها بمزمة الشعب ومال القنال

وعندما بدأ العمل في السد أنشد « محمود غنيم^(٢) » قصيدته « من وحى
السد » وفيها يقول مشيرا الى ضن أمريكا بقرضنا المال مساعدة على انشائه
ومقررا أن من بنى الأهرام قادر أن يبني السد وما فعله فرعون يمكن أن يفعل
عبد الناصر أكثر وأفضل منه :

ان الأولى رفعوا الأهرام شامخة هيهات يعجزهم انشاء خزان
أطل من قبره فرعون مبتسما وقال ان « جمالا » توأمى الثانى
فقلت شتان يوم الفخر بينهما فسا هما في سجال الفخر سيان
بنى الحياة جمال والرخاء معا لكن « خوفو » بنى قبرا الجثمان

ويشيد « بعبد الناصر » الذى واجه التحدى وبنى السد برغم امتناعهم عن
إعاقته كما يشير الى أثر السد العالي في وقف الفيضان في بعض الأوقات وسد
نقص منسوب المياه في بعضها الآخر وهى أيام التحاريق .

(١) انظر كتاب أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٤٩ .
(٢) فى طلال الثورة ص ٥٠ وما بعدها .

قد كان يشكوك صادينا وغارقنا يا نيل : حالك في واديك صنوان
ما عدت يا نيل بعد اليوم تظمننا أو عدت تظنى علينا أى طغيان
ثم يشير الى ما يحل بناء السد من رخاء للبلاد :
يا أيها السد بشر بالرخاء فما حوت ماء ولكن ذوب عقيان^(١)
وفي قصيدة لعبد الله شمس الدين^(٢) بعنوان « في مهرجان السد » يشير الى
أثر السد في تخزين المياه للارتفاع بها في رى القفار وعدم اهدارها في مياه المحيط
مفضلا بذلك عهد الثورة على عهد الفراعنة :
يا نيل حسبك ما مضى سرفا فلا تعتب على سد طوتك جسوره
عهد الفراعنة الشداد قهرته ولكم زهت بالمعجزات عصوره
ويستطرد الى ذكر بعض مزايا نهر النيل من جمال وحلاوة مياه
وخصب وكهرباء .
ثم يصف بعض الأعمال الكبيرة في بناء السد وتعاون الجميع في
انسامها ليلا ونهارا :
أنفاقه وكأنها من عالم يعبى جيايرة النهى تسخيره
الجن يذهل أن رأى أعماقها محفورة في الصخر مزق طوره
الليل عندكم نهار كادح ونهاركم حشر يؤز سعيره
كل سواء : عامل ومهندس وخفيره ووزيره وخبيره
ويقول « عبد العليم القباني^(٣) » من قصيدة « قصة الثورة » مثيرا بالسد
مقارنا بين الناية من بنائه والناية من بناء الأهرامات وأن بناء السد للحياة
وبناء الأهرام للموت :

لا تذكروا الهرم الجيزى ان لنا في ذلك السد مجدا دونه الهرم

(١) العقبان : الذهب .

(٢) ديوان « الله أكبر » ص ١٦٥ وما بعدها .

(٣) انظر أشعار قومية ص ٥٨ .

شتان ما بين صرح شاده نفر الموت غاية ما شادوا وما نظموا
وبين صرح بناء الشعب غايته ألا تضيع على أبنائه النعم
وقد سبق الى هذا المعنى محمود غنيم فيما روينا من شعره آتفا .
ويعرض معبد أبي سنبل(١) « الذى يقع جنوب السد للفرق بالمياه التى
يحجزها السد فتهرع اليه الثورة لتنقذه ، ويشيد أحمد رامى بالثورة وقائدها
وبالمعبد ورمسيس ثم يقول :

ابه رمسيس يا مخلد ذكراك على الصخر فى العصور الأولى
آن أن تبرح المكان الذى عشت على سطحه زمانا طويلا
لا ترع قد حماك من كل شر من حمى أمة وصان قبلا
ويقول مشيدا بالسد وبانيه :

فتطلع الى مشارف أسوان وحدق فيما يبرد النيل
انه السد يسط الرزق فى الوادى ويضفى عليه ظلا ظليلا
مده من يسد ربا له العمر ويؤتبه فضله المأمولا

التصنيع :

وتأخذ حركة التصنيع حظها من عناية الثورة ايمانا منها بأن الصناعة هى
عماد التقدم وأن بلادنا قد تخلفت نتيجة لخرافة أشاعها الاستعمار وهى أن مصر
بلد زراعية لا قدرة لها على الصناعة ولا حاجة اليها بها ثم محاولة الاستعمار
جهده أن يقف فى وجه النهضة الصناعية فى مصر لتظل بلادنا فقيرة تابعة له
لا تجد من دخلها وثروتها ما يسكنها من الاكتفاء الذاتى الذى يجعلها
تعيش مستقلة .

ولهذا كان أهم ما وجهت الثورة اليه اهتمامها منذ قامت أن تحطم الخرافة
أو الأسطورة الكاذبة وأن تضى قدما فى طريق التصنيع بعد أن تبينت أن

(١) أبو سنبل اسم مكان بالنوبة السفلى على بعد ٢٨٠ كم الى الجنوب من اسوان .

الصناعة أهم مصدر من مصادر الدخل القومي وأول دعامة من دعائم
الاستقلال الاقتصادي .

ونقد قطعت الثورة شوطا عظيما في هذا المجال في مدى السنوات القصيرة
التي عاشتها حتى اليوم ..

يقول « عبد العليم القباني^(١) » مفتخرا بالمصانع التي شيدها الثورة :

هذى المصانع تعتر الحياة بها تكاد - لولا التقى - كالبيت تستلم
شما تصعد بالأعباء صامدة ويلتقى حولها البانون والهمم

ويقول « عبد الله شمس الدين^(٢) » في قصيدة بعنوان « في موكب التصنيع
العربي » رادا على أكذوبة أن مصر بلد زراعية مخاطبا أخاه المصري :

رموك فقالوا ليس الا مزارعا وما هو الا قمحه وسنابله
ومن قبل كانت مصر للأرض كلها بناء رقى ما له من يائله
وأين صناعات الفراعنة الأولى وفي ظلها التاريخ عزت أوائله ؟

ثم يصف ما تم انجازه من الصناعة خلال ثمانى سنوات من عهد الثورة :
خلال « ثمان » من سنين قريبة تحقق ما لا يستطاع تجاهله
فضنا ثرانا فاستحال صناعة حديدا وصلبا جيشا سال سائله

وحين تنتج مصانعنا الحربية صاروخى « القاهر » و « الظافر »
يتوجه عبد الله شمس الدين^(٣) بحديث الى المستعمرين صانعى اسرائيل
والصهاينة جرائم الشر والفساد فيقول مهددا :

يا كل مستعمر فى الأرض يا حجرا عليه ساعد اسرائيل يتكسى
هذى سواعدنا تعلو مصانعنا وذى مفاخرنا فليشهد الملا
ويا صهاينة الاحقاد وبلكم من « قاهر » هادف لم يثنه خطأ
و « ظافر » بسعير الموت يلقحكم فعاودوا المكر والعدوان.. واجترأوا

(١) أشعار قومية « قصيدة » قصة الثورة ص ٥٨ .

(٢) من ديوان « الله أكبر » ص ٥٢ وما بعدها .

(٣) ديوان « الله أكبر » - قصيدة « الصاروخ » ص ٩٨ - ١٠١ .

الانفصال :

ويتبع الانفصال : انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١ بفعل مجموعة من الخونة المارقين الحاقدين على مصر وعلى الوحدة وجمع شمل الأمة ، يقف الشعب العربي الذي آمن بالوحدة واستبشر بها بين مصر وسورية نواة لوحدة عربية شاملة .. يقف الشعب العربي كله مذهولا لشدة الصدمة في أول تجربة عملية لها في العصر الحديث وقد كان يرجو منها أن ترأب الصدع وتجمع الشمل بعد أن فرق الاستعمار والجهل والضعف المادي والفكرى أمتنا بددا ومزقها اربا ، وقسمها دويلات . ويقف الشعر المصرى أشد ذهولا من الصدمة فيبكي حظه ويشكو خائني عهده ومفرقى جمع وطنه في مصر وسوريا ومحطمي أمله في قيام وحدة عربية شاملة قريبة .

يقول علي الجندى مناشدا دعاة الفرقة والانفصال أن يثوبوا الى رشدهم في قصيدته « عودوا الى الحسنى(١) » :

يا من يريدون لنا فرقه أعيدكم بالله أن تفعلوا
لا تخجلوا « يعرب » في تربه « فيعرب » من فعلكم يخجل
بالله ، بالقرآن ، بالمصطفى من ينعمم وهو المهتدى المرسل
عودوا الى الحسنى ولا تركبوا ظهر الهوى ان الهوى مجهل

ويستنكر صالح جودت(٢) الانفصال بعد مرور عام عليه فيقول يخاطب دمشق معانبا :

ويا دمشق عتابا ان وحدتنا لما يزل جرحها يدمى ويتكىء
ثم يقول انه لا يلوم في دمتق الا عصابة من الناس انحرفوا وانها أظهرت
نكران الوحدة فانها تخفى عيب الحب وان في حياها شبابا يوسر: بالعروبة واننا
في الند لا بد متحدون .

(١) ديوان « ترانيم الليل » ص ١٠٨ ، ١٠٩ وكان الشاعر وقت وقوع الانفصال في دمشق .
(٢) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ٦٣ قصيدة : ميناء الثورة ص ٥٤ .

دمشق يا معقل الأحرار معذرة
ان كنت أظهرت نكرانا لوحدتنا
ان لمت فيك أناسا رأيهم هزؤ
فأعسق الحب ما يخفى ويختبئ
وفي حماك شباب في عروبتهم
غدا سيأتى خيس لا يفرقنا
فيه عن الزحف من ضلوا ومن خسوا

ويصف محمود عبد الحى حادث الانفصال بأنه طعنة من غادرين يندى لها
الجبين ومن عجب أنها طعنة صديق ولهذا كانت أشد وقعا بل ان الجاني بها قد
طعن نفسه فترأى طاعنا وهو طعين .

طعنة الليل بأيدي الغادرين
ليتها كف عدوى .. ليتهما
فعللة يندى لها كل جبين
لم تكن كف وليي والخذين
وإذا الطعنة جاءت من أخ
أصمت القلب وأودت بالوتين
قتل الجاني غويا نفسه
وترأى طاعنا وهو طعين

ثم يقول ان الانفصاليين أرادوا قطع ما وصل الله من الوحدة وهي فتنة بلونا
أمثالها من قبل واذا انتصر الباطل ساعة فسينتصر الحق الى قيام الساعة ولا نسى
دور الاستعمار في هذه الفتنة فهو « الخطر والداء الدفين » .

ويقسم أننا سوف نعيد وحدتنا لانها تاريخنا « وهي للأمة بعد الدين دين » :

انما وحدتنا تاريخنا وهي للأمة بعد الدين دين

في مناسبات اعياد الثورة :

وما أكثر ما أشاد الشعراء بالثورة وآثارها وانجازاتها ، ففي كل مناسبة من
المناسبات وكلما مر زان على الثورة أو جد فيها جديد يعيد الشعر الى الأذهان
كمرى فيامها وما أحدثته في البلاد والحياة من أحداث وتغييرات جوهرية جذرية :
ففي أحد أعياد الثورة يذكر « عبد الله شمس الدين (١) » بقيام الثورة ويدعو
أبناء مصر الى استغلال خيراتها التي ظالما حرموها .

(١) ديوان الله أكبر قصيدة عيد الثورة ص ٢١٢ وما بعدها .

قم يا ابن مصر فقد دعيتك ربوعها وسهولها ووهادها وبطاحها
الأرض أرضك في يديك ثمارها وعليك يرجع خيرها وصلاحتها
هيئات أن نشقى ونحرم خيرها ان الأمور اليك عاد صاحبها
وفي العيد الثاني عشر يخاطب الثورة المصرية العظيمة التي سطعت بنورها على
أفريقيا وعزفت للحياة أغنية السلام وكانت ملتقى التنظيمات وآمل الشعوب
الوحدوية :

وسطعت في أفريقيا نورا تضيء كالقمر
وعزفت أغنية السلام لتسعدى كل البشر

يا ثورة الثورات يا رمز انتصارات البريه
يا ملتقى النهضات يا أمل الشعوب الوحدويه

عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ : مقدماته ونتائجه :

لقد اجتمعت أسباب عديدة أدت الى وقوع الصدام المسلح بيننا وبين قوى
الاستعمار العالمى وريسته اسرائيل ، والى نتائج الهزيمة العسكرية الساحقة التى
منيت بها فى الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ والأيام القليلة التى تلتها ، ومن بين
أسباب هذا الصدام :

ان قوى الثورة العربية كانت قد اتسعت أفقيا وتمت رأسيا فى اتجاه الثورة
الاجتماعية خلال الأعوام الخمسة عشر التى مضت منذ قيام ثورة يوليو سنة
١٩٥٢ - - وحققنت انتصارات عديدة برغم كل التحديات التى قابلتها ، ولكن التقدم
العربى السياسى والاقتصادى والعسكرى لم يعن عن وجود قصور كبير فى آلة
الحرب - كما ظهر من خلال معارك الأيام الستة من يونيو سنة ١٩٦٧ - فى القيادة
والتنظيم والتدريب ونقص المعلومات عن العدو ، كما لم يعن عن قصور واضح فى
أسلوب دعايتنا العربية بالتهويل فى قوتنا والتهوين من شأن العدو وبالذعاء بالويل
لاسرائيل والتهديد بدفنها فى سيناء واغراقها فى البحر المتوسط وابتدائها والقضاء
عليها فضاء مبرما .. ولو كان ذلك من خيال الشعراء لصح وجاز ولكنه كان من

أجهزة الاعلام الرسمية وقادة البلاد السياسيين والعسكريين ، وبالاسراف في التعبئة النفسية لجباهيرنا العربية بالاثارة البالغة حيناً وبالتهدة الميئة حيناً آخر .

وفي الجانب الآخر كان العدو قبل قيامه بعدوانه يلسس النمو الهائل والامتداد الواسع لحركة الثورة العربية ويحس بموقع الوطن العربي الاستراتيجي بالنسبة لخطته الاستعمارية في مواجهة دول المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر النامية في آسيا وأفريقيا ، وكانت اسرائيل التي تعتبر جزءاً من حركة الاستعمار العالمي قد بلغت من القوة بعد حوالي عشرين عاماً من قيامها على أرض فلسطين المقتضية حداً يجعلها مهياًة لشن عدوان جديد يمكنها من الاقتراب من هدفها البعيد وهو انشاء دولة « اسرائيل الكبرى » ، وقد استغلت ذكاءها ونفوذها الاعلامي الواسع في تعميم الرأي العام العالمي لتأييد باطلها مستفيدة بأخطائنا الاعلامية الفادحة .

ولهذا رأى الاستعمار ومن خلفه حليفته اسرائيل أن من المحتم المبادرة من جانبه بعمل يحقق له كسباً جديداً على حساب قوى التحرر العربي .. عمل شرير وخطير يستهدف وقف عجلة التقدم العربي واجتثاث الثورة العربية من جذورها ووآد التجربة المصرية الاشتراكية وتصفيتها وسحق الارادة العربية فكان العدوان الاستعماري الخاطف وكانت النكسة العربية العسكرية .

ولكن لم يستطع العدو أن يحقق أهدافه البعيدة بعدوانه المسلح بل لعل هذا العدوان جاء في بعض نتائجه بعكس ما يرجوه العدو .

ولقد وقعت تلك الحرب الخاطفة التي هزمتنا العدو فيها عسكرياً فحطم الكثير من المعدات وقتل الألوف من الجنود واحتل المساحات الواسعة من أراضي مصر وسوريا والأردن ، ولكنه رغم هذه الهزيمة العسكرية المنكرة التي ألحقها بنا لم يستطع أن يهزم الارادة العربية ، فقد كان وقوف الجماهير العربية يومى التاسع والعاشر من يونيو عام ١٩٦٧ دليلاً على أن ارادتها أقوى من أن تعصف بها أنواع هزيمة عسكرية في معركة واحدة مهما يكن حجمها كبيراً ، كما كان دليلاً على رفضها للاستسلام لارادة العدو لتحويل الهزيمة العسكرية الى هزيمة سياسية شاملة تنهار بها النظم الثورية في الوطن العربي ، ثم كان دليلاً على اصرارها على استمرار النضال الى آخر مدى مهما اقتضاها ذلك من تضحيات .

وعلى عكس ما أراد العدو ، زادت النظم الثورية رسوخا ، وقوى تيار المد الثورى فانتصرت ثورات جنوب اليمن والسودان وليبيا ، وحقق الاقتصاد المصرى طفرات فى الانتاج الصناعى والزراعى بالرغم من الأعباء الاقتصادية التى فرضتها المعركة .

ومن أبرز النتائج التى حققها العدوان وجاءت على عكس ما يرجوه العدو ذلأ: النمو الهائل التى حققتة ثورة الشعب الفلسطينى ، فقد برز هذا الشعب لأول مرة بعد نكسة سنة ١٩٤٨ - أى بعد غيبة عشرين عاما - برز الى ساحة القتال المسلح كقوة أساسية فى الصراع ضد العدو ، ولا شك أن ذلك كسب كبير للقضية العربية فضية فلسطين فلو خدمت الآن جذور الحساس لاسترجاع فلسطين لدى سائر العرب فلن تخمد لدى الفلسطينيين أصحاب الأرض ، ولو رفض العالم دعوى العرب من غير الفلسطينيين لاسترداد فلسطين وكفاحهم من أجلها محتجا بأنها ليست أرضهم فلن يستطيع أن يرفض دعوة الفلسطينيين لاسترداد أرضهم المسلوبة وكفاحهم المقدس فى سبيل استخلاصها . ولهذا كانت صحوة الشعب الفلسطينى على نكسة عام ١٩٦٧ من أطيب ثمار النكسة لأنها المفتاح الهام فى حل القضية الفلسطينية « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

والشعر وهو المرآة الصادقة للحياة والميزان الحساس لمشاعر الناس قد صور أحداث النكسة وآثارها وعبر عن كل ما دار فى نفوس الجماهير العربية اثرها من غضب وثورة ورفض لكل شئء ولكنه عبر بعد ذلك عن صمود الشعب العربى وارتفاعه فوق النكسة ولم يكتف بالتعبير عن ذلك الصمود وانما عاون على تأكيده لأن الشعر فى مجتمعنا الجديد قد عرف طريقه وأتقن دوره وآمن برسالته فى قيادة المجتمع وحمل المشعل أمامه يضىء له الطريق ويهديه سواء السبيل ولكن ينبغى أن نشير فى هذا المقام أن النكسة كانت انقلابا ضد الثورة العربية الصاعدة حلقناه دون أن نشعر بتصرفاتنا الرعناء وغرورنا الأحمق فى وقت من الأوقات ظننا فيه أننا ملئنا زمام الأمر وأتينا بلغنا من القوة ما يجعلنا فى مأمن من العدو ، بل ما يجعل العدو فى قبضة أيدينا نسلمه ان شئنا الى الموت وان شئنا الى الحياة .

وإذا اعتبرنا أن النكسة انقلاب بهذه الصورة ضد الثورة العربية العريضة أمكننا أن نعتبر الشعر قبلها مسئولاً عنها وممهداً لها ، لأنه في جانب كبير منه كان يعبر عن الأحداث والانتصارات متفائلاً غاية التفاؤل لا يكاد يوجه وينبه إلى ما في الحياة من نواقص وما في المجتمع من سلبيات .

وهو في الجانب الآخر منه انطوى على هموم الذات لا يكاد يبين عن أسباب هذه الهموم . وحتى إن كان من بين هموم هذا الشعر بعض تلك العوامل التي أدت إلى النكسة مما أورثه الحزن واليأس والاحساس بالضيق ، إلا أن تجاربه القاتمة ومعانيه المبهمة في ذلك لم تكن لتهدى الضال العجlan الذي يتلمس طريق الخلاص من أقصر وأقرب الطرق .

ومن هنا يشارك الشعر في جانبه في تلك المرحلة سواء الكثير منه المتفائل أو القليل منه المتشائم ، يشارك في تحمل مسؤولية تلك النكسة كثورة مضادة للثورة العربية الشرعية ، المتقدمة على طريق الديمقراطية والاشتراكية الوحدة . ويدور شعر النكسة حول معان يمكن أن نجعلها فيما يلي :

قصة الحرب والغدر فيها ، الغضب والثورة بسببها ، الشكوى إلى الله والاسترحام ، رفض الهزيمة والصدود ، استبقاء عبد الناصر والرجاء فيه ، التمسك الشديد بحب البلاد ، التنديد بالاستعمار ، الاصرار على استرداد فلسطين ، الدعوة إلى الاتحاد ، تمنى المستقبل الأسعد والأمل في انسان الجيل الجديد والأجيال القادمة .

وتعرض لأمثلة من الشعر جسدت هذه المعاني :

قصة الحرب والغدر فيها :

يجيد في وصف ذلك الدكتور «أحمد هيكل(١)» في قصيدته «دموع وقسم!!» فيقول واصفاً غدر العدوان واشتراك أمريكا فيه وأثره في طعن الحق ، و « ضرب المسلم » و « هزيمة المدل » :

غير أن العدا تدلوا ستارا
يختمسى خلفه التامر ندلا

(١) انظر : فاروق أبو شوشة : كلمات على الطريق ص ٦٣ .

وأزبح الستار عن دولة البغي « أمريكا » تصول بالحق صولا
لم يكن ما جرى صراعا وحربا يتبارى فيها الفوارس بذلا
انما كان غاية القدر واللوم ولسنا للقدر واللوم أهلا
ماظننا وانما طعن الحق فأغضى يضم في القلب نصلا
ماضربنا وانما ضرب المسلم فصارت رباه قفرا ومحلا
ما هزمنا وانما هزم العدل فولى يجر للضميم ذبلا
ويقول « كمال نشأت(١) » في قصيدته « النار في الضفة الغربية » يصف أثر
هذه الحرب على الناس والأشياء :

حرائق حرائق
في الدرب .. في البيوت .. والأشجار
الليل من لهيبها نار
ثم يقول : ويطلع الصباح
الزرع والحديد والبيوت والأطفال
تكومت تلال
تفحست
فليهنأ الاندال

غضب وثورة :

وطبيعي أن يشور الشعر ويغضب لما حدث من نكسة فاقت أحلام العدو ودمرت
في مصر وحدها أكثر من ثمانين في المائة من معداتها العسكرية وقضت على أكثر
من عشرة آلاف مقاتل شاب واحتلت في ساعات مساحات واسعة من أراضى ثلاث
دول عربية .

طبيعي أن يشور الشعر ويغضب لتلك الخسارة المادية التي صحبتها بالطبع
خسارة معنوية أو مهانة أبدية تفوقها أضعافا مضاعفة ، فالعالم كله يشهد كيف أن

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٩ ، ٦٠

مليوين من الصهاينة يغلزون مائة مليون من العرب ، وفي خلال ساعات يكبدونهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات وقد كان العرب من قبل هذه الحرب يتادون بالويل والثبور وعظائم الأمور على الأعداء ويصفونهم بالخور والضعف والهزال .

لقد بلغت النكسة حدا جعل العقول شاردة والأفكار جامدة والنفوس ممزقة فحين عبر الشعر في أعقاب النكسة عما حدث جاء تعبيره يقطر أسى ويفيض أسفا وينفجر غضبا ، ينكر الحاضر بنا فيه وبن فيه ، ويتوجس خيفة من المستقبل . يرفض كل شيء في الوجود . فالقيم التي آمن بها تحطمت على صخرة الواقع الحزين ، يفقد في كل انسان لأن من أولاهم ثقته أوردوه موارد الهلاك .

وهذا « صالح جودت(١) » يعلن الهزيمة ويشير الى أسبابها ومن أهمها خديعة الكبار لنا وتضليلهم ايانا - فيقول :

وأنا من الحرب أوب الهوان	وعار الزمان بنا مطبق
على أننا قد خرجنا بأنا	ضحايا لمن وعدهم زئبق
وأنا خدعنا بقول الكبار	وبنا قلما قولهم يصدق
وقال الكبار اطمئنوا فأنتم	على الحق والحق لا يزهق
سكرنا .. سكرنا بقول الكبار	وعمدنا بسكرتنا تشرق

ويقول مخاطبا الملوك والرؤساء وهو يدعوهم الى الاتحاد والجهاد :

ألم تذكروا أن عشرين ألفا	على أرض سينا قد مزقوا
وأن مياه القنساء دموع	و « جولان » من خزبه مطرق
وأن مرابعنا تستذل	وأن مواردنا تسرق
وان كنا سنا تستباح	وأن مساجدنا تحرق

« يعيب » عبد المنعم عواد يوسف(٢) « غضبه باسم شهداء الحرية العربية في الجزائر وبور سعيد وباسم اللاجئين المشردين لأجلها من أبناء فلسطين .. على الخونة انذين خانوا كفاح الشعب :

(١) انظر مجلة الهلال عدد يناير سنة ١٩٧١ قصيدة « قبلة على رأس جلق » .
(٢) انظر كلمات على الطريق : قصيدة « صيحة عربية » ص ٧٧/٧٥ .

باسمهم باسم الضحايا والمآسى العريسه
ارفع الصيحة تهتزا ابناء وحميه
صفعة في وجههم في وجه تجار القضيه
الألى خافوا كفاح الشعب ساقوه مطيه

ويستحث « كامل سعفان(١) » قومه على الغضب واشعال النار وادراك الثأر
معبرا عن شدة كراهيته لهم وغضبه منهم وثورته عليهم لانهم أخطأوا فانتكسوا
وما يكون لهم أن يكرروا الخطأ لأن النكسة لا تتكرر :

يا أمة العبيد .. والعبيد .. والعبيد !!

يا عالم الجريد .. والجليد .. والصديد !!

هل تبصرون .. تشعرون .. تدركون .. تألمون ؟

هل تغضبون .. ؟

تغضبون .. تزحفون .. تقتلون .. تحرقون ؟ !

تحررون جيلكم من الدم ؟

من أن يدور في مناهة السدم ؟

من أن يفص بالوحول والرمم ؟

شكوى الى الله واسترحام :

ولما لم تجد القوة مع الأعداء ، أو لما تحظت القوة لم يعد امام الشعب والشمر
الا أن شكوا الى الله ويسترحاه ويطلبها منه أن ينقذها من الورطة ويقبلها من
العثرة ويبدلها من الضيق فرجا ومن العسر يسرا ومن الهزيمة نصرا .

فهذا « صالح جودت(٢) » في قصيدته « دعاء » يبتهل الى الله ان يلبى نداه
ويستجيب دعاه في تسديد خطاه وتطهير حماه « بحق النبي وباسم الوليد والشهيد
والطدريح لفجر جديد » ثم يقول :

(١) انظر كلمات على الطريق : قصيدة « عشرون عاما يا رجال .. !! »

ص ٩٠/٨٧ .
(٢) انظر الحان مصرية ص ١٨٠/١٨٢ .

أبرضيك يا صاحب القبطين قيام اليهود على الحرمتين
مسار المسيح وجد الحسين ونحن نلبك في المشرقين
أناديك يا من تلبى النداء وأدعوك يا مستجيب الدعاء
ألنا الأمان وسدد خطانا وطهر حمانا من الأشقياء
بحق حبيك في الأنبياء

وفي قصيدة أخرى بعنوان « يارب » يذكر أننا قمنا نرد العدوان فانتصر
الشيطان ويدعو الله أن ينتقم لنا من الظالم .

ثم يقول (١) :

يارب هل ترضى من يسرق الأرضا
ويسلب العرضا ؟
ياحى يا قيوم اعطف على المظلوم
واغضب على الظالم أنت بنا عالم !

رفض الهزيمة والصمود :

ولكن سرعان ما يفيق العملاق العربى ويجد نفسه النائمة في دوامة النكسة
فيرفض الاستسلام والهزيمة ويتحدى الزمان ويرتفع على الأحداث فيقول « محمود
حسن اسماعيل » (٢) في قصيدته « رفض الهزيمة » معبرا عن تلك الحالة من
التماسك التي أعقبت حالة اليأس والانهار بعد وقوع النكسة مباشرة .

أرفض حتى أن أتوهم نعش خيال عبرت فيه
أرفض حتى صوت القدر اذا ما انحدرت من أيديه
ترفض روى كل رؤاها يرفض زمنى أن يحيهاها
يرفض صمتى همس صداها يرفض غضب الناس سراها

ثم يقول :

ترفض أرضى ، يرفض عرضى ، يرفض كبر في طعين
يرفض وجهى ، يرفض لهب تحت جراح القلب دفين
يرفض كل وجود حولى ، كل حراك ، كل سكون

(١) الحان مصرية ص ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٢) أنظر كلمات على الطريق ص ١٤/١١ .

حتى يرفع وجه القسوس اذان النصر الى حاميه
أرفض حتى أن أتوهم نعش خيال عبرت فيه

وهذا الرفض المتكرر في أكثر أبيات القصيدة لفظا ومعنى انا هو الاصرار كل
الاصرار على النضال ومواصلة الكفاح والقتال حتى النصر .

ويأمر « صالح جودت » (١) الطغاة بالعودة الى حيث كانوا فقد بلغ حقدنا منتهاه
وسوف نردهم - أن لم يعودوا راضين - على أعقابهم خاسرين :

ارجعوا أيها الطغاه . . . بلغ الحقد منتهاه
حقدنا ما له أمد . . . وسيبقى الى الأبد
وستنضون كالزبد . . . وسيبقى لنا البلد

ويعد الدكتور « أحمد هيكل (٢) » الخسارة التي متينا بها خسارة في معركة
وليس خسارة في حرب مقسما بأننا سنحرر كل شبر محتل .

كل ما ضاع جولة ولنا النصر . . . فأهلا بجولة الشار أهلا
قسما بالشهيد وسد قفرا . . . تاركا خلفه عروسا وطفلا
سنحيل الاحزان صبورا وعزما . . . وانتصارا وتتبع القول فعلا
سنزيل العدوان عن كل شبر . . . ونعيد البناء أقوى وأعلى

ويأمل بعد أن يحرر الأرض ويحقق النصر أن يدعم السلام في الأرض ويحقق
الكفاية والعدل بألوف المصانع وعزيمة الابطال وتوفيق الله :

سنعيد الحياة فوق ثرانا . . . جنة للسلام تبسط ظللا
وحقولنا موج بالأمل الأخضر تبني وفسرا . . . وتقسم عدلا
وألوفنا من المصانع تمضي في سباق الرخاء تهدر عجلي
وحياة شماء لا تنحنى الدهر لغير الآله عز وجللا

(١) ألحان مصرية : قصيدة « انشودة المعركة القادمة » ص ١٨٣/١٨٥ .
(٢) انظر كلمات على الطريق ص ٦٤ .

وأما « محمد أحمد العزب^(١) » فيعد كل شيء باطلا مرفوضا : « ضوء النهار
وصوت الحقيقة وانتصار الانبياء وحتى خيال الشعراء » .. اذا ما سخنا بأحاسيس
الهزيمة تسرى في نفوسنا أو بأغاني الاحتلال تتعاوى في أرضنا .
وهو من أجل ذلك لا يسمح لتكاسل أو خائن أن يعيش على أرض الوطن بل
لا يتركه دون أن يقضى عليه ويهلكه :

أيها الحر المقاتل
عائدا كنت في الميدان أو تحت الجنادل
نحن أعددنا المقاصل
للذى يصنع في الأرض جسورا للغزاه
للذى يحرق في البحر طريقا للقوافل
وينذر « خليل جرجس خليل^(٢) » المعتدين بأن يجلوا والا بددهم وأبادهم :
ثم يقول :

لا عيش لى ان لم أعش	للذود أو اسشهد
محاربا عصابة	من اللثام الشرد
أحى حمى تراثنا	كبيتى ومسجدى

وبعد أن وضع للشعب أن جلاء المعتدين لن يكون بالكلام أو السياسة وإنما
بالقوة لأن « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » عبر الشعراء عن ذلك المعنى .
يقول « عبد المنعم يوسف عواد^(٣) » من قصيدة بعنوان « صيحة عربية » :

باسم شعب قاوم المسوت أيبا وعبيدا
صيحتي تملو زئيرا عريبا ووعبيدا
حلها ما زال اصرارا وعزما وحسودا
ودما يجرى كيما ينبت الفجر الجديد

(١) كلمات على الطريق : قصيدة « رغم كل شيء » ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
(٢) المصدر السابق قصيدة « اندار » ص ١٥١ / ١٤٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٧٧ / ٧٥ .

استبغاء عبد الناصر بعد تهجته :

وكان الشعر هناك داعياً مع الداعين الى بقاء « عبد الناصر » ليقود الشعب الى معركة جديدة تخلص فيها من أخطاء الماضي وسليباته فنزيل آثار العدوان وننشر السلام . يطالب « صالح جودت(١) » عبد الناصر بلسان الشعب أن يبقى لمنى الشعب وغده فهو الخير والنور والصبر على المقدور والناصر والمنصور ، ويقول :

قم للشعب وقل للناس قـل للعصر
فوق الجرح وفوق الياس عاشت مصر
وغدا ستحيى الاجراس يوم النصر

قم انا أعددنا العوده
قم انا أعلننا الوحده
فارسم انت طريق العوده
وتقدم يتبعك الشعب
دم للشعب

كذلك يطالب « محمد الجيار(٢) » ببقاء « عبد الناصر » لأنه رمز الماضي المجيد والحاضر العتيق والمستقبل السعيد :

عبد الناصر
يا قبضة هذا الوطن الصاعد
أين ستذهب .. ؟ لا تتركنا ..
انا نبصر وجهك خلف دموع الناس ..
نسمع صوتك في نبضات القلب ..
نبصر في عينيك صباحا يخفق بالاصرار
نعرف كيف نسوق على الاعداء لظى الاعصار
تؤمن أنك كنت الموعد بين الأمس .. وبين الغد

(١) انظر الحان مصرية قصيدة « دم للشعب » ص ١٧٧/٧١٩ .

(٢) محاكمة أمريكا ص ٢٥ .

ولا ينسى الشعراء في هذا المقام أن يذكروا بأعمال الزعيم الخالدة فتلك هي التي جعلت الشعب يتمسك به ويصر على بقاءه يقول « محمد ابراهيم أبو سنة (١) » :

في المدخنة المرتفعة
في عيني مصر
في الكهف المغلق في الصحراء
في سرير مريض
في كل فؤاد يبنى بيتا للحب
لكني يا حب بلادي الأول
أسمع في قلبك
خفق فؤاد حبيبتك الساهرة على ضفة نهر
في قلبك تخفق مصر .

تقد قاد « جمال » الثورة الى طريق المجد قبل النكسة وهو القادر بعدها على قيادة البلاد لتحقيق النصر وازالة آثار العدوان . يقول خليل جرجس خليل (٢) :

يا أمل العرب لنصر با « جمال » أنجد
وئأر لنا . . للشهداء . . للحمى .. للبلد
ونحن من حولك أبطال الوغى والمدد
سننتقذ الأوطان بالأرواح جمعاً تفتدى
وربنا من حولنا يشد أزر المهتدى

التمسك بحب البلاد :

والأزمة حين تقع بالبلاد وتهدها بالهالك تفجر الاحساس بحبها أشد ما يكون الحب وتذكر بكل ما جادت به من خيرات وبكل ما فيها من ماض وذكريات ، فلا غرابة أن تجد الكثيرين من الشعراء في ظل النكسة يتغنون بحب مصر . وإذا كان الانسان يتغنى بحب بلاده وهي كريمة عزيزة فكيف به حين يراها تتحيفها الخطوب وتهدها الكوارث .

(١) انظر كلمات على الطريق قصيدة « اغنية لعبد الناصر » ص ٨١/٧٩ .
(٢) المصدر السابق قصيدة « اندار » ص ١٥١/١٤٩ .

ومن ذلك قصيدة « على الجندي^(١) » بلادى الحبيبة التى يقول فيها :

بلادى وقتت عليك الغرام وفيك عرفت الجوى والهيام
إذا قلت « ليلى » فانت المنى وان قلت « سلمى » فانت المرام
أحبك حب المعنى العميد تباريحه كل يوم تزيد
أرى الحب يبلى بطول المدى وحبى على الدهر غرض جديد
فيا جنّة عجلت للعباد « كأنه ربي » بين البلاد
يعنيك قلبى يوم السلام وتقديك نفسى يوم الجهاد
ويقول « عيده بدوى^(٢) » معبرا عن احساس الفلسطينيين بعد النكسة بفرط
حبه لفلسطين لذكريات الصبا فيها ولأنها مثنوى الآباء والأجداد .. يقول معبرا عن
شوقه الشديد ولهفته العارمة :

أنا لست آنسى ذلك الحقل الذى فى المينيه
يا حقل جدى يا أغان للصغير ملحنه
مرت بنا الأحران من سنة تطير الى سنه
خذنى اليك بدوحة مسكينة متغضنه
فأنا أموت هنا أجف .. أعيش بين المسكنه

التنديد بالاستعمار :

والاستعمار فى النكسة يتمثل فى الاستعمار الصهيونى وفى قمة « الاستعمار
العالمى » أمريكا » وقد ندد الشعر بهما لأنهما أصل النكبة وسر النكسة .

ينعى « صالح جودت^(٣) » على الأمم المتحدة أنها خلقت عصبة الأمم لكى تثبت
العدل وتنقى الظلم ولكنها منيت بما منيت تلك به من سيطرة الدول الكبرى القوية
ذات الاطناع العدوانية كأمریکا فشلت حركتها وجمدت مبادئها وهى :

مبادئ كالنيرين طالعه تحول الدنيا جنانا واسعه
لو ان حلم الكون أمسى واقعه ولو صفت للخير كل نازعه
وأخلص الكون .. وأمريكا معه الأخطبوط ذو النوايا الخادعه

(١) كلمات على الطريق ص ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) انظر « الحان مصرية » قصيدة « نهاية الاسطورة » ص ٢١٢/٢٠٧ .
(٣) المصدر السابق قصيدة « حقل فى يافا » ص ٦١ ، ٦٢ .

السرطان المرتدى براقعه
وحوله بعض الشعوب الضالعه
وهكذا تهوى الاداة الرادعه
تأته في الظلمات مائعه
وينتصب تمثال الحرية في المحيط عند باب أمريكا أمام مدينة نيويورك حاملا
في يده الشعلة فيتخذ منه الشاعر مجالا للسخرية من أمريكا عدوة الحرية في العصر
الحديث فيجرد من التمثال رجلا امريكيا مدعيا الدفاع عن الحرية يطلب منه أن يفرق
نفسه في الماء قابضاً يميناه على الاشلاء فاللعنة الابدية تلحقه من الارض المسلوقة
ونار الحقد المشبوبة والبيارات المنهوبة وروح الحق المصلوبة ودعوة عيسى والعذراء
ومن غضبة كل أبى ولعنة كل أبى ثم يحصله مسؤولية النكسة وما أصاب الأمة
فيخاطبه وهو في الحقيقة يخاطب أمريكا :

يا مغتال الحق العربي	بيمينك يا عبد الذهب
بيت الاسراء	أسلمت الى الصهيونية
بدم الشهداء	وغسرت الأرض العربية
وسنطقىء من يدك الشعلة	سنقيم من الحقد مظه
واهبط في الماء	أطرق تمثال الحريره
وعلى الاشلاء (١)	يمناك على الدم مطويه

وفي هذا المعنى يقول « محمد الجيار (٢) » منددا بأمريكا وتمثال الحرية
ذى الشعلة فيها :

وضعوا الشعلة فوق صليب للحرية ..
لتضىء بنار المحترقين
تقذف فوق بحار اللون الأخضر نارا للناالم
فلتهتف كل شعوب الأرض بصوت واحد ..
يا أمريكا يا مقبرة سلام العالم ..
يا هذا البيت الأسود ..

(١) ألحان مصرية : قصيدة « تمثال الحرية » ص ١٨٨/١٨٦ .
(٢) محاكمة أمريكا ص ٢٣ .

تحت رياح من زفرات الناس
يلعنك مسيح الحب بصوت باك للأجراس .
تنشالك نصب للحرية ..
حرية قتل المظلومين ..

ويهدد « صالح جودت(١) » أمريكا بأخذ الثأر لأن الأحرار لا يرضون المذلة
وأن تبقى أرضهم محتلة :

لن ننسى الأرض المحتلة ويمين الله الجيسار
والثأر الثأر هو القبلة في سفر صلاة الثوار

اصرار على استرداد فلسطين :

ولا شك ان النكسة قد قوت العزم وزادت اصرار الشعب العربي والفلسطيني
على ضرورة استرداد فلسطين لأنه كلما زاد عدوان المعتدى زاد اصرار صاحب الحق
على حقه . وقد عبر الشعراء عن هذه الحقيقة : يقول « عبده بدوي(٢) » :

لا بد لي من عودة فرحانة عند البكور
فيها أحطم كل خوف .. كل ظلم .. كل سور
فيهش بيتي ثم يورق بالغنساء وبالزهور
.. وأعود للحقل الذي قد عاش طفلاً في ضميري

دعوة الى وحدة الأمة العربية :

واذا كان ضعف الأمة العربية سببه تفرقها ، وكانت النكسة أثراً من آثار
هذا التفرق ، فمن البدهي أن ينادى الشعر بعد النكسة أكثر مما نادى من قبل
بالوحدة يعاونه في ذلك ايمان شعبي قاطع بأن الوحدة هي وحدها طريق الخلاص
من العدو واستخلاص حريتنا من قبضة يده ثم بناء حياتنا الكريمة الرخية
على أسس متينة قوية .

ويحث « صالح جودت(٣) » ملوك ورؤساء العرب على الوحدة
والجهاد فيقول :

(١) انظر أ الحان مصرية : قصيدة « القمح المر » ص ٢٠٦/٢٠٤ .
(٢) انظر : كلمات على الطريق : قصيدة « حقل في يافا » ص ٦١ ، ٦٢ .
(٣) انظر : مجلة الهلال عدد يناير سنة ١٩٧١ قصيدة « قبة على رأس جلق » .

أما آن أن تلتقوا في الجهاد وقد أذن الله أن تلتقوا
وأن تجعلوا الحرب قومية فلا باب في وجهها يغلُق
مصائرنا قدر واحد فلا مغرب فيه أو مشرق
وطبيعي أن أسباب الدعوة الى الوحدة معروفة ويا طالما ردها الشعراء
والكتاب في شعرهم ونثرهم ولكن المهم هنا هو شدة الاحساس بضرورة
الوحدة وكثرة الالاح في طلبها .
الأهل في مستقبل انسان الجيل العربي الجديد والأجيال القادمة :

وإذا كنا نناضل اليوم لاستخلاص حريتنا فلسوف يجنى ثمرة هذا النضال
جيلنا الناشئ والأجيال العربية التالية . ولأن هذا شيء لم يتحقق بعد فشاعرنا
العربي يرجوه أملاً وتخيلاً واقعا وعملاً . فمحمود حسن اسماعيل^(١) يشجب
احتلال الصهاينة للقدس وانهم يريدون أن يطفئوا نور الله ويقتلوا الحياة ويوقفوا
الصلاة ولكنه لا ييأس بل يقرر أن لا بد لسجوده أن يعود ، وللأذان للصلاة
أن يصدح من جديد .

حين رأيت ذابح التوراة وقاتل الهادين للحياة
تضمرت في أفقها ذراتي وأسلمت أجفانها مشكاتي
وأقسمت بأمسها صلاتي مهما تذق من غدره ويلاتي
لا بد أن يعود لي سجودي ويصرخ الأذان من جديد
مكبراً في قبة الوجود

وفاروق شوشه^(٢) يرى بظهر الغيب سفينة البلاد وهي ترسو على بر الأمان
بقيادة ربانها انسان الجيل العربي الجديد :
لكنني رأيت يا ابن جيلنا
ويا آب الذين سوف يولدون

(١) انظر مجلة المجلة مايو ١٩٦٨ قصيدة « من شفاء القدس » .
(٢) انظر كلمات على الطريق « لانك الانسان » ص ٩١/٩٣ .

ما لا ترى العيون فيك من حقيقة الانسان
يا غامر الطريق باللحون
وانت وجهك الحنون
يقودننا
يقودنا لشاطئ الأمان
لأنك الانسان

وأما « كمال نشأت (١) » فيتصور الأجيال القادمة بعد مئات السنين وقد
توفرت لها بالفعل حياة رخية هنيئة فيطلب منها أن تذكر نضالنا من أجل
توفير هذه الحياة :

يا قارىء المستقبل السعيد
يا فكرة في الغيب
تحيتى اليك عبر رحلة الزمان
يا قارىء البعيد
في جيلنا الانسان كان يأكل الانسان
لا حب .. لا أمان
قد كنت في خيالنا ونحن في النضال
نقول : « للأجيال
كفاحنا . . . »
يا قارئى البعيد
وأنت في حياتك الرخية المعطاء
تذكر الآباء

(١) كلمات على الطريق - قصيدة خطاب الى قارىء بعد مئات السنين
ص ٥٧/٥٥ .

ثم يقول :

فان قرأتم مرة تاريخنا
فلتخضع القلوب والابصار
لأننا طليعة الشوار
السد . . . والقناة . . . والمصانع
ويقظة الشعوب
خلودنا الدوار

رثاء عبد الناصر :

كانت فجيرة مصر في موت عبد الناصر أكبر فجيرة اجتساعية حاقت بها ،
لأنه مفجر ثورتها وباني نهضتها ، ولأنه أملها - بعد النكسة - في اقالة عثرتها ،
حتى لقد ارتفعت أصوات الناس كلهم بإنكار أن شيئاً من ذلك قد حدث فاذا
أيقنوا أن عبد الناصر قد مات ، أصابهم ذهول شديد ، وأخذ منهم الحزن كل
مأخذ وتدافعوا الى الشوارع والميادين في غير اتجاه محدد ليلتقوا في كل مكان
وفي أى مكان حيارى وسكارى لا يملكون الا العزاء لمصر والعروبة وللعالم كله
فيه ولا يرجون الا الصبر وحسن المثوبة عليه . فقدوا به الشهامة والبطولة ،
الاخلاص والوفاء ، الانسانية والنبل ، الشرف والكرامة ، رعاية الفقراء واليتامى
والإيامى ، نصره الضعفاء والمظلومين والمحرومين . حب السلام وبغض الاستعمار
والاستغلال ، فقدوا به واقع الانتصارات الكبيرة من جلاء المحتل وزوال الاقطاع
ونمو الزراعة ونهضة الصناعة وتأميم القناة والانتصار على العدوان الثلاثي
واقامة انسد العالي وقيام الوحدة بين مصر وسوريا وبناء الاشتراكية العربية
وزعامة الحياد الايجابي وعدم الانحياز والمعاونة الجادة والأكيدة على تحرير
الانسان في كل مكان في الوطن العربي وفي كل بلد تدوسه أقدام الغزاة وتكتم
أنفاسه يد المحتل في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وحتى النكسة التي جرت
فيها الدماء العربية دفاقة على الثرى العربي ، كانت اثر وقفة منه للشرف والوفاء ..
كانت اثر تهديد الصهاينة لسوريا الشقيقة . وكان الخلق العربي والاسلامى يحتم
عليه أن يفزع لنجدة اخوته العرب ضد قوى الشر التي تتهددهم ، ولو خسر

في سبيل ذلك كله ماله ورجاله ، ولهذا لم يقبل الشعب أن يتنحى القائد عن القيادة بعد تلك الخسارة الجسيمة لأنه لم يستوح فيما فعل الا روح الشعب وضميره وخلق العرب ومبادئهم ولأنه أخلص أعظم الاخلاص فحقق الاستقلال وحطم الاستغلال وحى الحرية وبنى الاشتراكية ودعا بدعوة السلام في الأرض ولكنه السلام العادل العزيز الذي لا يخضع ولا يركع ولا يستكين .

« وكان الشعراء أسبق الفنانين في تسجيل مشاعرهم ومشاعر الجماهير العربية من حولهم يوم فقدت الأمة العربية زعيمها جمال عبد الناصر وخرج شعرهم صورة حية لا تعبر عن الهول والفتنة والآلام فحسب ، ولكنها تعبر في الوقت نفسه عن الصمود والتأسي بل تعبر عن الأمل في تحقيق ما بدأه الزعيم الخالد للأمة العربية كلها(١) » .

وها تلك شواهد موجزة لما قاله بعض شعرائنا في مصر في رثاء عبد الناصر اثر وفاته وكانت تتضمن في عمومها المعاني الآتية :

(١) التعبير عن الذهول وفرط الحزن :

يقول صلاح عبد الصبور(٢) مفتتحا قصيدته « الحلم والأغنية » : بكائيه لعبد الناصر « نافيا أنه قد مات :

لا لِم يمت !

ويصف حالة الناس :

الدمع سقياهم وخبزهم التأوه والآنين

هل مات من وهب الحياة حياته ؟ !

ماذا سنفعل دونه ؟ !

ماذا سنفعل بعده ؟ !

ثم يعود الى انكار ونفى أنه قد مات لأنه يعيش في مصر الخالدة

(١) مقدمة سهير القلماوى لمجموعة الشعرية « وداعا عبد الناصر » التي جمعها فاروق شوشة .

(٢) انظر « وداعا عبد الناصر » ص ٥٧/٤٩ .

هل مت . . ؟ لا

بل عدت حين تجمع الشعب الكسير وراء نعشك

اذ صاح بالالهام

مصر تعيش .. أنت اذن تعيش !

ويقارن صالح جودت^(١) بين النكسة العسكرية عام ١٩٦٧ والنكسة بموت
عبد الناصر ويرى أن نكسة الموت أولى بالبكاء من النكسة العسكرية لأن خسارة
الحرب تعوض وخسارة هذا الموت ليس لها عوض .

أيها الباكسون في نكستنا هذه النكسة أولى بالبكاء

أما العدوان ليل ينقضى ويعود الفجر خفاق الضياء

بينما الموت رجاء ينتهي ومنى تنضى كأحلام المساء

الاشهاد بعيد الناصر :

ولكى يرفع الشعر من قدر عبد الناصر من ناحية ، ويكشف عن جسامه
الخسارة في فقدته من ناحية أخرى ، يعدد الشعر صفاته ويشيد بأخلاقه ويصف
الدور الذي قام به والأمل الذي علق عليه .

يفسر صلاح عبد الصبور^(٢) موجة الحزن العارمة التي غمرت الناس
لموته فيقول :

عشرين عاماً

كان الملاذ لهم من الليل البهيم

وكان تعويد السقيم

وكان مفتاح المدينة للفقير يذوده حرس المدينة عن حماها

عشرين عاماً

(١) انظر يوسف الحمادى وآخرين : القراءة الثانوية - قصيدة « كل عيد ما خلا
النصر هباء » ص ٥١ ، ٥٢ .
(٢) انظر « وداعاً عبد الناصر » قصيدة « الحلم والأغنية » ص ٥٧/٤٩ .

نلقاك شابا في رداء الحرب تنفخ في النفير
كى توظف الاشلاء ، تجمع شمل مصر المسترقه
ويقول فاروق شوشه(١) مصورا النهضة التى قامت على يديه :

واذا مصر على الضفة تختار وتبنى
بيتها المقعم ايمانا وخضره
لم تعد تحمل جره
أصبحت تحبل كراسا وأزميلا وفجرا
أصبحت تضغط بالاصبع زر الكهرياء
لترى الوادى حقولا ورجالا ومصانع
والقضاء الرحب عمراننا وناسا وشوارع

ولأن الفقراء كانوا أشد الناس حزنا عليه لأنهم كانوا أكثر الناس افادة به
فقد كان كل الشعر ييكي حظهم في فقده ، يقول فاروق شوشه في القصيدة نفسها :

واليتامى الفقراء
كنت فيهم واحدا منهم لهم
حبة القمح وجلباب الشتاء
ويد الرحمة في لفح البلاء
والأب الحانى اذا عز الدواء
والغد الآمل في عين الرجاء
ويقول كمال عمار(٢) :

يا من كنت أخا وأبا وصديقا للمنتصرين
وذراعا للمنكسرين

(١) وداعا عبد الناصر قصيدة « أحزان الفقراء » ص ٨٣ ، ٩٠ .
(٢) المصدر السابق قصيدة « ذلك أنك مصر » ص ٩٦/٩٣ .

نشجعا في ساعات الهول
وشعاعا للمرتقبين الفجر على أرض فلسطين

(ج) التعبير عن الصمود :

ولا يلبث الشعب أن يتناسك حين تمر به الأزمة قليلا ، ويجيل الفكر ويذكر
كلام عبد الناصر ان كل زعيم هالك ، وان الشعب هو الخالد ومصر هي الباقية ...
لا يلبث الشعب أن يتناسك ذاكرة مبادئ عبد الناصر ومواقف عبد الناصر في
الصمود ، ذاكرة أن طريق عبد الناصر قد بدأ ولكنه لم ينته ، بل لقد اشتدت بسوت
عبد الناصر المسئولية وزادت الأعباء ، ويعبر الشعراء عن تلك المعاني في صدور
الشعب فيقول أمل دنقل في قصيدته « لا وقت للبكاء »

ولالتين والزيتون

وطور سنين . . وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين من سبتمبر الحزين

رأيت في هتاف شعبي الجريح

رأيت خلف الصورة

وجهك يا منصوره

وجه لويس التاسع المأسور في يدي صبيح !

رأيت في صبيحة الأول من تشرين

جندك . . يا حطين

يكون

لا يدرون

أن كل واحد من المشين

فيه . . صلاح الدين !

ويقول محمود حسن اسماعيل(١) في نهاية قصيدته « من لحظة الحزن
العظيم » .

(١) وداعا عبد الناصر ص ١٢٢/١٢٩ .

وما دام في الأرض حر وثائر
وما دام فيها حياة
فما مات « ناصر »
ولا غربت من يديه الحياة !

وبعد أن يعبر محمد ابراهيم أبو سنة^(١) عن هول الفاجعة يتصور أن
عبد الناصر قد خرج بوجهه « يتلألأ فوق النيل » يسمح دمه ويصبح به
« جفف دمعك واقرأ » :

وإذا ضوء يخرج من عينيه
أقرأ في صفحته البيضاء
« قسم يا وطني . .
كل الأوراق ستسقط
لكن تبقى الشجرة
كي تورق في كل ربيع »

ثم يتصور أن عبد الناصر يأخذ كفه ليضعه على صدره فيسمع الشاعر هتافا
عاليا في قلب الزعيم :

أسمع آلاف الأجراس تصيح
خالدة مصر
خالدة مصر

وأخيرا يدعو الشعر حكام البلاد الى مواصلة السير على طريق عبد الناصر ،
يقول صالح جودت^(٢) :

يا رجال العهد صونوا عهده انما أتم عليه أوصياء
واحفظوا ثورته طاهرة وانقضوا كل انحراف والتواء

(١) وداعا عبد الناصر قصيدة « خالدة مصر » ص ١٠٢/٩٩ .
(٢) انظر يوسف الحمادى وآخرين : القراءة الثانوية قصيدة « كل عيد ما عدا
النصر هباء » ص ٥١ ، ٥٢ .

ومن كل النصوص التي عرضناها في هذا الاتجاه الوطني يتبين لنا كيف أن الشعراء قد انقلعوا بالتغير الكبير الذي حدث في المجتمع بعد قيام ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٥٢ فتحولوا من التيار الوجداني الذي ساد الشعر قبل قيام هذه الثورة الى ذلك التيار الواقعي الذي يصف الحياة والناس والأحداث.. يستعيز عن الوجدان الفردي بالوجدان الاجتماعي فيصبح فيه الشعر موضوعيا لا خواطر متناثرة متداعية وعواطف متشابهة .. لا يأخذ جانب الذاتية والفردية والاثرة بل يأخذ جانب المجتمع والشعب ومشاكله .. لا يبحث في ذاته عن سر سعادته وشقاؤه بل يبحث عن ذلك في مجتمعه الذي تنعكس أفراحه وأشواقه على أفراده .. فما نكاد نعرف عملا من أعمال الثورة ومنجزا من منجزاتها أو لا نكاد نعرف حدثا من الأحداث بالبلاد وكان ذا أثر عليها وعلى أهلها الاغص الشعر من مداده قلمه وصاغ من معانيه بدائمه وروائمه وأفرغ في وصفه ذوب نفسه وخلصه فكره وعصاره أحاسيسه ومشاعره وعواطفه ، والشعر الذي ذكرناه في ذلك ما هو الا أمثلة قليلة لا تمثل الا نسبة ضئيلة من ذلك الشعر الغزير الكثير في هذا المجال الوطني الحيوي .

وعواطف الشعراء ازاء الأحداث التي وقعت والانجازات التي تمت لا شك متفاوتة متباينة . ودرجات الاجادة الفنية في ذلك الشعر على هذه الصورة أيضا من التفاوت والتباين .

وان كان يمكن أن نقول أن كثيرا جدا من شعر الشعراء كان صادرا عن عاطفة قوية واحساس شديد بقيمة ما يكتبون لأنهم مؤمنون بالآثار المترتبة على كل ما حدث وأنجز على مستقبل البلاد وحياة الأفراد .

كذلك يمكن أن نقول ان كثيرا من الشعر في هذا الاتجاه كان على مستوى عال من الجودة والمحافظة على أصول الشعر الفنية . ولعل ذلك راجع الى ان أكثر ما قيل أو نشر في الصحف وطبع في الدواوين كان لشعراء مخضرمين عاشوا جزءا من حياتهم الفنية الأدبية قبل الثورة فوعوا من الناحية السياسية التغير الكبير الذي حدث بالثورة مما فجر في نفوسهم ينايع الاحساس بالواقع الجديد والتعاطف الشديد مع كل ما يجرى في المجتمع من مكتسبات أو أحداث ، ونسجوا من الناحية الفنية بالدراسة القديمة والمنافسة في ميدان الشعر والممارسة رداء هذا الشعر الجديد فجاء شعرهم مكتملا جوانب العبقرية عاطفيا وفنيا .

غير أنه مما لا شك فيه أنه على قدر ضخامة الأحداث الواقعة وأثرها على الناس ومستقبل البلاد تكون عاطفة الشعراء وجودة الشعر ، ولقد كان العدوان الثلاثي الفاشم على بلادنا عام ١٩٥٦ من أضخم الأحداث في الخمسينات ، فقد اهتزت له النفوس كما لم تهتز لحدث آخر واضطربت له القلوب كما لم تضطرب من قبل .

لقد احس الشعراء بخطر العدوان الفاشم الآثم على حياتهم ومستقبلهم وحياة لمستقبل الأجيال القادمة كلها لو لم يصدوا ذلك العدوان ويحلوا أولئك المعتدين فخاضوا المعركة المقدسة ، بأقلامهم أشد مما خاضها الشعب والجيش بالسلاح .

وكان شعرهم أشد على الأعداء من وقع السهام في غبش الظلام .

فاذا وقعت النكسة عام ١٩٦٧ ارتدت بهجة الشعر الى حزن عميق ، وأخذ يرغى ويزبد ويشور ويفور ، ولكن سرعان ما تماسك الشعر فأخذ يدعو الشعب الى الصمود والاستعداد لمعركة قادمة يسترد بها حقه المضيع ويستعيد شرفه السليب .

ثم يموت القائد فجأة وهو يعد للمعركة القادمة فينكأ موته الجرح الفائر بالنكسة ، ويصدم فيه الشعر صدمة شديدة . ولكن الشعر لا ينسى دوره في القيادة فيدعو الشعب الى التصبر والتجلد والى بذل مزيد من الجهد والعرق لحماية الوطن. فالقادة والناس الى زوال والأوطان باقية خالدة .

ومثلما أجاد الشعر في التعبير عن دهشته وفرحته بمعركة ١٩٥٦ وما انجلت عنه من انتصار .. أجاد في التعبير عن دهشته وغضبه لمعركة ١٩٦٧ وما أسفرت عنه من انكسار ، كما أجاد في التعبير عن دهشته وحزنه على موت الزعيم وخلو الميدان منه في وقت كانت البلاد فيه أشد ما تكون اليه حاجة .

الفصل الثالث

الاتجاه القومي

وفي هذا الاتجاه يعبر الشاعر عن وجدانه القومي .. يعبر عن احساسه نحو اخوته العرب على صعيد الوطن العربي الممتد من الخليج العربي التائر الى المحيط الاطلسي الهادر ، معنيا بقضايا التحرر ، ومشاكل التخلف والصراع القائم بسببها بين الشعب المناضل وأعدائه سواء من الأجانب المستعمرين أو من الحكام المستبدين أو الرجعيين المستغلين .

ولعل أبرز القضايا التي عالجها الشعر المصري وبالعجا الشعر العربي كله في هذا الاتجاه هي قضية فلسطين ، وذلك لعظم المأساة التي حلت بسبب احتلالها لا بشعب فلسطين فحسب بل بالوطن العربي كله ، لأن شعبا كاملا يشرده الاحتلال الصهيوني بعاونة الاستعمار العالمي جريمة يهتز لها وجدان العالم الانساني كله ، ولأن المخطط الصهيوني الذي وضعه زعماء الصهاينة منذ مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ وقد بدأ تنفيذه بالفعل باستلاب أرض فلسطين ينذر - لو لم يتجدد العرب لدرء شر الصهيونية والاستعمار - بالاستيلاء على أرض العرب كلها من الفرات الى النيل بحسب ما جاء في ذلك المخطط . وقد حدث بعض ذلك في عدوان يونيو عام ١٩٦٧ فقد احتل العدو الصهيوني عدا أرض فلسطين أراضي عربية أخرى واسعة خصبة ، هامة الموقع في كل من مصر وسوريا والأردن ، وهو بصر تنفيذا لمخطته على أن يتحدى كل القوانين الدولية الحديثة التي تمنع احتلال أرض بقوة السلاح ويرفض كل القرارات التي تصدرها هيئة الأمم المتحدة بالانسحاب بحسب هذه القوانين .

ولهذا ترتبط قضية فلسطين بالدعوة الى الوحدة العربية لأنه قد أصبح محتما على الأمة العربية أن تستجمع كل قواها وتعبء كل طاقاتها وتحشد كل ما تستطيع

حشده من مال ورجال وسلاح لخوض هذه المعركة المصيرية ، بينها وبين أعدائها الذين لا يريدون الا أن يستأصلوا شأقتها من الوجود ويستولوا على كل بلادها بالقوة وبغير ما رحمة .

ففى هذا الاتجاه القومي يدعو الشعور فى مصر الى اصلاح الوطن العربى وتطهيره من كل معوقات الحياة الحرة الكريمة للشعب العربى والى حمايته وتحصينه من الاستعمار العالمى وريسته اسرائيل ، مناديا بالوحدة مؤكدا دواعى القومية العربية ، مهتزا لكل حدث من الأحداث فى أقطار الوطن العربى ، مشيدا بالبطولات العربية مذكرا بأجدادنا الخالدة آملا فى مستقبل البلاد أسعد وحياة للمواطنين أهنا وأرغد .

ويتنادى العرب فى مصر وفى كل قطر عربى فى الأزمنة الأخيرة باللجوء الى مظلة القومية العربية وضرورة قيام الوحدة بين بلاد الوطن العربى ، فالقومية العربية هى تلك الرابطة التى تربط بين أبناء الأمة العربية على أساس من وحدة الأرض والتاريخ واللغة والدين والعادات والتقاليد والآلام والآمال المشتركة . وهى على ذلك قديمة قدم الأرض العربية والأمة العربية فمن يمارى فيها يمارى فى أمر قد قرته الطبيعة وسجله التاريخ وقضت به الحياة ، والمبارون فى ذلك هم أعداء الوطن العربى .. أعداء ماضيه وحاضره ومستقبله ، فان كان أحد منهم يتكلم اللسان العربى فهو اما جاهل يهرف بما لا يعرف ، أو شعوبى مدخول العقيدة فاقد الايمان بعروته .

والقومية العربية هى ذلك الشعور الداخلى الذى يملأ قلوب العرب وثقوسهم بضرورة الوحدة التى تضم أطراف الشعب العربى من المحيط الى الخليج .. الوحدة التى تعمل على اعلاء شأن ذلك الشعب العظيم الذى قاد الحضارة حينما تهيأت له أسباب الوحدة واستكمل عناصر القوة ، الوحدة التى تقويه وتنميه وتحببه من شر المعتدين الطامعين فى خيراتهم وما أكثرها ، وفى موقعه الاستراتيجى الهام وما أجله وأخطره .

والثورات العربية التى تضع مقاليد الأمة العربية فى أيدي أبناءها المخلصين من قوى الشعب العامل تتحول باستمرار بأمل الوحدة العربية من مجرد أمل يتردد فى الصدور الى حقيقة تبرز شمسها ثم تستد حتى تغمر بأشعتها كل الأقطار العربية .

يقول « جمال عبد الناصر » :

« العرب أمة واحدة .. هذه حقيقة مؤكدة لا تنقصها دعوى مدع في الشرق ولا في الغرب ، فالعربي في مصر أخو العربي في « نجد » وفي « صنعاء » ، وفي « بغداد » وفي « دمشق » وفي « بيروت » وفي « الدار البيضاء » في أقصى المغرب . أبونا واحد وإن زعم من زعم أننا لآباء ، وطننا واحد وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا . هدفنا في الحياة واحد ، وإن جهل باحث في الشرق أو الغرب وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة (١) » .

والشعر المصري قبل الثورة وهو في قبضة الاحتلال قد جعل الوحدة أملا تخفق له القلوب ، وأمنية يتعلق بها الخيال ، وإن كان لم يجعلها هدفا أو غاية ، لأن انشغاله بقضية جلاء المحتل صرف همه وهنئه إلى البحث في هذه القضية وحدها ، فإذا نظر إلى الخارج أو ألقى ببصره إلى شقيقاته الأخريات من البلدان العربية ، نظر نظرة الأخ الشفيق العطوف الذي لا يملك لنفسه فضلا عن أن يملك لغيره ، فعا غير الشفقة والعطف .

وكما ذكرنا فإن « حافظ ابراهيم » كان من أوائل من ألقوا بهذه النظرة الشنيعة من شعره إلى جراحات الأشقاء العرب حين قال سنة ١٩٠٨ قصيدته في سوريا ولبنان ومطلعها :

لمصر أم لربوع الشام تضطرب ؟ هنا الملا وهناك المجد والحسب

وتنابعت عواطف الشعراء العرب يتبادلونها في الأحداث التي تلم بشتى البلاد العربية والنوازل التي تنزل بها من الاستعمار أو من تحالف الاستعمار والرجعية المحلية .

وما إن حل عام ١٩٤٨ ووقعت نكبة فلسطين حتى ظهر مفهوم القومية العربية والوحدة العربية أقوى منه في أي وقت سابق ، لأن العقول والمشاعر قد تحتمل معايشة الأجنبي واستنثاره بالخير وتحكمه في حياة الشعوب وتصريف الأمور ، ولكنها لا تحتمل بطل أن يطرد الأجنبي شعبا كاملا من بلاده وبلاد آباءه وأجداده بقوة السلاح ليعيش حياته طريدا مشردا يقتله الجوع والظلم ، ويفتك به الحر

(١) أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٢٧ .

والقر ، ويحطم قلبه الهم والكمد . وذلك ما حدث في المؤامرة الاستعمارية الكبرى لاستلاب فلسطين وتقليدتها الى شراذم للصهاينة لقمة سائغة بعد طرد أهلها منها وارتكاب المذابح الاجرامية التي قتل فيها النساء والأطفال والشيوخ مع غيرهم من أبناء شعب فلسطين قتلة شنيعة بشعة على مرأى ومسمع من هذا العالم « المتحضر » عالم القرن العشرين .

لقد كانت هذه الجريمة النكراء ناقوسا نبه أذهان الشعوب العربية الى ضرورة الوحدة وأكد في نفوسهم معنى القومية العربية .

وبعد أن قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وأزاحت كابوس الاستعمار من فوق صدرها وتطلعت الى تخليص اخواتها العربيات من ذلك الكابوس وأعلنت الثورة أن مصر دولة عربية ، وأن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية . وتؤكد منذ ذلك الحين أن الوحدة العربية لم تعد مجرد عاطفة تختلج بها الصدور وانما أصبحت فلسفة واضحة قائمة على منطق صحيح وفكر سليم وتحليل علمى يدرس الظواهر وينتهى الى تقرير الحقائق والنظريات . ولم يبق الا أن يسعى العرب جهدهم يحدوهم حادى الشعر ليسترجعوا ما فقدوا من فلسطين . ويحققوا ما عقدوا العزم على تحقيقه من قيام وحدة عربية تضم بلاد العرب من الخليج العربى الى المحيط الأطلسى . فأصبحت البلاد العربية وعلى رأسها مصر تتعاون بعضها مع بعض لا بازاء العواطف وتمنى الأمانى فحسب وانما بالمعونات المادية من المال والعتاد والسلاح والجنود وعلى هذا الأساس سعت مصر الى تحرير البلاد العربية من الحكم الأجنبى أو الرجعى فسعت الى تحرير الجزائر من الحكم الفرنسى ، كما سعت الى تحرير اليمن من الحكم الامامى ، وكما سعت الى تحرير بقية الدول العربية بل والدول الآسيوية والافريقية الواقعة تحت نير الاستعمار ايماننا منها بأن قضية الحرية لا تتجزأ .

وما زال الشعر العربى فى شتى بلاد الوطن العربى يتغنى بالوحدة ويدعو اليها حتى آمن الشعبان العربيان فى مصر وسوريا عام ١٩٥٨ بضرورة اقامة الوحدة بين القطرين الشقيقين فقامت الجمهورية العربية المتحدة أول دولة للوحدة العربية فى العصر الحديث لتحقيق ما كان حلما بالأمس من قيام وحدة عربية ، وليندمج فيها

الشعبان العربيان تحت راية واحدة وحكم واحد ورئيس واحد ، مشيرة الى امكان قيام وحدة عربية شاملة تجمع اوطان الامة العربية جمعاء . وتغنى الشعر للوحدة التي طالما دعا اليها ، وبشر بها .

والشعر المصرى القومى الذى قيل فى القومية العربية بل الشعر الذى قيل فى فلسطين خاصة بعد قيام ثورة ١٩٥٢ أكثر من أن يحصى .

ولنعرض سريعا لبعض ما قاله شعراؤنا متعاطفين مع اخوتهم وأشقاؤهم فى شتى البلاد العربية ، مع آمالهم وآلامهم ، مع أبطالهم وأحداثهم ، ايماننا منهم بالقومية العربية التي تربط بينهم بأمراس من حديد .

مع السودان :

يتعاطف الشاعر المصرى « محمد فوزى العنتيل(١) » مع أخيه السودانى المكبل بأغلال الاستعمار فيدعوه الى الأمل فى المستقبل والرقص على « لحن الوطن الحر » ويتعاهد معه ألا يدعا الغاصب يستغل خيرات بلديهما من دونهما :

أخى لن تترك الغاصب فى أحضان دارينا
ليعصر خمرنا حينا ويحرق كرمننا حينا
ويبذرنا ويسقينا ليجمعنا رياحيننا

وإذا كانت بلادهما قد ارتوت بدماء الشهداء من اخوتها وآبائها فلا بد أن يتمسكا بالأرض ويواصلوا النضال لتحقيق فى الغد المرتقب آمال الشعبين :

زرعنا فى جبين السفح فى الشاطىء قتيلانا
فلن تترك هذى الأرض للغاصب قرباننا
ليبقى للغد الخالد روحانا وشعبانا

ومع الجزائر :

وتقوم ثورة الجزائر عام ١٩٥٤ فينادى شعرانا فى مصر بانتصارها ويشد على أيدي أبطالها ويندد بالمستعمرين الفرنسيين ويستعدى عليهم الأحرار فى كل مكان .

(١) شعر الثورة فى الميزان : قصيدة « أخى فى الجنوب » ج ٢ ص ٢٨ وما بعدها .

ففى خلال الثورة يعين الشعر الثورة بالكلمة واللسان كما أعاتتها دولتنا
بالسلاح والعتاد .

وهذا « عبد العليم القباني^(١) » يشيد ببطولة الشعب الجزائرى ويهيب به أن
يواصل النضال ويأمل فى انتصار الجزائر برغم ضراوة الحرب وشراسة العدو
ويرى أن النصر فى الجزائر مرهون باتحاد العرب فى شتى أقطار البلاد العربية :

أهذى الجزائر أم ذى الجحيم هنا فوق هذا الثرى تنصب ؟ !
أخى يا ابن أوراس يا مرجحبا بنصر بما ناله « يعرب »
أخى يا ابن أوراس ما بكرنا اذا اختلف الرأى أو « تغلب » ؟
ألسنا جميعا على زورق تمد له الريح أو تجذب ؟
فان لم نكن فوقه أخسوة طغى الموج واجتاحنا الغيب

وهذا « هاشم الرفاعى^(٢) » يبشر الجزائر فى محنتها بتفجر الضياء من خلال
الظلام المتراكم ، ويهزأ بفرنسا التى هزمت الألمان هزيمة منكرة وجاءت تعدو على
شعب الجزائر . ثم يرسم صورة مؤثرة لانتهاك فرنسا لحرمة السلام فى الجزائر :

القرية الملقاة فى أحضان غاب
كانت تطوف بها أغاريد الشباب
ما راعها الا (طوابير) الذئاب
مجنونة الألفجار تحطم كل باب

وتضيق خلف القافلة
شمس السلام الآفلة

وعلى الثرى غصن من الزيتون ناضر
سقطت حمامته به فوق الجزائر

(١) أشعار قومية : قصيدة «انتصار الجزائر» ص ١٣٧ وما بعدها .

(٢) ديوان هاشم الرفاعى : قصيدة «الجزائر» ص ٢١٣ وما بعدها .

ثم يستبشر بالنهاية ويأمل في الانتصار :
هذى القلاع القائمات على الجبل
ورصاصها المذعور في صدر البطل
لن ترصد الأبواب في وجه الأمل
وغدا سيخفق صوتها دق البشائر
يملى على الدنيا انتصارات الجزائر

ويدعو « عبد الله شمس الدين (١) » أبناء الجزائر الى الاستماتة في الذود عن
حرية بلادهم :

ازرعوها جناجنا وعظاما وعلى الهول فجرورها دماء
يا أخى في « جزائر البعث » خذها حيث كانت حرية حمراء
ثم يشعر أخاه في الجزائر كأنه معه يحس باحساسه ويقدم نفسه فداء لوطنه :
يا أخى في الكفاح قيده قيدي فخذ الروح في يديك فداء
اعظمى ان أردت صنعها شظايا ترسل الفتك نعمة هوجاء

ويحیی الشعر بطولة أبطال الجزائر وفي مقدمتهم « جميلة أبو حريد » الفتاة
التي كافحت وصمدت ولم تلن لها برغم الأسر والتعذيب قناة ، فحيا بطولتها
الشعراء العرب في كل بلد عربي حتى لقد جمع ما قيل فيها من الشعر في ديوان
خاص .

يقول « عبد العليم القباني » في قصيدته « الى جميلة أبو حريد » محييا
ومؤيدا (٢) :

« جميلة » مرجا بك يا جميلة وأهلا بالشباب وبالبطولة
سمت بصمودها وهوت فرنسا على قدمي أسيرتها النبيلة
أسرت فهل الآن القيد صخرا ؟ وهل وجد الطغاة اليك حيلة ؟ !

(١) ديوان « الله أكبر » قصيدة « صبيحة الجزائر » ص ٣٥ وما بعدها .
(٢) ديوان « أشعار قومية » ص ١٢٩ .

وكتب الدكتور « أحمد هيكل^(١) » قصيدة بعنوان « الى جميلة الخالدة »
بدأها بالانحاء باللائمة على فرنسا وانذارها بنهاية محتومة ثم قال واصفا « جميلة »
بأنها لشعبها كشملة تضىء وربيع يرف ونسيم يسرى ولاعدائها كأعصار يدمر .
ويرد على حكم الفرنسيين عليها بالاعدام والاستنكار والاستحالة :

أيدوى الرصاص في صدرك الحر وتدمى فيه المعانى النبيلة
الجبين المهيب يسطع بالظهر وعين بالكبرياء كحيلة
والفؤاد الكبير يزخر بالنبل وروح تأبى الحياة ذليلة
كل هذا يا أخت أبدع للقتل ! أراها نهاية مستحيلة

ثم يطمئننا بأن الليل يعقبه الفجر وبعد الهجير يرق النسيم وتطو الخميطة
وهكذا تسعد الجزائر بالنصر وتحقق الآمال :

لا تراعى فالليل يعقبه الفجر وبعد الهجير تحلو الخميطة
هكذا تسعد الجزائر بالنصر وكل الرغائب المأمولة

ويحيى « كمال نشأت^(٢) » الثورة الجزائرية في عيد انتصارها في قصيدة
بمعنوان « تحية الى الجزائر المناضلة » وفيها يقول مشيدا بقائد الثورة
« أحمد بن بيلا » :

بن بيلا .. بن بيلا
اعصار نشيد
نسمة أزهار وحديد
مرج أغاريد ورصاص
علم يشمخ يوم خلاص
نسجته أيدي الثوار

(١) د- أحمد أحمد بدوى من النقد والادب - المجموعة الثالثة - ص ١٠١ وما بعدها .
(٢) انظر ديوان « ماذا يقول الربيع ؟ » ص ١٧/١٥ .

وكما يشيد بالقائد يشيد بالشعب أكثر لان حياة الشعب أسطورة أو ملحمة
ألفاظها أرواح شهداء وأنغامها أصوات رصاص :

الشعب الشعب الاسطورة
ما قيمة كلماتي البكاء
بجوار الملحمة الكبرى
اللفظة فيها روح شهيد
والنغم رصاص ..
يا شعبا هد جدار البنى
ويهز العالم منذ سنين
يحمل في الاحياء صمود « أوراس »
اليوم يفنيك الاحساس .

ويصور « عبد الرحمن الخميسي (١) » قصة أحد الجزائريين كان يعيش في
ضواحي « تلمسان » وبعد أن يتتبع خطاه منذ خرج من داره يحطم بالثوب الجديد
لطفله الصغير حتى اغتاله جند فرنسا ، يرثيه ويمزى زوجته وقومه فيه :

يا أبا القاسم حقا أنت فارقت الحياة
غير أن الحزن من أجلك لا يخبو لظاه
اخلعى يا طيبة العينين أثواب الحداد
لم يمّت زوجك لكن عاش في روح الجهاد
انه ينسف في الليل حصون الغاصبين
انه يمشى ويمشى في صفوف الثائرين

ومع العراق :

وتقوم ثورة العراق في الرابع عشر من يوليو عام ١٩٥٨ فيستقبلها الشعراء في
مصر استقبالاً حافلاً متمنين لها النجاح في التغيير الجذرى لصالح أهداف العراق
والوطن العربي كله .

(١) أنظر : د- ماهر حسن فهمي: القومية العربية والشعر المعاصر ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وفي يوليو ١٩٥٨ عقب اداعة قيام الثورة ينظم « عبد الله شمس الدين » قصيدته^(١) « ثورة العراق » :

وبعد أن يذكر تعاون العرب في الماضي في هزيمة أوربا يقول :

وهذه سنة الأيام دائرة يا ويل من سلبوا من بطش من سلبوا
ثم يصف ظلم العهد الماضي ويذكر أن ديانات السماء كلها وهي التي لم تقم
الا للعدل والرحمة تبدأ منه . ويدعو أحرار العراق الى أن يضربوا على أيدي
الظالمين الخائنين ويظهروا صفوفهم منهم فانهم لم يعودوا اخوانا لهم :

يا كل حر .. وللأحرار يقظتهم اضرب على يد من عانوا كما ضربوا
الخائنون لعهد الله يحسبهم أهل الضلال لهم أهلا وما حسبوا
لما تولى « ابن نوح » عن هدايته الله برأ « نوحا » منه وهو أب
ويثي « كمال عمار^(٢) » الشاعر والثائر العراقي « بدر شاكر السباب » في
قصيدته « مرثية أيوب العراقي » التي يقول في مطلعها :

لحزن على « ناظم^(٣) » لم يهدأ بعد
ما زال القلب المعصوب يذوب على الطرقات
ويقال لنا « بدر » مات
ابتهجوا يا قوادى الكلمات
فالشاعر يرقد في بطن اللحد

وينعقد مهرجان الشعر السادس عام ١٩٦٥ في بغداد وينتهزها شعراؤنا
المصريون في المهرجان فرصة ليعبروا عما يجيش بنفوسهم من عاطفة نحو عاصمة
الرشيد وأهلها وأبطالها في الماضي والحاضر وأملهم في مستقبلها مع شقيقاتها

(١) ديوان « الله أكبر » ص ٢٩ وما بعدها .
(٢) انظر ديوان « أنهار الملح » ص ١٠٥ .
(٣) إحدى الشخصيات الوطنية في العراق التي أعديها عبد الكريم قاسم أثناء
حكمه للعراق والشاعر منع « ناظما » من الصرف وهي ضرورة شعرية قبيحة .

العرييات في الوحدة وانفاذ فلسطين ومجاهاه العدو المشترك صفا واحدا وهدفا واحدا وقلبا واحدا .

وينشد « صالح جودت(١) » في المهرجان قصيدة بعنوان « ليلي » وهي طويلة يبدؤها بالحديث عن ليالي اللهو في عهد « الرشيد » ويذكر أن « شهرزاد » أخذت تحده بالجديد ، وذكرت أنه قد فات عهد « الرشيد » و « زمان العبيد » ويطلب من « شهرزاد » أن تطيل الحديث ولا تخاف لان الحكم أصبح للشعب لا لظفاة الحكام ، ويذكر للعراق فضل أعلامه ، فيذكر فضل « الرصافي » في سخطه على المدر « والفئة الباغية » . وفضل « الزهاوى » في زهوه وعلسه وأدبه وسخريته ، وفضل « النواسي » في أنسه وفلسفته للحياة التي :

تناهت (لسارتر) عبر العصور عراقية اللب والظاهره
فأطلع منها وجودية تجلجل بالرغبة السافره
ويذكر فضل « ليلي العراق » مشيدا بها متمثلا فيها العراق نفسه :

وليلي العراق أعز الليالي فأم العلا بعدها قاصره
لها النسب الفخم من « كربلاء » وساكن تربتها الظاهره
ثم يذكر ما يقولون من مرض ليلي مجردا منها شخصية رمزية تعبر عن أمراض المجتمع والانسانية في عصرنا الحديث ويصف لها الدواء في الدعاء الى الله أن ينقذ البشرية من أدوائها :

يقولون ليلي بأرض العراق من السقم شاحبة ضامره
دواؤك ليلي دعاء الى الله يسرى الى السدرة العمامره
ثم يقول « ليلي » فهذا الدواء :
« يجنيك الألم العنصرى » و « يكفيك شر القلى المذهبي » ويطعمك الأمل
الوحدوى .

(١) انظر مهرجان الشعر السادس ببغداد سنة ١٩٦٥ ص ٩٤/٩٧ .

ويشفيك يوم انطلاق الجنود الى أرضنا الجلدة الصابرة

ليجمعنا المهرجان الكبير على موعد في ربا « الناصره »

وتتشد « روحية الفليني (١) » قصيدة بعنوان « حنين الى العراق » تعلن فيها
حزنها لما أصاب العرب بسبب الاستعمار من ذل وهوان بعد عز ومجد ، وتأمل أن
تمود الى فلسطين فتخطب بغداد :

قولى لهم سنقيم المهرجان غدا في «القدس» قولى سنمحو كل صهيونى
سنعصر الكرم في أرض الخليل وفي « حيفا » سأكل من تينى وزيتونى
أعود لله بالأشواق لاهفة والزهر أقطعته من « دهر ياسين »
ثم تعلن الارتباط بين أقطار الوطن العربى واللقاء التاريخى الحتى الذى سيتم
بينها بالوحدة :

العرب كلهم أهل ورابطة لا فرق بين « عراق » أو « فلسطين »
سنلتقى كلنا في وحدة شملت كل الأحبية يا بغداد نادىنى

ويحىي « محمود حسن اسماعيل » الكوفة ويشيد بأمجادها ويدعو بأن تقوم
معها وحدة تجمع الشمل والأواصر وتستنطق فوق هامتها الشمس كما كانت في
المصور الزواهر :

فياكوفة الامجاد حيتك وحدة على فجرها التفت جميع الأواصر
وعادت اليها الشمس تسطم نورها كما كان في تلك المصور الزواهر

ومع اليمن :

وفي السادس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ تقوم ثورة اليمن ، وتقف
مصر الى جوارها تؤيدها بالمال والرجال والسلاح حتى تنتصر وتثبت أقدامها على
أرض الحرية الوطنية .

وفي استقبال العائدين من أبطالنا المجاهدين في سبيل تحرير اليمن يحتفل
الشعراء احتمالا عظيما يشيدون فيه بالدور البطولى الرائع الذى أداه هؤلاء
الأبطال .

(١) مهرجان الشعر السادس ببغداد سنة ١٩٦٥ .

يقول « عبد الله شمس الدين (١) » في قصيدة « عودة الأبطال » محيا كفاحهم
ونجدتهم لأشقاؤهم أحرار اليمن :

خرجوا على صوت الأخوة وهي في شرف الصراع
تركوا وراءهم الديار مع الصغار بلا وداع
يتسابقون الى الفداء على انطلاق واندفاع
جنباً الى جنب مع الأحرار في أسمى دفاع
ويشير الى التغيير الذي أحدثته الثورة في اليمن بالاطاحة بمصاحي دماء الشعب
وناهي أرزاقه من حكام العهد الماضي ، ويقرر أن عودة الحكم للشعب كان
أمراً طبيعياً :

من قال ان الشعب يحكم بالسلاسل والحديد ؟
من قال ان الحكم ارث للوليد وللخفيد
كل سواء في الحقنوق فلا ملوك ولا عبيد
ثم يحيى بطل العروبة منجد الثورة اليمنية « جمال عبد الناصر » :
يا أيها الرجل الكبير من القلوب لك التحية
كرمت يا رجل الكرامة في أحاسيس البرية
ووهبت روحك للعروبة في أمانيتها الأبية
وفي قصيدة بعنوان « العائدون من اليمن » يتحدث « عبد العليم القباني (٢) »
عنا في معنى غوثنا لليمن وانتصار ثورتها من بشائر للوحدة الكبرى :
الوحدة الكبرى سرى قرآنها جبريل بآرك خطوها وأنارا
طاقت على « بردى » فصنق نشوة وهفت « بدجلة » فاستخف وطارا
ومشت على النيل الكريم فما ترى الا لجينا يزدهى ونضارا
آمنت بالوطن الكبير بأمة اتخذت من الهدف الكبير شعارا
ثم يتحدث عن اجابة أبطالنا لداعى الجهاد ونصرة اليمن الشقيق في ثورته على
حكم الأئمة الظالمين السادرين في غيهم وجورهم غير عالمين بأن الظلم هو الأب الشرعى
للثورة :

(١) ديوان « الله أكبر » ص ١٣٦ وما بعدها .

(٢) ديوان أشعار قومية ص ٧٧ وما بعدها .

ينون بالأرواح ركن حضارة
ألقته خلف كهوفه أمية
وطوته أن يرد السبيل أئمة
للقات في أعصابهم تهوية
تلوى بأعناق الرجال ومادرت

وجدار شعب في الظلام توارى
تنوهم الدين الحنيف سستارا
يستنزفون دم الحياة جهارا
مدعورة تترصد الأحراارا
أن المقاصل تصنع الثوارا

ومع ليبيا :

ويتصل شعرنا المصرى بليبيا كأخت شقيقة فيحيها ويذكر أمجاد العرب بذكرها
يقول « محمود غنيم (١) » في قصيدته تحية طرابلس في أغسطس عام ١٩٥٤ حين زار
« طرابلس الغرب » محييا ذاكرة مجد العرب السالف منتهجا مبتثسا في آن :

لما نزلت بها باتت تذكرنى
فحركت شجنا رغم السرور بها
وينادى أبناء « يعرب » أن يهوا من سباتهم ويخطو دولتهم على العلم والأخلاق
والشورى ويحصنوها ضد كل مقتصب يدخلها باسم الحضارة والتعمير وما هو
الا سارق سفاك :

خطوا على العلم والأخلاق دولتكم
وحصنوا أرضكم من كل مقتصب
باتت تنازعنا أوطاننا أمم
باسم الحضارة والتعمير قد دخلوا

وشيدوها من الشورى على أسس
بكل مدرع في الحرب مترس
مدت الينا قديما كف ملتس
وما هو غير سفاك ومختلس

ثم يقارن بين حضارة الغرب المادية وحضارتنا المعنوية التي سوف تعود لأن
العروبة لا تقنى محييا بنى أمية أول من فتح ديار المغرب العربى وعربها :

قل للأونى : الذرة افتخروا
القاتحون بجند من مبادتهم
أبناء « يعرب » طال الليل فانتظروا
ان العروبة لا تقنى ولو فنيت
بنى أمية قروا في مضاجعكم

العرب سادوا الورى بالسيف والفرس
والعاصفون بملك الروم والفرس
شعاع فجر يجلى ظلمة الفللس
شم الجبال فناء الاربع الدررس
فما نسيتم ولا المجد القديم نسى

(١) ديوان فى ظلال الثورة ص ٦٤ وما بعدها .

ومع المقرب :

ويتقع زلزال «أغادير» في المغرب عام ١٩٥٩ فيتحرك الوجدان العربي كله لهذه الكارثة ويشارك الشعراء المصريون اخوانهم من أهل «أغادير» مأساتهم فيقول «عبد الله شمس الدين (١)» في قصيدته «أغادير» واصفا هذوء المدينة قبل أن تهب العاصفة ويقع الزلزال :

الأم ناعمة الخيال قريزة
والكادح المكدود أغفى هانئا
وعلى جفون الحالمين خميلة
ورضية مروح الرؤى يسأم
نسى العناء ولفه استسلام
وردية تشبذو بها الأحلام

ثم يصف الزلزال وأثره في تحطيم المدينة ونشر مرض الطاعون بين أهلها :

هذا الأسم : فليس يوجعه بكأ
أعسى تساوى الكل تحت ثوره
وغدت «أغادير» الجميلة مسرحا
تكلى ، وليس يهزه استرحام
لم يتج شيخ ذاهل وغلام
يجرى به الطاعون وهو ركام

ثم يدعو لها معتزا بعروبتها واخاتها ويقتديها بكل ما يمتلك :

فما تقتديها لأن مصابها
تصلاه نارا مصرنا والشام
ويصف «محمود غنيم (٢)» الزلزال فيقول في قصيدته «أجادير» :

عروس المدائن ماذا دهاها
تهاوت منازلها معولات
ولم يفلت الموت شبانها
ولم يرحم الموت ذات سوار
بليل فزق أوصالها ؟
فرددت اليد أعوالها
قضت وهي تحضن أطقالها

ثم يبين كيف أثر هذا المصاب في الوطن العربي كله ويدعو الى مد يد القون إليها :

الا في سبيل العروبة بان
وكف طيب تكف دمءا بنهها
ومال يجود به أريحي
فأل «أجادير» اخواننا
يقنوم بالفن مياها
وتحقق سنالها
على أسرة فقدت مالها
بأرواحنا نفتدى آلهها

(١) ديوان الله أكبر ، ص ٦٩ وما بعدها .

(٢) ديوان « في ظلال الثورة » ص ٦٠ وما بعدها .

ثم يتناسك الشاعر في هذه المحنة التي نزلت بكل عربي ، ويذكر أن الوطن العربي لا بد أنه سيجتازها ليقف كالطود أمام كل محاولات الكيد له :

إذا الشرق طافت به محنة فكم عرك الشرق أمثالها
لقد أقست أمم الشرق ألا تهادن من رام اذلالها
فصار السلاح سوار الفتاة ولهو الصبي إذا مالها
وكم أمة ظلت الشرق مرعى خصصيا فخيّب آمالها

ويصف « عبد العليم القبانى (١) » صدى المأساة العربية في نفسه ونفس كل عربي في قصيدته « مأساة أغادير » واستعداده لاقتداء المدينة بكل نفيس وغال من راحته وروحه :

نذير مع الاصباح يجتاح مسمى ولفح من الامماء يودى بهدأتى
فداؤكم لو أملك البذل راحتى وروحي وما آوت اليه قبيلتى
ألسنا جميعا أمة العرب ووحدة اذا ما اشتكى عضوسرى في البقية؟
«أغادير» شدتني اليك وشائج من الدين والفصحى وصوت الابوة
وماض تقاسناه يسرا وشددة وآت رسمناه بروح الاخوة
ثم يطالب بنى وطنه بسد يد المعونة الى المدينة العربية دعما لرابطة الأخوة بين الشعوب الشقيقة :

بنى وطنى هل تبخلون وهذه جراحهم في لهفة للمروءة ؟
(قرووشكمو) تحيي الرجاء الذى نوى وتبعث من أخذودها كل عزيمة

ومع الكويت :

ويكتب « عبد الله شمس الدين (٢) » تشبها الكويت ويستنهله بقوله :
« كويت » يا درة الخليج يا كوكب اليمن فى البروج
فى عيدك الباهر السعيد غدوت أنشودة الخيلود
يا بسمة الدهر فى الوجود

(١) ديوان اشعار قومية ص ١٣٣ وما بعدها .

(٢) ديوان الله أكبر ص ١٩٠ .

ثم يقول :

« كويت » يا قبلة السماء يا واحة الأمن والرجاء
يا ساعد العرب والمروية نفيديك بالروح يا حبيبة
يا موكل الطارف التليد
وفي عيد الكويت القومي سنة ١٩٦٧ يكتب « صالح جودت(١) » قصيدته
« عيد الكويت » التي يقول في مطلعها :

في موكب الخير والسماح تعيش مرفوعة الجناح
بلادنا مطلع الصباح
بلادنا درة الخليج
صحت على عيدها البهيج
ترقل في البشر والأريج
كأنه موكب الحجيج
يهتف حاديه في البطاح يقول حي على الفلاح
بلادنا مطلع الصباح

ومع تونس :

يحيى الشعراء في مصر ذكرى بطل العروبة وتونس « أبو القاسم الشابي » عام
١٩٥٣ فيشيد « فوزى المنتيل(١) » في قصيدته « أصداء من تونس » بفضل
الشاعر « أبي القاسم » على تونس وغيرها :

طار في حلمها الجميل شعاعا وتراءى في ليلها أسطورة
فأضاءت به السفوح وغنت بأناشيده الرياض المنيرة
طائر فر من نعيم الفسراديس فأشجى أغصانه وطيوره
ثم يقول :

فسوق مزماره تذوب الشكايات فتندى بها الليالي الضريرة
وبأنغامه ترف الجراحات لهيبا على الربا المقرورة

(١) ديوان الحان مصرية ص ١٤٧ .
(٢) ديوان عبير الأرض ص ٩٠ وما بعدها .

ثم يقول :

أيها الشاعر الآلهى رفرف بجناحيك بالعبير الضاحى
فعدا تورق اللحون وتسرى وشوشات الريح في الأرواح

ومع سوويا :

وتقوم الوحدة بين مصر وسوريا في الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٥٨ كأول تطبيق عملى للوحدة لازدياد الشعور بالقومىة العربية بين أبناء الوطن العربى فيندمج الشعبان المصرى والسورى تحت قيادة « عبد الناصر » وتقوم دولة في الشرق جديدة هي « الجمهورية العربية المتحدة » يصفها « عبد الناصر » بأنها دولة كبرى ، ليست دخيلة فيه ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعادية ، دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط، تشد أزرا الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تنحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تتحازق، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا ، بقدر ما تتحمل وتطبق .

ويستقبل الشعراء هذه الوحدة استقبالهم لأمل طالما تنوه وسعوا اليه ونادوا به حتى تحقق على يد الزعيم جمال عبد الناصر .

ولو حاولنا أن نحصى الشعراء الذين قيل في الوحدة منذ قامت بل لو حاولنا أن نعد القصائد والشعراء لما استطعنا ذلك فقد بلغ عدد الشعراء الذين تقدموا لمسابقة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في عيد الوحدة الأول وحدهم أربعائة شاعر أرادوا بشعرهم أن يعبروا عما جال في نفوسهم من معان نحو هذه الوحدة المباركة (١) :

يقول « محمود حسن اساعيل (٢) » في قصيدته « ياربا الفيحاء » مهنتا بتوفيق

الله بالوحدة :

وفق الله على النور خطانا	والتقت في موكب الشعر يدانا
وحدث شمس الضحى أعلامنا	وانبرت في الشرق تحيي المهرجانا
لا تسلم عنا ولا كيف لقانا	واسأل التاريخ عنا والزمانا
نحن كنا مهجة واحدة	ودما حسرا وروحا وجنانا

(١) من النقد والأدب « المجموعة الثالثة » د. أحمد أحمد بدوى ص ٧٣ .
(٢) أنظر أغنية الكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٣٠ .

ثم يقول :

يا ربنا الفيحاء حيتك الملا والبطولات رحابا وجنانا
في صباح الشرق عدنا أمة مثلنا كنا على الدنيا وكانا
بردى والتيل في يوم الملا وحدا الشمين قلبا ولسانا
ويقول الشاعر « أحمد عبد المجيد الغزالي^(١) » في قصيدته « موكب الوحدة »
واصفا الوحدة بأنها الدرع الذي يحمي الحمى من غدر الغادرين والصخر الذي
تتكسر عليه سهام الحاقدين :

لقد شاءها « بردى » وحدة فخف لها النهر الخالد
يريدانها الدرع تحمي الحمى إذا رامه الغادر الراصد
وصخرا تكسر من فوقه سهام ينددها الحاقد

ثم يتحدث عن فلسطين باعتبارها هدفا كبيرا من أهداف القومية والوحدة
العربية ويصفها بأنها جريمة عاث « الذئاب » بجناتها ، ثم يدعو العرب الى أن يهبوا
لاستنقاذها ويشدوا على جرحها حتى يجلو عنها الدخلاء :

فلسطين نامت على جرحها ونام على جرحها الواجد^(٢)
وعاث « الذئاب » بجناتها وجف بها دوحها المائد
فهبوا فقد سد آفاقها جراد على روضها وافد
فلسطين شدوا على جرحها فقد شققها ليها البارد
فحتام يمرح فيها الدخيل وصاحبها جسد هامد ؟ !

ويخاطب « أحمد مخيمر^(٣) » « عبد الناصر » داعيا الى وحدة كبرى بزعامته
في قصيدته « الوحدة الكبرى » :

لييك لبيك من « بغداد » من « حلب »
من سفح « وهران » من « صنعاء » من « عدن »
لييك من كل أرض فوقها عرب
تناضل البغى لم تضعف ولم تلسن

(١) انظر من النقد والأدب - المجموعة الثالثة - ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢) الواجد : المحب لها أو الحزين عليها .

(٣) من النقد والأدب « المجموعة الثالثة » د. أحمد أحمد بدوى ص ١٠٥ وما بعدها .

ثم يبين أن وحدة الوطن العربي طبيعية فالحدود التي بين بلاده مصنعة ،
والخلاف الذي بين أبنائه من صنع العدو :

ما بيننا من حدود غير ما صنعوا فما يحس بها من بيننا أحمد
ما بيننا من خلاف غير ما زرعوا وبئس ما زرعوا منه وما حصدوا
سنتقي في سلام لا حدود له ان السلام هو النور الذي فقدوا

ثم يصور ملايين العرب مندفعين في تيار الوحدة لا يصدمهم عنها
دعاة السوء :

يا للملايين تمضي اليوم هاتمة لوحدت العرب فاسمع للملايين
لم تستمع لدعاة السوء قد حملوا كذب الأقاويل أو افك الاطانين
سيسحق الشعب يوم النصر خستهم لا يأخذ الشعب أهل السوء باللين
ويصف « محمد التهامي(١) » نجدة سوريا لمصر أيام العدوان الثلاثي تعبيراً
عن الوحدة وصادق الاخوة بين البلدين في قصيدته « الى أخي في سورية »
وكانت القصيدة بمناسبة العيد الأول للوحدة فيقول :

فلم أنس حين رماني العدو ودارت بي الأرض في محتتى
تلقت أنشد عون المعين وقد جئت أسرع من لفتتى
ضربت بدارك ظهر العدو وجئت لدارى بالنجدة
وسطرت بالدم فوق التراب وفوق المياه : هنا اخوتي
حديث تتمضى عليه القرون ويبقى دليلاً على الوحدة

ويعلن « عبد العليم القباني(٢) » فرحته بالوحدة وفرحة كل عربي على مدى
الوطن العربي من المحيط الى الخليج فيقول في قصيدته « فرحة الوحدة » :

في كل دار نشوة بسيوفها لم تبخل
« بغداد » تصدح بالنشيد على دغوف « الموصل »

(١) من الأدب والنقد ص ١٠٦ وما بعدها .
(٢) ديوان أشعار قومية ص ١٠٠ وما بعدها .

والنأى عبر « دمشق » يصدق بالنشيد المرسل
وسماء « قاهرة » الممز تضيء بالمستقبل
ثم يدعو أمم العروبة الى الاحتفال بهذا النصر وان تمضى قدما الى
الأمم فيقول :

أمم العروبة هذه أيام نصرك فأحفلي
وتقدمي ركب الشعوب الى حياة أفضل
وفي قصيدته « غلال من الوحدة(١) » وهي جميلة وقوية يصف الوحدة متى
تتحقق وحلمنا شهدته واخوة صادقة تربط ما بين مصر وسوريا ، ثم يصف
أثرها في قوة العرب وادرار الخير عليهم وفي وحدة الفكر والعمل بينهم وفي
استقلالهم وحررتهم :

ندك معا من صروح الطغاة	ونرفع من فوقها شعبنا
ونضفي على البيت من حينا	ونقتلع الحقد من دربنا
ونقطف من كرمنا ما نشاء	ونعتصر العطر من زهرنا
نسير على وحدة لم تدع	ثنائية السراى تودى بنا
اذا ما دعينا الى غاية	بدونا لهم لم نقل أيننا
من الأزهر الفاطمي الضياء	الى المسجد الأموى السنا
فلا البيت الابيض يومى لنا	ولا القصر الاحمر يوحى لنا
فنجن على موعد والملا	أردنا فكان لنا أمرنا

ويستقبل قيام دولة الجمهورية العربية المتحدة مشيرا الى القوة التي
سنشهدها نتيجة هذا اللقاء التاريخي بين مصر وسورية ، فيقول في قصيدته
« الجمهورية العربية المتحدة » .

أراد الله فاتحدت قلوب	لها مثل مقدسة وحق
تألق فيه من « فرعون » عرق	وأشرق من « أمية » فيه عرق

(١) أشعار قومية ص ٩٠ وما بعدها .

ثم يحيى أبناء سورية مذكرا بالرابطة الخالدة بين شعبي مصر وسوريا تلك
الرابطة التي لم تكن الوحدة الا تجديدا لها وتجسيدها(١) :

بنى سورية الاحرار أهلا لكم بين الضلوع هوى وخفق
تعانقت الروابط في دمانا مدى الازمان تسفر أو تدق
ويقول نعم في استفتاء الوحدة لاختيار « عبد الناصر » رئيسا « للجمهورية
العربية المتحدة » في قصيدته « نعم » ذكر أسباب هذه الموافقة من اشاعة السلام
وارساء القيم والخير للناس واشراقه المستقبل :

نعم قلتها ألف ألف نعم لاجل السلام لاجل القيم
لاجل الملايين من شعبنا وقد زحفت صاعدات الهمم
لاجل الصباح الذي نستشف ابتساماته في جبين الألم
ثم يشيد بالوحدة في قوتها ويشير بيمينها وبركبتها ، ويبين رد الفعل الذي
أحدثته في الأوساط الغربية التي ارتاعت لها وأنكرتها ناسية أو متناسية أن العرب
جميعا في كل وطن عربي هم اخوة تجمعهم روابط الدم والتاريخ والأرض واللغة
والآلام والأمال المشتركة :

وللغرب حول اتفاضاتنا عواء الذئاب وذعر الضم
لقد راعه ان هذى الجوع تفيق وتدرك كيد الهمم
هم عنصر من دم واحد تنائر فوق الربى والتأم
ودنيا العروبة أخلاقها وأعراقها تتحدى العدم
ثم يؤكد لكل ذلك موافقته على رئاسة « عبد الناصر » للدولة الجديدة(٢) :

ليوم بهيج السنا والظلال كرسم البداية والمختتم
لهذا الضحى العبقري الضياء نعم قلتها ألف ألف نعم

(١) ديوان أشعار قومية ص ٨٩ .
(٢) ديوان أشعار قومية ص ٩٧ وما بعدها .

ويقول « هاشم الرفاعي (١) » ممثلاً لشباب الجامعة في الاحتفال الذي حضره « جمال عبد الناصر » بميدان الجمهورية بالقاهرة في الثاني والعشرين من فبراير سنة ١٩٥٩ في قصيدته « في عيد الوحدة » .

أرى من أمتى جيلاً يسوق الحب أكليلاً
مشى في ركبه « بردى » وجاء يعاقق النيلاً
وحيا في مواكبه زعيماً كان مأمولاً
وما علقت أمانيه بأكرم منك مسؤللاً
ثم يقول مخاطباً بطل الوحدة :

جمعت لنا كيانا ضاع بين الناس واضطربا
وكننا في تخبطنا نخاف الغرب ان غضبا
فلولاك لأصبحنا فريسته اذا وثبنا
وأشهد أن أهل الارض قد عرفوا بك العربا

وشعرنا المصرى لا يشيد في علاقته بسوريا بالوحدة التي جمعت بين شعبنا
وشعب سوريا فحسب ، فما يربطنا بسوريا أقدم من تلك الوحدة ، ومآثر سوريا
التي نعتز بها ويمتز بها كل عربى كأحد أجزاء الوطن العربى أكثر وأكبر من أن
تقتصر على الوحدة .

يقول « كمال نشأت (٢) » في قصيدة له بعنوان « الى دمشق » ذاكرا
ومذكرا بماضى دمشق العظيم وتاريخها المجيد فكل شبر فيها يقوح عطرا ويحكى
عن بطولات نخوة وحمية فيحكى مخاطباً دمشق :

عن زمان توقف الدهر فيه ورنا خاشعاً للملك « أميه »
حين كنت المنار في ظلمة الليل وحصن العروبة الابديه
« ميسلون » السماء تاهت بمجد سجلته دماؤنا العربيه

(١) ديوان هاشم الرفاعي ص ٢٤٠ وما بعدها .
(٢) انظر ديوان « ما يقول الربيع ؟ » ص ٩٢ ٩٣ .

ويتخذ من حديثه عن أمجاد دمشق سبيلا الى الحديث عن أمجاد العرب :
أمة أرسى الحضارة أجيالا وقادت بعلمها البشرية
ثم لا ينسى في هذا المقام أن يذكر بالمجد العظيم الذي أحرزته سوريا حين
شادت مع مصر صرح الوحدة العربية فأينعت على يديها وكانت فكرة في النفوس
العربية تجري هنا مجرى الدم :
أينعت وحدة البلاد وكانت وحدة العرب في الدماء السجية
ويرثي « احمد عبد المعطي حجازي(١) » « عدنان المالكي » بمرثية طويلة
مزجت بين الشعر الحر والشعر العمودي يقول في نهايتها :
ذكراك ذكراى انى يا دمشق هنا بفكرة غيبته عنك ذات ضحى
بفكرة الوحدة الكبرى مثنى دمه يدق لى الباب حتى لان واقتحا

ومع فلسطين :

وأما فلسطين فكان لها القسط الأوفر والقسط المعلن في شعر القومية
العربية ، ذلك أن نكبتها وقيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ قد هز الوجدان العربي
من الأعماق هذا عنيقا وأشعر كل مواطن عربي بالخطر الداهم الذى حل بجزء
من أرضه العربية ، وأنه لو لم يتيقظ ويستعد ويتمكن من بتر ذلك السرطان
الاسرائيلى فسوف يمتد ويتشعب حتى يجتاح الوطن العربى كله ، فالمخطط
الصهيونى الذى بدأ منذ مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ والذى نفذت أول
خطواته بوعده « بلفور » سنة ١٩١٧ يستهدف قيام دولة اسرائيل الكبرى من
الفرات شرقا الى النيل غربا ومعنى هذا أن يمتد السرطان الصهيونى ليسرى في
جسم الأمة العربية كلها ويحل هو محلها ويقوم مقامها على أنقاضها وأشلائها .
ان فلسطين عربية منذ آلاف السنين ولم تكن يهودية خالصة في يوم من الأيام
وانما سكنها اليهود الى جوار العرب في فترات قليلة متقطعة على مدى تاريخها
الطويل . وقد أجلاهم الرومان عنها فتفرقوا بددا في أرجاء الأرض .

(١) انظر لم يبق الا الاعتراف ص ٦٠/٦٩ .

وقد ازدادت عروبة فلسطين قوة بجلاء البيزنطيين عنها في القرن السابع الميلادي عندما استولت عليها الجيوش العربية وتوافر لها الحكم والثقافة العربيان وأصبحت جزءا من الوطن العربي ، فلما عاد اليها اليهود المشردون أكرمت وفادتهم وعاشوا بين أهلها العرب عيشة راضية .

وبعد الحرب العالمية الأولى احتلتها بريطانيا وخطبت بريطانيا ود العرب ليعاونوها في حربها ضد الترك واعدة اياهم بالاستقلال اذا ما انتصرت ، حتى اذا تم نصرها تنكرت لهم وأنكرت عليهم وعسدها . بل خرجت عليهم بوعد « بلفور » في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو الذي يعد اليهود بأرض فلسطين . ومكنت لعصابات اسرائيل في فلسطين ثم انسحبت . وأعلن الصهاينة قيام دولتهم في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ وتحركت الجيوش العربية لاستخلاص فلسطين وكان الجيش المصري قاب قوسين أو أدنى من النصر لولا أن هزمته الخيانة والأسلحة الفاسدة مما حول النصر الى هزيمة ونكبة .

* * *

لذلك هب الشعر يصف المأساة ويحذر من استتراء خطرها ويدعو العرب والمسلمين الى استخلاص فلسطين من أيدي غاصبيها وعودة أهلها الذين شردوا الى أراضيهم المحتلة ، وينعى على الاستعمار أن قدم فلسطين بالقسر والاعتصاب لقمة سائفة للصهاينة ، ويناشد الدنيا كلها أن تكون ظهيرا للعرب في حل القضية ورد حقوق شعب فلسطين في أرضه اليه .

وحيث قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢ بدأ الأمل يدب في النفوس لتحرير فلسطين ، وبالرغم من أن نكسة عام ١٩٦٧ كانت ضربة شديدة من ضربات العدو للعرب فقد كانت سببا في احتلاله أجزاء خارج حدود فلسطين من سوريا والأردن ومصر .. الا أن الاحساس بالخطر الصهيوني وضرورة العمل على اجلاء انصهاينة عن فلسطين فضلا عن الأراضي المحتلة الأخرى .. هذا الاحساس قد ازداد لأن خطر الصهيونية قد تجسد وأطماعها التوسعية ظهرت واضحة لكل ذى عينين .

ويطول حديث الشعر عن المأساة ووصفها وتأخذ قصائد لا عد لها اسم فلسطين عنوانا لها . يقول « محمد على أحمد(١) » في قصيدته « فلسطين » معبرا عن حق العرب في هذه الأرض والأسلوب الذي استلقت به :

هذه أرضنا وهذا حمانا شنت الغدر أهله وصحابه
فرقت شمله الذئاب الضواري واستحلت غذاه وشرابه
سلبوا أمنه وعاثوا فسادا ودمارا وشتتوا أربابه
ثم يشر بعودتها الى أهلها :

يا فلسطين والشباب غضوب سم الحقد سهمه وحرابه
في غد تزحف الجموع لهيبا تزحم الأفق أو تشق حجابها
وتذيق العدو في الحق كاسا طافحا يملا المرار شرابه
وغدا نملا الديار أمانا وغدا يعرف السؤال جوابه

ويقول « د . عمر الجارم(٢) » في قصيدته « فلسطين » واصفا الجريمة ومرتكبيها :

جرح بأعماق العروبة دامي حار الاساة به على الأيام
يا للكرامة حين تسلب أرضنا ويصير مرتعها لشرطغام
من شردوا في الارض من آثامهم أيكون مأواهم بخير مقام ؟ !

ثم يتطلع الى يوم التحرير الذي يرتجيه المسلم والمسيحي ويسعى جاهدا اليه « جمال عبد الناصر » :

وتطهر الارض الشريفة بعد ما كادت تدك لكثرة الآثام
فيجيء « أحمد » للتهانى ساريا ويرى « ابن مريم » هابطا بسلام
ويباركان « جمال » منهض أمة للوثب بعد تمثر الاقدام

(١) مهرجان الشعر السابع سنة ١٩٦٦ ص ١١٠ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٩٦ وما بعدها ويلاحظ أن الأبيات الثلاثة الأخيرة ركيكة والشاعر في البيت الأخير يمنع « جمالا » من الصرف وهي ضرورة شعرية قبيحة .

ويعرب « مصطفى عبد الرحمن(١) » عن أسفه وأساءه للنكبة التي منيت بها فلسطين ويطالب بانقاذها في نشيده « صوت فلسطين » :

سلب الغاصب حق الوطن فسى الحياه
وسقاه من كنوس المحن ما سقاه
أقذوه من عوادي الزمن يا حماه

وينادي « عبد الله شمس الدين(٢) فلسطين في قصيدته « يا فلسطين » مبشرا
اياها بيوم الخلاص على يد المجاهدين المكافحين بقيادة « عبد الناصر » :

ما للعروبة عزة يا أخت ان لم تسلمى
يا موطن الاسراء يا مهد « المسيح » و « مريم »
يا ثانی الحرمين يا أفق الضياء المسلم
قد جاء « ناصر » بالصباح يزفه لك فابسمى
وترقبى يوم الخلاص على يديه واسلمى

ويقرر « عامر بحيرى(٣) » في قصيدته « على أبواب فلسطين » ان فلسطين
هى الأرض التي بدأت منها وحدة العرب الذين اتتمى اليهم الرسل ولم ينسبوا
للروم أو الفرس :

وحدة العرب .. بدؤها في فلسطين بنور من الجلالة قدس
كل رسل السماء كانوا من العرب فلم ينسبوا لروم و فرس

ثم بلمح فلسطين بظهر الغيب وقد تحررت على يد « عبد الناصر » فيقول :

وكأنى أرى الكيان الفلسطينى يعلى على الأساس ويرسى
وكأنى بالجيش من كل صوب و « جمال » يمر تحت الدرفس !
ذاك يوم الرجوع وهو قريب ليتنى ليتنى أراه بنفسى

(١) كتاب اغنية للكفاح لمصطفى عبد الرحمن ص ١٦٦ .

(٢) ديوان « الله أكبر » ص ٤٠ وما بعدها .

(٣) مهرجان الشعر السابع سنة ١٩٦٦ ص ٧٩ وما بعدها .

ويتحدث الشعر عن المأساة الفلسطينية ممثلة في أشخاص اللاجئين ، وفي هذا تجسيم أكبر للمأساة لأنه بيان عملي لآثارها السيئة ، وهو من الوجة الفنية أشد تأثيرا في القارئ أو السامع لانه عرض لتجارب حية تدور حول أشخاص في شكل قصصي .

يقول « عامر بحيرى(١) » في قصيدته السابقة محدثا عما دار بينه وبين فتاة لاجئة :

وفتاة غدت بأجمل وجه فائق حسنه وأكمل لبس
وروت قصة الخروج فقالت داهمتنا بالليل ساعة نحس
أين أهلى ؟ فقد تشرذ أهلى وانجلي الخطب عن مصابي وتعمى
وابن عمى في آخر الأرض يسعى مثل سعى مجاهدا غير نكس
قلت لم لا تلقينه يا فتاتي فتعيشان في أمان وأنس
فأجابت في رقصة وهي تخفى نبيرة الحزن في دلال وميس
ان عرسى عند الرجوع لدارى من فلسطين .. يوم أرفع رأسى

وهذا المعنى الأخير وهو أن فرحة كل فلسطينى بل كل عربى لن تكتمل الا بعد عودة فلسطين يتكرر كثيرا في قصائد الشعراء .

يقول « هاشم الرفاعى(٢) » حين يتحدث بلسان لاجيء يصف غرامه :

يا بنت عمى مرت الأعوام وتفتحت عن زهرها الأكمام
أمل يراودنا ودون بلوغه نار ويوم هائل وصدام
انا نعد له فلا تترقبى أن تشهد العرس البهيج خيام
فهناك في وطن سليب في غد أفراحنا بربوعه ستقام

ثم يصف حبه لوطنه وحنينه اليه ويوم رحيله عنه :

اليوم حين تعودنى أطيافه يهتاج في قلبى أسى وقتام

(١) مهرجان الشعر السابع ص ٧٩ وما بعدها .

(٢) ديوان هاشم الرفاعى : قصيدة « غرام لاجى » ص ٢٢٨ .

قد كان آخر عهدنا بمروجه يوما تمر بهوله الأعمام
لم أدر ساعتها لماذا أسرعت أُمى لتصلنا ونحن نيام
وفي قصيدة « لهاشم الرفاعي(١) » بعنوان « وصية لاجيء » يقول بلسان هذا
اللاجيء المحتضر حاكيا لابنه حكاية النكبة :

كانت لنا دار وكان لنا وطن أَلقت به أيدي الخيانة للمحن
وبذلت في انقاده أغلى ثمن بيدي دفنت أخاك فيه بلا كمن

ثم يشير في ابنه الحنين الى تلك الربوع :

تلك الربوع هناك قد عرفتك طفلا فاضت عليك ربوعها ماء وظلا
واليوم قد دهمت لك الأحداث أهلا ومروجك الخضراء تحنى الهام ذلا

ثم يصور تحسره على سلب وطنه وأمله في أن يعود - فيقول لابنه موصيا :

فاذا نفضت غبار قبرى عن يدك ومضيت تلتمس الطريق الى غدك
فاذكر وصية لاجيء تحت التراب سلبوه آمال الكهولة والشباب

ويحكى « عبد الله شمس الدين(١) » حكاية لاجيء في قصيدة بهذا العنوان

يقول فيها بلسانه :

كان لى دار وبستان وضيعه وصغار فى سلام يلعبون
ازرع الحقل وأجنى منه زرعه لأعيش العسر مرفوع الجبين
واحتوتنى ظلمة الليل الطويل سلبوا أرضى وصبحى والشعاع
وتشردت وأهلى فى السهول بين أسقام وجوع وضياع

ثم يتحدث عن أمله فى العودة بعد قيام ثورة « جمال عبد الناصر » :

ثم جاء الفجر يوحى بالأمل باسم الومضة فى وجه « جمال »
فاتفضنا بعد يأس وملل نرقب الصبح بعزم ونضال

(١) المصدر السابق ص ٢٣٠ وما بعدها .
(٢) ديوان « الله أكبر » ص ١٧٦ وما بعدها .

وفي قصيدة بعنوان «أرض الميعاد» ترسم « شريفة فتحي(١) » جوا حزينا حين تتسائل في بداية القصيدة عن السبب في حزن الطبيعة :

الريح والبدر والأفق والبحر ونواح الناس الخافت « وبكاء الطفل الجائع »
و « سعال شيخ هذه المرض اللعين » و « نباح كلب ضائع » و « عواء ذئب
طامع » و « بصيص ضوء لاح يلهث في الدجى » .

ترسم هذا الجو الحزين لتنتقل منه الى قصة تلك الحسناء اللاجئة النازرة الصبا التي رأتها وسألتها عن حالها وأهلها فأجابتها - وفي نبراتها آسى - عن حكايتها من بدايتها منذ كانوا يعيشون آمنين في فلسطين حتى حل الاستعمار واحتل الديار وتكل بهم وشردهم . ثم تصف مؤامرة الاستعمار لتمزق وحدة البلد الأمين و « سلب الحقوق بلا ضمير » لم يثنه شرع ولم يحفل بدين - فتقول بلسان الفتاة :

ومضى ينكل بالشباب والشيوخ والنساء وبالصغار الواعدين
ففضى أبى وكذا الأشقاء العزاز استشهدوا ومضوا بركب الخالدين(٢)
وتشردت من بعدهم أمى الحبيبة ثم ماتت في سجون المجرمين
ولم يبق بعد هذه القصة الا أن تنظر الى المستقبل .. الا أن تثار لوطنها وأهلها
وكرامتها وتقسم :

قسما بهذا الشعب بالشهداء بالأرض السلبية سوف نقتى الغاصبين
سنعود يا بلدى الحبيبة سوف نرجع سوف نرجع رغم أنف المعتدين
سنضم شمل صفوفنا شمل العروبة شمل وحدتنا على صدق اليقين
وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة اجمال جميل للقضية وتمن بل واصرار - يتضح
من تكرار الألفاظ والعبارات على العودة وعلى الوحدة .

(١) انظر : مهرجان الشعر السادس ببغداد سنة ١٩٦٥ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) « كذا » في البيت لفظ غير شعري ولا يشفع للشاعرة أنها تحكى قصة
تعتمد على سرد الأحداث وتحليل المواقف والتفصيل الكثير ، ولو كررت لفظ « قضى »
أو استعملت أداة العطف « ثم » لكان أوفق .

وفي أمل العودة بعد اجلاء الصهاينة عن أرض فلسطين ينشئ الشعراء القصائد
العديدة .

تقول «روحية القليني(١)» في قصيدة لها بعنوان «سأعود» مطمئنة فلسطين
على مستقبلها :

لا تقلقى فالعرب أهلك كلهم نار ستلتهم العدو العياني
سيسود التاريخ وجهه عصاة غدرت بشعب أبيض الصفحات
ثم تقول واعدة بالعودة الى فلسطين عزيزة متهتجة :

سأعود أثر فرحتي فوق الربا وأعاقق العمات والخالات
علمى سأرفعه على هام السها رمزا لمجد عروبتى وحياتي
وتقول «فلورى عبد الملك(٢)» في قصيدتها «غدا نلتقى» :

سنعود حتما ان أبوا أو أذعنوا ونصبها فوق الطغاة منايا
سأعود للبيت الحبيب . لكرمتى لجنى ربيعى فى سفوح ربايا
ويظلل السلم الحنون ديارنا وهناك أشدو فى ربوع صبايا

وتقول «جلىلة رضا(٣)» فى قصيدتها «دعوة الى التضامن» منفعة بالمأساة
وبأحوال اللاجئين مقسمة أنها سوف تعيد فلسطين الى أهلها بالحرب لا بالشعر
ليلتهم الشمل وتتحقق الآمال :

مهلا فلسطين الجريحة اننى أصغى لما تبدين من أنات
وأمد عينى خلف أسوار هنا فأرى بعينى قمة المأساة
اللاجئون هنا جميعا أسرتهى أبناء قلبى فى الأيبى وبناتى
قسما بربى سوف نرجعها لهم بالحرب لا بالشعر والنعمات
ولسوف تلتهم الصفوف جميعها وتسير فى عز الى الغايات

(١) مهرجان الشعر السابع سنة ١٩٦٦ ص ٥٣ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٦٢ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق ص ٥٠ وما بعدها . وراجع قصيدتها فى هذا المعنى بعنوان
« لن نرقب الفجر » بديوان « الاجنحة البيضاء » ص ٢١/٢٣ .

ويتضح من تلك الأمثلة على الاتجاه القومي في شعرنا الجديد وهي قل من
كثر مما قيل في هذا الاتجاه .. ان شعراءنا كانوا واقعيين لأنهم عبروا عن واقع
مادى ونفسى يحسون به ، وهم قد عبروا عن الوجدان الجعاعى وجدان الأمة
العربية التي تحس باحساسهم وتنفعل بالمأساة الفلسطينية انفعالهم فقد جرت معانى
القومية العربية في نفوسهم مجرى الدم . والعربى معروف بالشهامة ومشهور
بالنجدة .. نجدته لآخيه العربى اذا ما استنجده فهذه فطرته وتلك طبيعته :

قوم اذ الشر أبدي ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وحدث الشعر المصرى عن فلسطين حديث من حلت به نفسه الكارثة ونزلت
به النازلة ، حديث من يوحى حديثه بأن القضية هي قضية كل مواطن عربى من
الخليج العربى الى المحيط الأطلسى يحس ألمها وشددة وقعها على نفسه تماما كما
يحس اللاجئء المشرد من أبناء فلسطين الذى ألجأه الاستعمار الصهيونى والعالمى
الى المخيمات وشرده فى شتى البلاد والمجتمعات . ومن هنا كان شاعرنا - وهو
الذى لم يعيش فى فلسطين قبل الاحتلال - يصف ذكريات الصبا فيها ثم مواقف
المدوان على أهلها وتشريدهم ، كأنه أحد أهلها ممن عاشوا الحياة السعيدة قبل
الاحتلال وعانوا الحياة البائسة الشقية خلاله وبعده . فاذا ما انتقل شاعرنا بعد
ذلك ليصف أمل العودة وينادى بتحقيق الوحدة كان مهياً بما خلقه من جو نفسى
للتعبير عن ذلك أصدق تعبير ، ومهيناً سامعه أو قارئه بما حشده من مقدمات منطقية
لتقيل تلك النتيجة ومعاوته على تحقيق أمله ورجائه بالقدر الذى يستطيعه
وبالجهود الذى يملكه .

لقد كانت عاطفة شعرائنا فى التعبير عن مأساة فلسطين أقوى ما تكون العواطف
ولذلك كان تعبيرهم عن شدة الفقر وارتباطاته النفسية ، ثم مطالبتهم بالتضحية فى
سبيل استنقاذ فلسطين وعودتها حرة عريضة بكل ما تمتلك من نفس ونفيس ثم
بالالاحاح فى الدعوة الى اتحاد كلمة العرب وجيشهم وشعبهم وثروتهم .. كان
التعبير عن كل ذلك بتلك العاطفة الجياشة تمبيراً واضحاً قويا حيا أدل على نفسية
الشعراء من غيره مما قيل فى سوى تلك المأساة . وهذا شىء طبيعى ، فمأساة فلسطين

دامية وهي ليست مأساة شعب فلسطين وحده بل مأساة الشعب العربي كله بل هي مأساة انسان العصر الحديث الذي يضارع الاستعمار العالمي ليستخلص روحه من قبضة يده . فأحرى بالحديث فيها أن يكون حديث القلب والروح لا نطق اللسان وعمل العقل فحسب . على أن مما يثير حفاظ الشعراء على الاستعمار الصهيوني لفلسطين ويؤكد دعوتهم لرفض الاستعمار بشتى صورته ، علمهم أن قضية الحرية لا تتجزأ ، وأن أى احتلال لأرض فى أى بلد من بلاد العالم هو تمكين للاستعمار العالمى وعودة بالانسانية الى الوراء ، وفى مقابل ذلك أن أى تحرير لأرض فى أى مكان من العالم هو كسب مادية ومعنوية لقوى التحرر العالمى ، فاذا كانت فلسطين وهي جزء من الوطن العربى هي التى وقع بأرضها الاحتلال وعلى أهلها التشريد والتنكيل ، فان الخطب يكون أجل والمصاب يكون أقدح والنجدة تكون أوجب . والاستعمار الصهيونى هو شر استعمار عرفه التاريخ لان أهله أشد الناس عداوة للذين آمنوا ومخبطهم من قديم هو أن يحتلوا الأرض العربية من الفرات الى النيل فشرهم اذن ليس مقصورا على احتلال فلسطين وحدها وانما هو شامل لاحتلال الوطن العربى كله من الفرات شرقا الى النيل غربا أى من العراق والسعودية شرقا الى سوريا ولبنان ومصر غربا . وهذا ما لا يمكن أن يرضى به تاريخ العرب ومجدهم قديما ، ويقظتهم ووعيهم حديثا ، وتطلعهم لدعم قضية السلام فى بلادهم وفى شتى أنحاء المعمورة .

وشعر الاتجاه القومى من الناحية الفنية - كما وضع من الأمثلة - يرتبط بسدى عاطفة الشعراء نحو الحدث القومى . ولهذا جاء الكثير منه عند حادث « أغادير » وعندما عبر عن آلامه وآماله بالنسبة لثورة الجزائر وقضية فلسطين .

الفصل الثالث

الاتجاه الاجتماعي

والمقصود بالاتجاه الاجتماعي في الشعر .. اتجاه الشعر الى نقد المجتمع والمناداة باصلاحه وتنقيته من الأدران والعلل وتوثيق العلاقات بين أفرادها بتقريب الفوارق المادية والمعنوية بينهم ودعم العلاقة بين أعضاء الأسرة من زوج وزوجة وأبناء وأخوة وأخوات .

وتعتمد الدعوة الى الاصلاح على تعاليم الدين القويم ومبادئه السامية السمحة كما تركز على أساس العرف والتقاليد السليمة النابعة من الأديان ومن حضارتنا العربية والاسلامية ثم تعتمد وتتركز على أساس من الأصول العامة لمجتمعنا الاشتراكي واشتراكيتنا العربية .

وقد كانت أنواع العلل والادواء التي حارب الأدب والشعر في سبيل القضاء عليها قبل الثورة كثيرة وكان قيام النظام الرأسمالي والاستعمار البريطاني والملكية المستبدة والاقطاع الجائر ورأس المال المستغل هي المسئولة عن ثلوث الخطر الاجتماعي في مجتمعنا قبل الثورة : الفقر والجهل والمرض . وكان الاستعمار قد أشاع الفرقة بين المواطنين وبخاصة بين عنصرى الأمة ايمانا منه بقاعدة «فرق تسد»، كما أشاع وشجع على ارتكاب المنكرات كسرب الخمر وادمان المخدرات ولعب الميسر لاضعاف النفوس والهاء الشعب واذكاء نار العداوة والبغضاء بين الناس ، وكان الفقر سببا في شيوع الرشوة واقتراف الجرائم ، وكان من أسباب الفقر انصراف مجتمعنا الى الانتاج الزراعى وحده تأثرا بدعوى الاستعمار أن بلدنا بلد زراعى لا يصلح للصناعة ليجمع المستعمر تلك المحاصيل الزراعية وبخاصة القطن ويقيم صناعاته عليها ثم يبيعها في أسواقنا وغيرها بأثمان باهظة وتبقى بلادنا فقيرة تابعة له ، كما كان من أسباب الفقر النظام الرأسمالى الذى يؤمن بالملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، والضرائب التي كان يدفعها الشعب الفقير ويعفى منها الاقطاعيون والرأسماليون ليزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا .

وكان الجهل سببا في اعتماد شعبنا على الخرافات واطمئنانه الى الكسل متوهما أن ما كان له سوف يأتيه ولو بغير عمل . وقد أكد له هذه المعاني بعض الجهلة أو الخونة ممن يدعون العلم بالدين والدين منهم براء . وكان من أسباب الجهل عدم التشجيع على التعليم وجعل التعليم بالمصروفات التي لا يستطيعها غير القادرين .

وأما بعد الثورة فقد أخذت الثورة في طريق الإصلاح الاجتماعي ومحاولة تقرب الفوارق بين الطبقات بعدد من القرارات بدأت بقانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٢ واستمرت حتى صدرت القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ ثم عام ١٩٦٣ ولن تتوقف القرارات الاشتراكية لتحقيق سيادة الشعب وسيطرته سياسيا واقتصاديا وتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفرادها .

ومن أجل ذلك تقوم الثورة بالتوسع الزراعي أفقيا ورأسيا واستصلاح أراض جديدة وبالتصنيع الواسع الذي يستوعب أعدادا كبيرة من العمال والأيدي العاملة الماطلة ويعود بالثراء والرخاء على أفراد الشعب ويرفع من متوسط دخول الأفراد نتيجة لزيادة الدخل القومي العام .

وبذلك تكون الثورة قد مضت في طريق يحل مشكلة الفقر وهي المشكلة الرئيسية لكل المشاكل والادواء الاجتماعية الأخرى . ولكن الثورة قد مضت كذلك في حل مشاكل العلاج بإنشاء المستشفيات في طول البلاد وعرضها وتوفير الأسرة والدواء لها كما عملت على حل مشاكل التعليم بجعله بالمجان كالماء والهواء في كل مراحلها بل الزاميا في المرحلة الابتدائية مما أتاح الفرصة لأعداد متزايدة أن تأخذ حقتها من التعليم ولا تحرم من فرصتها فيه ، ووفرت للصراف عليه ميزانية ضخمة والتزمت الدولة مع الحشود الهائلة من الخريجين في المراحل المتوسطة وفي الجامعة .. التزمت بأن توفر الأعمال المناسبة لكل خريج حتى لا يكون جهد التعليم في النهاية ضائعا على كل من الشعب والدولة دون استفادة واستغلال له .

وقد عاونت وزارة الثقافة والارشاد ودور الصحافة دور العلم في نشر الثقافة ورفع الوعي الثقافي مما قضى أو يكاد على مشاكل الخرافات وانتشارها بين الأميين بل وبين المتعلمين كذلك .

ومعنى كل ما سبق أن كثيرا من المشكلات الاجتماعية التي كانت شائعة قبل الثورة انقضت سحابتها أو تكاد بعد الثورة ، مما لم يتح الفرصة لازدهار هذا الاتجاه الاجتماعى بعد قيام الثورة فدر ازدهار الانجاء الوطنى الذى يشهد بالانجازات الثورية لأن اقتناع المواطنين والادباء والشعراء بالثورة وبالنظام الثورى وانفعالهم بانتصاراتها لا فى المجال المحلى فحسب بل وعلى الصعيد العربى والصعيد الدولى جعلهم منصرفين عن كشف عيوب المجتمع الثورى بينما المواطنون والادباء والشعراء قبل الثورة فى ظل الحكم الاستعماري والملكى والرأسمالى والاقطاعى كانوا على العكس مدفوعين تلقائيا الى ابراز العيوب فيه بل وتجسيدها بغرض هدم النظام واحلال أوضاع سليمة تحقق مصالح الشعب وأهدافه محل أوضاعه السائدة الفاسدة ، وهذا يعنى أن واقعية مجتمع ما قبل الثورة كانت واقعية انتقادية ، أما واقعية ما بعد الثورة فقد كانت واقعية بناء .

ولكن التغيير الجذرى الكبير الذى حدث فى العلاقات الاجتماعية كان له تأثيره الكبير فى اتجاه الشعر اجتماعيا بعد الثورة عنه قبلها فالتغيير الذى حدث فى العلاقات الاجتماعية بسيطرة الشعب - لا مجموعة من الأفراد - على سياسة البلاد واقتصاده وتوزيع الناتج بالتساوى على أساس العمل لا على أساس استغلال طبقى جعل الولاء متجها الى الشعب الا الى أفراد ذوى ثراء أو أصحاب جاه ونفوذ فلم يعد بعد ثمة فخر يشوبه رياء بتلك الفئة الغنية الحاكمة بل أصبح الافتخار بالشعب الذى يصنع المعجزات وأصبحت له الصدارة وكان - كما وصفه قائد الثورة - هو المعلم والقائد .

وهذا التغيير فى العلاقات الاجتماعية بتملك الشعب لوسائل الانتاج ومنحه السلطة والسيطرة السياسية والاقتصادية واقرار مبدأ تكافؤ الفرص فى التعليم والتوظيف .. هذا التغيير قد زاد حركة التعمير والتحضير والتصنيع فتحول الكثيرون من أهل القرى الى المدن لطلب العلم أو لكسب الرزق والعمل فى المصانع أو فى الوظائف الحكومية ، وتحولت حياة أولئك المزارعين من حياة روحية تؤمن بالقدر والا تكاد تؤمن بالعلم الى حياة مادية تؤمن بالعلم ايمانا قويا وتسعى حتى تلهث فى سبيل الكسب وتعمل حتى تكل من أجل القوت .

على ان انصرف الكثيرين الى العلم فى المدينة وابتعاد الكثيرين عن عائلاتهم الكبيرة فى القرى الى حيث العمل فى المصانع او المصالح الحكومية أو الشركات والمؤسسات قد فتت تلك العائلات . وكثرة من فى المدينة وانشغالهم فى أعمالهم

وشئونهم وشجونهم قطع أواصر العلاقات الاجتماعية بين الناس . وكما لا يعيش الإنسان بغير ولاء لا يعيش بغير إخاء وكما تحول الولاء من الأفراد والطبقة الثرية الحاكمة الى الشعب القائد والمعلم، تحول الإخاء مع أفراد العائلة الكبيرة بعد تفتتها ومع الناس أهل القرية الواحدة بعد تفرقهم في طلب العلم وتحصيل الكسب وانشغال كل بشئون الحياة المادية .. تحول ذلك الإخاء الى أفراد الأسرة الصغيرة من زوج وزوجة وأبناء وأخوة وإخوات . فأصبحت تجد الفخر بالشعب يسود والتعاطف مع أفراد الأسرة يزيد ، وقد كان الفخر بالشعب نادرا لضعف سيطرة الشعب وكان التعاطف مع أفراد الأسرة قليلا لقوة التعاطف مع مجموعة أفراد العائلة الكبيرة والاصدقاء الكثيرين المترابطين فظهر في الاتجاه الاجتماعي بعد الثورة الشعر الأسمى أشد وضوحا وأعظم اشراقا وأكثر جودة .

ومما لا شك فيه أن الاتجاه الاجتماعي في الشعر بعد الثورة الذي يحقق الواقعية الانتقادية لم يزل وسيبقى موجودا على الدوام لأنه لا يمكن أن يخلو مجتمع من نواقص وسلبيات وما تزال هناك رواسب من المجتمع القديم ونحن لا زلنا في مرحلة التحول الى الاشتراكية وفي هذه المرحلة تكثر التناقضات الناتجة من عملية التحول والعيوب التي تنجم عن التطبيق الاشتراكي وهي في حاجة الى كشف النقاب عنها ومحاولة حلها . والحل دائما يبدأ بالوعي به لا بوضع القوانين الصارمة لازالته والقضاء عليه وتلك مهمة الشعر الذي يوقظ الوعي ويشير العاطفة ، بقوماته ومؤثراته ومرحياته ، من ألفاظ جميلة وأساليب متخيرة وأفكار مركزة وتصوير حسي يجسم المعنويات ، ومن عاطفة تربط بين الألفاظ والمعاني بخيوط ذهبية غير مرئية ومن موسيقى عذبة ترن في الأذن والقلب معا .

واليك بعضا من الأمثلة الدالة على قيام الشعر بعد الثورة بدوره في التوجيه الاجتماعي .

١ - الدفاع عن قضية الفلاح والشعب الاجتماعية :

لقد أبلى الشعر بلاء حسنا في الدفاع عن حرية الفلاح السياسية والاجتماعية التي سلبها الاقطاع منه ليعيش أشد فقرا وذلا ويميش الاقطاعيون أكثر غنى ورفاهية .

وقد خاض الشعر غمار حرب البؤس والذل والفقر حرب الجهل والامية والخرافة وحرب المرض تلك الحرب التي خاضها الفلاح مع حياته ومع صنعي هذه

الحياة له ليصبح آلة مسخرة تنتج ولا تستهلك تغنى غيرها وتفتقر .. تكسو الآخرين وتتعري .. تشبع الأغنياء وتتضور جوعاً .. تروى الطغاة وتموت ظمأً .. وقد أدى الشعراء منذ مطلع هذا القرن دورهم في اشعار الفلاحين بسوء أحوالهم اذ أحسوا قلوبهم بالنظلم الواقع عليهم وأشفقوا على آدميتهم المهذرة وكرامتهم المسلوبة وانسانيتهم المغصوبة فصوروا ذلك في كتاباتهم وأشعارهم حتى قامت ثورة ١٩٥٢ فحررتهم من ظلم الاقطاع وملكتهم الأرض التي حرموها منها وهم أصحابها .

ومن الأصوات الشعرية الأولى لتحذير الفلاح من الوقوع في شرك المستغلين والمرابين واشعاره بأن كوخه الحقير هو أساس كل قصر مشيد .. صوت « مصطفى صادق الرافعي (١) » الذي انطلق سنة ١٩٠٨ ينشد نشيد الفلاحة المصرية في لغة سهلة رعاية منه لمقتضى الحال وإيثاراً للفلاح فيقول :

يا صاحب الفيض احذر العذابا	من الربا والفقر والخرابا
ان الربا ليس لنا مباحا	هيا الى غيطك سقها « حاحا »
أنا ابنة الفلاح أم النصر	فلاحة يا بنت هذا العصر
لكن كوخى من أساس مصر	يسند فيه ركن كل قصر

ويتابع الشعراء في وصف فقر الفلاح وجفاف موارده وعجز وسائله عن تحصيل المال والحاح الملاك عليه بالمطالبة والحاف محصل الضرائب بالطلب فيرتفع صوت « أحمد محرم » بتلك المعاني في قصائد عديدة ومنها ما يقول حين يصف رحلة ريفية له من العاصمة الى الثغر فيلفت نظره ما في الريف من جمال وما في أهله من املاق وارهاق وهوان وهم واهبو الثراء للثرياء :

ويلي على فلاح مصر اما كفى	ما ذاق من عنت ومن ارهاق
يعنى ألوف المترفين بماله	ويعيش في فقر وفي املاق

(١) التقصير في حق الفلاح قبل الثورة :

ولكن مما ينبغى الاشارة اليه أن أكثر شعر الشعراء قبل الثورة كان منصرفاً الى وصف الريف والتغنى بجماله ولم يكذب يسر قضية الفلاحين الاجتماعية الا مساً رقيقاً وقد يشيدون بما قدم لهم ولادة الأمر من خدمات اذا ما طالبوا بحقوقهم تقيّة منهم وحذراً .

(١) انظر محمد عبد الغنى حسن : الفلاح في الادب العربى ص ٢٤ ، ٢٥ .

وهذا « محمد مفيد الشوباشي (١) » ينظم قصيدة « ليلة ريفية » عام ١٩٤٨ فلا يسمعا فيها أنة واحدة لصوت فلاح ألهمه سوط الاقطاعيين . وكان قصاراه من تلك الليلة انها :

غابت عن العين ألوان الحياة فلم بين خلال دجها غير أشباح
وعمها الصمت الا ما تخلله من نوح ساقية أو صدح صداح

وكذلك فعل « محمد طاهر الجلاوي (٢) » فقد كان الريف كله في عينيه سحرا بما فيه من صياح الديكة وصدح الطيور وأنغام أصوات الانعام :

وخوار وثغاء وبنغام تبث البهجة في كل مكان
هو موسيقى جلال وانسجام تبث الدنيا بها في مهرجان
وبناح الكلب من خلف الغنم في انتباه ومراح واقتحام
انه الصبح بضوء ونعم فجرى في نشوة بين الزحام

و « محمد عبد المعطي الهمشري (٣) » يجعل من تصوير الريف المصرى وابرار ملاح الجمال فيه رسالة له وقد انشغل بجمال الطبيعة عن تصوير شقاء الفلاحين أو الاحساس بالشعور الاجتاعى الهابط الذى تدلوا اليه حتى لقد تغزل فيما لا يمكن التغزل فيه « كالجاموسة » التى يضرب بها المثل فى ضخامة الشكل وبطء الحركة وسواد الجلد فصاغ لها أغنية على لسان فلاح يخاطبها قائلا :

قد جيت كل بقاع القطر مقتربا من ثمر دمياط حتى سفح أسوان
على أرى شبا يحكيك فى دعة أو خفة أو جمال منك فتان
وأما زميله « محمد مصطفى حمام (٤) » فقد كان أكثر احساسا منه بالمشكلة فهو يدير حوارا بين مراب وفلاح منكوب ولا يرق قلب المرابي لحال الفلاح الذى أغرقه الدين فيصرخ الفلاح مستغيثا :

يا ولادة الأمر هل من رحمة ؟ أرهفوا للمشتكين السعيا !
أنهضوا الفلاح من كبوته وأنيلوه المكان الأرفعا
كيف تروضون لبانى مجدكم عيشة ضنكا وقررا مدقما ؟ !
شكر الفلاح ما اسلفتمو من جيبيل ، فعسى أن يتبعنا !

(١ - ٤) الفلاح فى الادب العربى ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥٢ .

وواضح ان البيت الأخير انما هو نوع من النقية التي كان يلجأ اليها الشاكون من بؤس الفلاح حتى لا يؤول موقفهم تأويلاً لا يروق لافهام ولاية الأمور يومذاك. و « محمد السيد شحاته (١) » الملقب بشاعر البراري يستغرق في وصف الطبيعة والريف ولا تقرأ له ما يشعرنا بجدبه على الفلاح وضيقة بيؤسه الا في أبيات قليلة بعنوان « الفلاح » يجعل فيها نجوم الليل سهرانه في الأعلى تسائلنا كيف تعامل الفلاح ؟ وقد شاركها السؤال عنه الندى السائل فوق الزهور وعلى الرغم مما منى به الفلاح من نسيان فان بنانه لا يزال يطور وجه الارض بالنقش الجميل والزرع الفاتن :

لقد سهرت من فوقنا انجم الدجى	لتنظر تحت الليل كيف تعامله
وسال الندى فوق الزهور مسائله	متى ذلك العاني تسوى مسائله ؟
نسوه .. ولكن لا يزال بنانه	يجعل وجه الأرض ثم يجامله
ففى فأسه للريف مثل يراعتى	فهذى تغذيه وهذى تغازله

و « محمود غنيم (٢) » يصور جمال الريف في قصيدة تبلغ ثلاثين بيتاً ولا يذكر شدة الفلاح الا في بيتين أو ثلاثة عرج فيها على صبره الشبيه بصبر «أيوب» ورضاه بما دون الكفاف فقال :

أكبرت في القروى حدة عزمه	وحسبته في صبره « أيوبا »
في الريف فتیان تسيل جباهم	عرقاً فيصبح لؤلؤاً مثقوباً
بدلوا لمصر فوق ما في وسعهم	ورضوا بما دون الكفاف نصيباً

ولكنه ينظم قصيدة بعنوان « راهب الحقل » تغفر له ما سلف من تقصيره في حق الفلاح ، اذ يصوره فيها يكدح وتذهب ثمار كدحه لغيره ، ينتج عسجد القمح ولجين القطن ثم يلعق الصاب .

أمن العدل أن يعيش أسير الحقل	من شباب بالدماء تراه ؟
وهو من أخرج النضار من الأرض	وصنى من التراب لبابه
كم جنى القمح عسجدا	وجنى القطن لجينا وبات يلعق صابه

(١ - ٢) الفلاح في الادب العربي ص ٥٦ ، ٣٧ ، ٤٠ .

يقول « محمد عبد الغنى حسن (١) » وهذا الأسعراق في الوصف الطبيعي للريف مسئول الى حد كبير عن ذلك الاغفال لسكان الريف وأهله من الفلاحين ، مع أن عدالة القسمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض كانت تقتضى وقفة قصيرة ، طويلة ، من أمثال هؤلاء الشعراء الذين لم يمر الفلاح ببالهم على حين تشد أنظارهم وتلفت انتباههم فراشة حاملة او ماشية سائمة او شاة نائمة ولا ادري كيف ينفصل الاحساس بالمكان عن الاحساس بالسكان عند شعرائنا المتعرضين الريف كان حريا ان يكون عند الشعراء أكثر أسرا وأقوى تنبيها .

وهل تستكمل اللوحة الشعرية الريفية كل مقوماتها اذا اشتملت على الساقية والقناة والشجرة والبقرة والمحراث والشادوف والفأس والكلب النابح والطيير الصادح .. ولم يكن للفلاح فيها أثر ولا خير ؟

ان لفتة واحدة من شاعر اتصل بالريف اتصالا عابرا أو دائما الى ذلك الفلاح الصابر الكادح قد يكون فيها من جميل المشاركة ورفيق المعاطفة ما هو خليق بشئ ذلك الانسان المسكين .

وإذا كان الجمال في الريف يأسر وينبه ويجذب فان الألم والشقاء عند فلاح الريف كان حريا ان يكون عند الشعراء أكثر أسرا وأقوى تنبيها .

ولعل هذا الاغفال لشأن فلاحنا القانع الراضى واهمال امره كان أثرا من آثار النظرة التي كان ينظر بها « الأتراك » اليه . ولهذا كان جميلا ورائعا ان يتنبه الشاعر « أحمد الكاشف (٢) » - وهو تركى الأصل - الى حالة الفلاح المصرى سنة ١٩١٢ وأن بنه اليه أذهان ولاية الأمور في مصر في ذلك الزمان وأن يدل قومه الأتراك على أن اختصار الفلاح والتهوين من شأنه هو عمل مجانب للصواب فيقول من قصيدة بعنوان « الفلاح المصرى » :

إذا استبقيت في الدنيا حيبا فخبر أحبتي فلاح مصرا
كريم يملأ الدنيا ثراء ولا يلقى سوى الاجحاف أجرا
فلو عرف الصواب الترك قومي لما احتقروا له عملا وقدر
والشاعر « محمد عبد الغنى حسن » رقيق رقيق بشعراء ذلك العهد الذين نسوا الفلاح وقضيته وبؤسه والظلم الحائق به وانصرفوا الى وصف الساقية

(١ ، ٢) الفلاح في الأدب العربى ص ٥٧/٥٩ .

والشادوف والجاموسة وجمال الطبيعة في الريف .. الخ وهمسو يذكر مرة أن استغرافهم في وصف الأرض والمكان هو المسنول عن نسيان الام أهل الأرض والسكان ، ويذكر مرة أخرى أن ذلك كان أثرا من آثار النظرة التي كان ينظر بها الاتراك اليه .. وهو يريد بذلك أن يخفف عنهم المسئولية التي حملهم اياها والحقيقة انه لا الاستغراق في وصف ما حول الفلاح من مظاهر الطبيعة ولا نظرة الانراك الى الفلاح هو السبب في انصراف الشعراء عن وصف آلامه وانما السبب هو أن نظرة عامة المثقفين ومن بينهم الشعراء كانت نظرة طبقية تقوم على أن الناس طبقات وأنه من الطبيعي ان يكون هناك اقطاعيون اغنياء وفلاحون فقراء ، وكل ما يرجى من الغنى ان يعطف على الفقراء بترك فتات المائدة وازجاء الكلمة الطيبة فاذا ما فعل ذلك وصفوه بالمحسن الكبير مثال الانسانية ونصير الفقراء ، بل لقد اشاعوا أن الفلاح أحسن حالا وأسعد حياة ممن سواه وقد غنوا الشعب آنذاك اغنيات شعبية تصف عيشة الفلاح بانها عيشة رضية لأنه مستريح البال ينام في أى مكان من أرض الله الواسعة ويقنع برداء أزرق يكفي لستر عورته ، ومن أمثلة هذه الأغنيات الأغنية الشهيرة :

محلاها عيشة الفلاح مطمئن قلبه (قلبه) ومرتاح
يتسرغ على أرض براح والخيمة الزرجة (الزرقاء) ساتراه

انه لا مانع لدينا ان يصف الشعراء جمال الريف وسحر الطبيعة فيه بل اننا نرغب في ذلك شديد الرغبة ولكن على أن يكون الهدف من ذلك اثاره الاهتمام بالقرية وبأهلها لاصاغة الاسماع لما يقال عنهم ولما يرجى لهم وهذا ما قد فعله البعض حقيقة وان كان كما أسلفنا قليلا بل نادرا ومن ذلك ما فعله « كمال البسيونى^(١) » من ربط بين أنين السواقى وشقاية الفلاح في قصيدته « الريف المصرى » :

ياريف ما للسواقى فيك ممولة تبكى بطرف غزير الدمع هتان ؟
دعها تنن وتبكي ان فيك فتى سواء يحصد وهو الباذر العانى
جوعان،عريان ،يكسوهم ويطعمهم ظمآن يسقيهم من دمه القانى !

وهو نفس ما فعله « محمود حسن اسماعيل^(٢) » امام الشعراء المعاصرين في خدمة قضية الفلاح حين جعل بكاء الساقية من أجل الفلاح والثور فكل منهما يشارك الآخر في سوء الحظ ووقوع الظلم به .

(١ ، ٢) الفلاح في الأدب العربى ص ٤٠/٤٢ .

والسواقي مفعومات عليه . نثجات تريق من عبراته
عندها الثور قيده يد الظلم وهذا حليفه في سماته

ان « محمود حسن اسماعيل » هو الشاعر الذى خدم قضية الفلاح بحق من قبل ان تقوم الثورة ، فقد وقف طويلا بجانب الفلاح معبرا عن ألمه الشديد وكدحه المرير فى أكثر من لوحة رائعة بل فى أكثر من ديوان شعري ، بل لقد كان أول ديوان له هو ديوان « أغاني الكوخ » وهو كما يتضح من اسمه يتحدث عن القرية وبؤسها وعن الفلاح والظلم الواقع عليه . وكانت أول قصيدة فى الديوان بعنوان « الكوخ » وأول بيت فى القصيدة :

عرج عليه ساعة واتخذ فى ظله مأواكا

وهو يقول فى القصيدة التى سقنا منها البيتين اللذين ربط فيهما بين بكاء الساقية وشقاء الفلاح والثور مصورا جمال الريف معرجا على ذلك الفلاح « المذبذب فى حياته » والذى تمس تلك الجنة النضرة الخمائل واصفا اياه بأنه « ناسك الحقول » .

ناسك فى الحقول هيمان بالارض يطلى بتربها دعواته

أتواسيه فى الضنى نبتة الحقل ويغضى الانسان عن حراته !؟

وبعد أن يربط بين الساقية والفلاح والثور يربط بين الشواذيف وبين الفلاح مشبها بعض ملبسه بالكفن الممزق المتسخ (١) .

والشواذيف كم أرنت بأذنيه وصاحت تنن فى زرعته(٢)

شهدت شملة عليه تحاكي كفنا مزقت بوالى رفاته

صبغ الخط لونها بسواد من أسى نحسه ومن عثراته

وكما يلقب الفلاح من قبل بالناسك يلقبه بالنبي الجائع وهو أصل الخير كله :

نبي فى الضحى سار يولول فى الربى وحده !

شقى ، جائع ، عار ذليل الوجه مصفر

ويضرب كفه فى الارض من ألم فتخضر !

(١) الفلاح فى الأدب العربى ص ٤٢ ، ٤٣ .

« محمود حسن اسماعيل » الذى آمن بحق الفلاح فى الحياة الحرة الكريمة لا ينسى بعد أن قامت الثورة وأصلحت من حاله وردت إليه بعض حقه فحررته من الرق والفقر وملكته الأرض ووفرت له الكثير من الخدمات لا ينسى أن يصرف همه حين يشيد بأعمال الثورة وقائد الثورة الى أن يتحدث عن التغيير الاجتماعى الذى حدث لمصلحة الفلاح فيعقد مقارنة بين العلاقات الاجتماعية الاقطاعية قبل الثورة والعلاقات الاجتماعية العادلة بعدها .

ويتحدث عن الفلاحين « المظالم » من بنى القاس وعن ضياعهم وهوانهم وفقدهم ورقهم قبل الثورة :

والمظالم حوله من بنى القاس طواهم فى أسره من طواه
عبدوا الأرض من قديم. وغنت بهم الطير والسراب والمياه
وهم ضائعون فى كل حقل موكب للهوان يخزى رباه
ضرب السرقة فى القضاء فلم يبق نصيبا لكائن فى حماه
غير طاغ وظالم مستبد ورث الظلم جده وأباه
حسب الأرض ملكه وعباد الله رقا لكأسه وهواه
أجل ما أبشع ظلم هذا الاقطاعى للفلاحين ، هذا الاقطاعى الذى :

يفرس الناس وهو يجنى ويمضون فيمتص كل خير حشاه
وينامون فى الحظائر عارين وتشقى من الفراغ ذراه
وينادى عليهم فى الرحمة الا يجاب حتى نساها
واذا كلبه تأذى من النخمة ضجعت حياته لأذاه

ثم يصف الشاعر ما أحدثه قائد الثورة الريفى « فارس الغيب » من التغيير الاجتماعى الكبير الذى حل مشكلة الفلاح وأنهى قصته الأليمة .

وإذا فارس من الغيب آت يذهل الشمس فى ضحاها لقاء
من عناء الاقدار من غضبة الاعصار اصراره وسر قواه
لمح الشعب فى خضم من الحيرة لم يبق فى يديه اتجاه

ورأى حيلة تطل على جحر أطلت على الدجى مقلتاه
فرماه بومضة من ضياء البعث فانهجار في يديه رجاء
وانتهت قصة الافاعي من الدرب وبادت سمومها في ثراه^(١)

ولم « فوزى العنتيل » بما أفاض وأجاد في وصف الريف وقضية الفلاح
الاجتماعية يكون خليفة « لمحمود حسن اسماعيل » في هذا الباب وقد أصدر
ديوانا سماه « عبر الأرض » أهدها الى فلاحى القرية الذين يعبرون التاريخ
بأذرع معروفة تحمل الفئوس في صبر . وقصائد الديوان لوحات معبرة عن ريفنا
المصرى بكل شئونه وشجونته ، فالانسان والجماد والحيوان فيه ، بالشقاء المر
الذى عاش فيه أهله والأمل الحلو الذى يعيشون من أجله .

هذا هو « العنتيل^(٢) » ينتظر مع كل فلاح ساعة طلوع الفجر الذى يطلقهما
من السجن وينجيهما من الطمن ويحررهما من الاقطاعيين والآلهة الصغار :

وكان شعبي سجيناً وكان شعبي طعينا
أيامه حصدها مناجل الحاصدينا
فكم اله صغير ههنا به صاغرنا
اخضضرت في ربانا أفراجه وشقنا

وهذا هو فلاحه الجديد المتلىء ثقة بنفسه وبغده يرتفع على الألم ويتحدى
العذاب والظلمة وينطلق الى عمله ينشد الفرحة ويعزف لحنه المشبوب :

سأحمل عسرى المصلوب فى هيكلى أيامى
وأرفع معولى المقدود من عزمى وأقدامى
وأعزف لحنى المشبوب من صمتى وآلامى
نشيدا دافق الفرحة صداحا بالأمى

وتكن ما أحلى أن يسمر الشاعر مع اخوته الفلاحين بعد أن انبلج الصبح
عن ثورة يوليو ١٩٥٦ ليستعيدوا ذكريات الشقاء والعذاب والألم فيجدوا حلاوة
الحاضر فى أذواقهم أحلى « والضحك يظهر حسنه الضد » .

(١) مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢ ص ١٠٤/١٠٦ .
(٢) انظر عبر الأرض ص ٨ .

ومضيت أعصر من سنيي(١) قطرة
في الريف بين الكادحين يسوفهم
ويخطى تمر على بقايا قصة
من دمع محروم - وقسوة حارم
ويمضى الشعراء بعد الثورة يقارنون بين حال الفلاح قبل قيام الثورة
وحاله بعدها .

وهذا « محمد عادل سليمان(٢) » في قصيدته « حكاية أجير بين الاقطاع
والثورة » - يتصور أجيرا واقطاعيا بعد الثورة يدور بينهما حوار يحكى فيه الأجير
للاقطاعى حكايته فى خدمة أرض أبيه دون عائد يعود عليه :

يا سيدى . . أنا كم غرست على ثراك الخصب زهره
ويداى أنبتتبا حقول أيبك أشجارا وخضره
وسقيت من عرقى وجهدى أرضه . . وبنيت قصره
وملات دارك بالحصاد ملأتهما قمحا وأذرة
ورجعت للكوخ الصغير وفى حنايا النفس حسره
أنا كم زرعت على الحقول وما جنيت حصاد بذره

ثم يعد أن يحكى له حكايته معه هو وكيف حمله طفلا « فرش له الطريق رملا
وجسع له الشذى وردا وفلا ونثر فوقه الأغصان فلا ورش عليه فوح العطر
أنداء وطلا » .. يحكى له كيف توصل إليه أن يرحم ضعفه وشيخوخته ويرده الى
العمل فى حقله ولكن كان كما قال له :

كفالك حاقدتان تضرب فى جنون مذهبول
لم ترحم الشيخ الصغير وجسوة المتذلل
وتركتنى نهب الضياع . . هدمت حتى منزلى

ثم يحكى له وللدنيا قصة اعلان قيام الثورة وعودة الحقوق الى أصحابها
والأرض الى زارعها وتحول الاجراء بها الى ملاك .

(١) أثبت الشاعر هنا « نون » جمع المذكر السالم فى كلمة سنيين والأصح حذفها .
(٢) انظر مهرجان الشعر العربى الرابع بالاسكندرية سنة ٦٢ ص. ٥١/٥ .

لكن صوتاً رائعاً ما زال رفاف النشيد
أصغت إليه جوعنا الحيرى . . أفادت من جديد
ما عادت الأرض الحبيبة ملكاً لقطاع حقوق
راحت ليألى المتعبين . . تحطمت كل القيود
وإذا أجزر الأرض سيدها ومالكها الوحيد

ويلتقط الخيط « سيد احمد حسن الطوايى (١) » فيبدأ فى قصيدته
« مصرع الاقطاع » قصة قيام الثورة وفتح الاقطاعى « رب الضياع » وذهوله
أن يتحرك هذا الشعب الذى يسميه بالقطيع .

ويفزع رب الضياع ويهذى غلام وأين الضجيج الشديد ؟ !
وكيف تحرك هذا القطيع وصار يدوى دوى الرعود ؟
وكان يعيش بسجن رهيب ويأس مرير وهم مديد ؟
أشعب فقير جهول مريض يشور ويصبو لعيش رغيد ؟
ولكنه يتأكد من حقيقة قيام الثورة وأنه :

أتاه « جمال » مبيد الطفاه ينادى بفجر وعهد جديد
أتاه فتى « آل مر » الأبى وعلاق مصر ريب الصعيد
فراح الشقاء وهل الصفاء وحطم - كالليث - كل القيود
ويصف « محمد قرنة (٢) » فى قصيدة « أمس واليوم » تهاوى الاقطاع وأتباعه
وعودة الأرض الى أصحابها الزراع بعد الثورة فيقول :

قد تهاوى عن عرشه الاقطاع وتلاه الأسناد والأتباع
لن يعود الفلاح تحت يديه سلعة تشتري له وتباع
لن تعود الضياع يملكها فرد وللبنائس الفقير الضياع
تسر الأرض للذى بذر الحسب وما للطغاة منها متاع

(١) مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢ ص ٧٠/٦٧ .

ويتحدث « كيلاني حسن سند »^(١) بلسان اقطاعي يرجع بخياله الى الماضي فيذكر الواقع الذي كان يعيشه والواقع الذي كان يعيشه الفلاحون :

أنا رأسمالي
جدي وجد أبي وخالي
مروا على جسر الحياة فطاطات لهم المعالي
وقطيعتنا ، وأبي يمزق سوطه ظهر الرجال
جوعى وثرثارون تحت عمارتي عدد الرجال
يتطلعون الى نوالي
وعيونهم محمرة بلهاء من سهر الليالي
أنا لا أبالي .. لا أبالي

ويصحو من غفوته على الواقع الاليم فالفلاحون أو من يسبهم « الرباع »
يحتقرونه لما أجرم في حقهم ويسخرون من حديثه عن المال حتى ليصغر المال
واللآلىء في عينيه .

وفي قصيدة أخرى يعبر « كيلاني حسن سند »^(٢) عن فرحة الفلاح بالثورة
فيقول على لسانه :

من جاءني في الكوخ مستبشرا يزف لي أعراس حرיתי ؟
ومن أزال الحجب عن أعين عشواء لم تعند سوى الظلمة ؟
من جاءني يسبح عن كاهلي وعن جيبني وصمة الذلة ؟
من جاءني يحضو على هيكلي بسحجة بالحب في رقعة ؟
ينثر لي في الكوخ زهر المنى ويسح الآلام بالرحمة
من قال لي خذ هذه قطعة من تسربة ، لولالك لم تنبت ؟

ثم يبلغ الفلاح الذي يتحدث شاعرنا بلسانه غاية النشوة والفرح حين يقول داعيا
كل شيء حوله ان يسرح ويفرد ويرقص لأن نور البعث بالثورة قد أشرق :

فلتسرحي يا شاة في حقننا فأنت مثلى كنت في محنة
وأنت يا ديكى ، يا ابن الذرى غرد مع الأطيار في الأيكة

(١) انظر ديوان « في العاصفة » قصيدة « أغنية اقطاعي » ص ٢٦/٢٩ .
(٢) انظر المصدر السابق قصيدة : « هكذا غنى الفلاح » ص ٣٤/٣٩ .

غرد فنور البعث من حولنا
فلترقصي يا شاة يا ديكنسا
غشى قرانا البعث بالشورة
يا كوخ، يا حقل، يا طفلي
ويتحدث « محمد الجيار » بأسلوب جميل وتصوير رائع عن الفقر والذل قبل
الثورة في اطار قصصى ذهبى فيقول :

وأذكر في أمسيات الحصاد
نسا القمح خجلان من جوعنا
وللبدر تهوية صاحبه
بأعواده أدمع راويه
لنم قد نما؟ والذي قد سقاه
وان نام تحت ظلال القصور
وقالوا أتسرق ظل القصور؟
للك القيظ في وحشة البادية
ويتساءل : من يسكن القصر الكبير سوى سارق لقمة الأطفال ، الذى غنى
وبكى الفلاحون ، صح ومرضوا ، اكتسى وعروا ؟

ومن عاش فيه سوى سارق
بكينا وقلنا له الأغنيات
يشدقيه لقمة أطفاليه ؟
مرضنا وقلنا له العافيه
غزلنا له القطن حتى اكتسى
ونحن كما عاش أجدادنا
عرايا .. على أرضنا العاربه
ويتطلع الى المستقبل البعيد الذى تسود فيه العدالة الاجتماعية التى تقضى على
الفروق الطبقيه كلها(١) :

وبعد انتصارى على الغاصبين
ستمشى العدالة فى أرضنا
أشق الطريق لاحفاده
توزع بسماها الناديه
تضاريس مجتمعى لن تكون
فلا ربوة تحتها هاويه
ولقد أصبح فلاح اليوم يعمل وهو أمل أن يرى ثمرة عمله بين يديه وحصاد
زرعه ملك يمينه وفى هذا المعنى يقول « كيلانى سند » مخاطبا محبوبته(٢) :

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ٦٢ قصيدة « الحرية بين
مهدين » ص ١٢ ، ١٤ .
(٢) انظر قصائد فى الثنال ص ٦٢ .

حبيبتى
أتذكرين حينما رأيتنى مبتللاً بالعرق
فقلت لى صارخة : لا تطرق لا تطرق
حبيبتى لا تقلقى
القمح فى بيدرتنا كشمعك المنسق
انا بذرتنا دربنا بالزنبق
ستبصرينه غدا خبيلة من عبق

ومن خير ما قيل فى وصف بؤس الفلاحين وفقدهم ووصفهم وصفا مفصلا
وبديعا ما كتبه الدكتور « عفيفى محمود » سنة ١٩٥٧ وهو فى الخارج يسأل عن
قرية وأهلها فى قصيدة « قرىتى » وفيها يقول واصفا أكواخ أهل القرية التى كانوا
يعيشون فيها على عهده قبل أن يغادروها :

أكواخك الدكنساء غادرتها تحبو على جدرانها الواهيه
منذ عرشنا سقفا لم تزل مأوى لأهل الدار والماشيه

ويتساءل ألم يزل أهلها على بؤسهم وفقدهم واستبداد العمدة بهم ؟ وأما تزال
شخصية « خضرة » الفلاحة ماثلة وهى التى تصحو مبكرة لتحمل الطعام البسيط
لأشباح الفلاحين الهزيلة فى الحقل وتملا جرتها لتسقيهم من ماء التربة الآسن ؟ :

أهلى أما زالوا على بؤسهم يستمرئون الأمن والعافيه
لا يطعمون اللحم الا اذا أصيبت النوق أو الماشيه
قد وكلوا الأمر الى عمدة دستوره أمية فاشيه
و «خضرة» العذراء .. هل لم تزل من حقلها لدارها ساقيه ؟
تجهز الخبز لجيش من الأشباح قد جافتهم العافيه
وتملا الجرة من تربة بالسقم لا بل بالردى جاريه

وبعد أن يسأل عن أقرانه : أما زالت أعوادهم ذاوية ، ينمو البؤس مع نموهم ،
ياكلون أردأ الطعام ، ويلبسون أخشن اللباس ، ويسعون الى الحقول خلف
حميرهم التى ربط البؤس والشؤم برباط الصداقة فيما بينها وبينهم ؟

يدعو لقريته أن تكون كما يشتهى وفوق ما يشتهى وقد لاحت بشائر الخير
فوزعت الأرض وحطمت الملكية وانتصرت بور سعيد على قوى الشر والمدوان
وأعيد بناؤها مرة ثانية^(١) :

ياقرتي كوني كما اشتهى وفوق ما ترجى المنى الغاليه
قد وزعوا الأرض على أهلها وحطسوا الملكية الطاغيه
وأذهلوا في بور سعيد الدني وأنشأوها مرة ثانية

ويصف « عطية جمعة هارون » الفلاح المصرى فيقول :

صامد للخطوب يقرع بالفأس وكالفأس ليس يعرف راحه
جيهة في الرغام تفترش الطين وروح قسوية طساحه

ولكنه مع ذلك ومع حبه للأرض وفرحته بالزرع والحصاد لا يجنى سوى
البؤس والنواح :

وأناه الحصاد فاهتز أشواقا وأحيا في نفسه أفراحه
وهو لم يدر انما العرق المصبوب أصحى للغبرخرا مباحه
فانزوى في الظلام يكي أمانيه ويجتثر بؤسه ونواحيه
عودته الخطوب أن يلحق الصبر وما فلت الخطوب سلاحه

وتقوم الثورة فتحمره من الطغيان وتقدم اليه عديدا من الخدمات
الاجتماعية^(٢) :

ثورة الشعب أرجعت عزة الشعب اليه وكرمت فلاحه
كرمته بالعلم والطب والنور فأتى ثماره ونجاحه
وتلحظ « روحية القليبي » أن الاشتراكية هي المذهب الاقتصادي الاجتماعي
الذي لم يرد للفلاح وحده حقه وانما رد لكل فئات الشعب حقوقهم - فتقول
مشيرة الى آثارها^(٣) :

(١) انظر ديوان « وطنى وحبي » ص ٢٧/٢٩ .
(٢) انظر مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية سنة ٦٢ ص ٩٣ ٩٤ .
(٣) انظر ديوان انعام حالة : قصيدة « في ظل الاشتراكية » و « عادت الارض »
ص ٧٦/٧٥ .

والاشتراكية السمحاء قد بعثت
لا فرق بين فقير أو ربيب غني
وعادت الأرض للفلاح صاحبها
والزرع مد زراعيه يحييه
سرخية الكف فاحضرت مزاعيه
لا شيء غير كفاح المرء يعليه

لقد أسمى ذل الفلاح وعبوديته أسطورة وأصبحت كرامته وحرية حقيقة بقيام الثورة وإعادة حقه وأرضه اليه . يعبر عن ذلك « محمود حسن اسماعيل » أصدق تعبير في قصيدته « ساعة مع الكوخ(١) » التي يقدمها بقوله « وعاد الى الكوخ .. فرأى ظلامه وأغلاله بقايا رفات على زوالها كرامة الانسان » ثم يقول :

سلاما تراب الكوخ ما عدت صاغرا
لصولة جبار ولا خطو جائر
تفجر فيك البعث من كل جانب
ودارت رحاه في الربى والمخاض
وما عاد ركب البنى يمشى كأنه
على وجهك المسكين رؤيا مجازر

وفي ثوب قصصى وبأسلوب أدبي رائع يصف « محمد فتوح أحمد » المأساة التي لم تكن مأساة فرد بل مأساة شعب ، مأساة الفلاحين جميعا وهم غالبية شعبنا المصرى الذين عاشوا حياتهم مستذلين ، مهددين اذا ثاروا بنهاية تشبه نهاية « عواد » بطل القصة الواقعية التي يتحدث عنها الشاعر في قصيدته « ثورة الأرض » فالناس في « كفور نجم » بسديرية الشرقية يذكرون ذلك الشاب القروى الذى قاوم ذات يوم أحد أمراء الاقطاع واذا هو جثة ممزقة برصاص الأمير الغادر وملقاة على قارعة الطريق .

فيصف شاعرنا أخلاق « عواد » التي أرضت الناس وأسخطت الطاغية :

كان « عواد » زينة الكفر لينا
وجيئنا منسورا وطلاقة
عاش لم يأخذوا عليه صفارا
أو يذموا في مرة أخلاقه
فاذا لاح هومت دعوات
وأشارت يد ورقت صداه

ويحكى عن أمه المعجوز التي هى في ميسس الحاجة اليه لانه ليس لها في الدنيا
سواه :

(١) انظر : أبعاد قائمة ص ٩٢/٨٥ .

يسمع الناس صوتها كل حين بدموع من الأسى رفاقه
يا الهى حنن عليه لضعفى لم يمد للكفاح يارب طاقه
ثم يصف الصراع فى نفس « عواد » بين عاطفته نحو أمه وواجبه نحو بنى قومه
من الفلاحين ، ولكنه يستمع الى نداء الواجب فيؤديه ويستشهد من أجله بل ويمثل
الاقطاعيون به :

عقد المزم ثم فى ذات يوم شهدت ثورة الصباح انطلاقه
قتلوه من قبل أن يخلد الليل اذابوا على الشرى أشواقه
يذكر الناس أنه ظل دهرا جيفة .. ترهب الدجى وانطباعه
حرموها من كل شئ وكانت كل شئ فى أرضنا الخلاقه

وتصبح قصة « عواد » تاريخا على الزمان يقرأ وقيره كعبة للأحرار تزار :
ان رماك الحنين فامرر على « الكفر » وشافه يا صاحبي آفاقه
وتخشع ازاء قبر صغير عقد العشب والتراب نطاقه

وتشمم هناك رائحة الحب فللحب فى التراب انبشاقه (١)
كان الفلاحون يثلون الشعب لانهم غالبيتهم ، ولذلك طال حديث الشعر عنهم :
أما العمال فلم تكن أعدادهم بالكبيرة لأن الصناعة قبل الثورة لم تكن مزدهرة ،
ولهذا كان الحديث عن العمال وبؤس حالهم مندرجا تحت الحديث عن الفلاحين
العاملين فى الزراعة .. ومع ذلك فقد اختصهم بعض الشعراء بالحديث منفردين كما
تحدثوا عن ثورة التصنيع .

يصف « محمد قرنه » حالهم قبل الثورة وبعدها فى قصيدته « أمس واليوم (٢) »
فيقول :

وجموع العمال مثل المبيد تحت ليل من الشقاء مديد
واذا ما شكوا من الذل أضحوا بين عان معذب وطريد
كم مضوا فى الظلام يهفون للنور وفى كهفهم جراح القيود

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع فى الاسكندرية سنة ٦٢ ص ١٣١/١٣٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٩ ، ٧٠ .

يقول د . « عفيى محمود » فى « تشيد للمصنع (١) » معبرا عن ثورة التصنيع
وأثرها فى تحطيم قيود الاستعمار وإشاعة الرخاء فى البلاد :

بالصلب والحديد
تحطم الاغلال والقيود
أغلال الاستعمار
قيود الاحتكار والحصار
ونصر الجمود
نشكل الحياة من جديد
فأرضنا تجود من قديم
بخيرها العميم
ثم يقول :
ستملا الفضاء والمكان
أعمدة الدخان
سنزرع الوادى مصانما
ولن نرى بين الربوع عاطلا أو جائما

ويقوم التنظيم السياسى : الاتحاد الاشتراكى العربى منذ عام ١٩٦٢ ليضم
قوى الشعب العاملة فى وحدة وطنية كبرى تدافع عن حق الشعب من الفلاحين
والعمال وغيرهم فى الحرية والكرامة الانسانية فيجيبه « أحمد عبد المعطى
حجازى » بقصيدة بعنوان « أغنية الاتحاد الاشتراكى العربى » - يقول من
الشعر الحر (٢) :

كن لى عائلة
يا حصن الفلاحين الفقراء

(١) انظر ديوان « وطنى وحبى » ص ٢١ .
(٢) انظر لم يبق الا الاعتراف ص ٨٢/٨٠ .

كن لى عاصمة
يا بلد العمال الغرباء
كن لن سيفاً وحصاناً ونشيداً
لو ظهروا فى الليل يتادون الأسياء
ويسوقون الى الموت الشعراء
(ب) العطف على آلام الشعب النفسية :

وكما خاض الشعر معركة الفقر ونادى بإصلاح الحالة الاجتماعية وتقريب
الفوارق بين الطبقات وكان له مع الفلاح المصرى - ممثل الفقر والأغلبية -
جولات وجولات .. خاض الشعر معركة الألم النفسى الممض الذى يصيب بعض
أفراد الشعب نتيجة لظروف اجتماعية معينة .

ومن خاض هذه المعركة وجلي فيها شاعر شاب هو « محمد أحمد العزب » ومن
ذلك ما قدمه هذا الشاعر من قصائد أربعة فى أعوام أربعة متتالية هى أعوام ١٩٦٠،
٦١ . ٦٢ ، ٦٣ ونال بكل منها الجائزة الأولى فى مسابقة المجلس الأعلى لرعاية
الفنون والآداب .

والقصيدة الأولى بعنوان « بلا صدى (١) » وهى تعالج موضوعاً إنسانياً يصور
امرأة عاقراً يئن صدرها حينئذ إلى الأبناء وهو يقدمها بقوله « هى رعشة أنين ندت
عن صدر أنثى معذبة تعيش من حرمانها الضارى فى ليل طويل » . وفيها يقول
بلسان البائسة الحائرة :

جن المساء ولم أزل حيرى على الدرب البعيد
أتمسك الدفء الحنون يشع من عيني وليد
جن المساء ولم يزل مهد الصغير بلا صغير
لا شئ غير حطام أمنية هناك .. على السرير
وطيئوف آمال مبعثرة على المهد الوثير

(١) انظر : أبعاد غائمة ص ٨٥/٩٢ .

وتساءل حائرة مستنكرة :

لم لم آكن أما .. أرقص مهد طفلى فى مراح ؟
وأهزه حتى ينام معطرا برؤى الصباح

والقصيدة الثانية بعنوان « بائمة اليا نصيب (١) » وهى صورة أخرى من صور
البؤس والشقاء لفتاة تبيع النصيب ولا نصيب لها وتوشك أن تبيع للناس غيره :

تبيع اليا نصيب ولا نصيب لها وتنطلق
وتوشك أن تبيع سواء راغمة وتحترق
فخاف جدار بسمتها يصيح الجوع والأرق

ويصف حديثها لنفسها فكم يحدث البائسون أنفسهم لان أحدا غيرهم
لا يعطف عليهم حتى بالحديث اليهم - ثم يقول :

فتاتى .. قصة أغفى على أهدابها التعب
حديقة سوسن عذراء أحرقت فجرها اللهب
وفاحت فى روايبها الكروم وأطرق العنب

والقصيدة الثالثة بعنوان « خواطر عانس » . والعانس التى ترجو زوجها
كالزوجة التى ترجو ولدا ، كالتاهما تمنى الفقر وكلتاها تأمل وتنتظر . ولعل هذه
المشكلة الاجتماعية الجديدة التى يصورها شاعرنا تكون أشد قسوة على نفوس
أصحابها فى مجتمعاتنا الشرقية عنها فى المجتمعات الغربية لان النساء فى المجتمعات
الغربية يعملن ويخالطن الرجال ويتلهين بعدد من وسائل الالهة ويعلنن من غرائزن
وبخاصة ما ليس ممكنا اشباعها بالطريق الطبيعى كغريزة الأمومة هذه .

يقول « العزب » بلسان تلك المعذبة وهى تخاطب فارسها الموعود ومتعطشة
الى لقاءه (١) :

(١) أبعاد غائمة ص ٣٦/٣١ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٤/٥٦ .

فارسي الموعود .. يا حلمي ويا فجرى الظمى
أذرعى تدعوك من خلف الضباب المعتم
الذى أشتاقه أن تطرق الباب وتدخل
باحشا عنى .. عن الكرم الذى أو شك يذيل
لا تدعنى أقطع العمر سؤالا .. ما سئلت
فأنا أنثى عشقت الحرب .. لكنى حرمت

وأما القصيدة الرابعة فيعنوان « مذكرات نشال سرق شاعرا » وهي تصور رجلا بأنا نشأ فعرّف أنه لقيط لا يعرف له أب أو أم . ويصور الشاعر هذه المأساة تصويرا جيدا حين يقول(١) :

وحين تفتحت عيناي حين تكاملت ذاتي
وعيت حقيقتي .. فدفتت في دمي اكتساباتي
وكنت اذا أضاء الصبح وافترت حواشيه
أحدق في الزحام عساي أبصر والدى فيه
وأمى .. كنت أبصرها هناك على مدى التيه
وأدنو منها .. فأرى ضبابا كنت أبنيه
فأصرخ : لا .. أنا أصداء صوت مات حاديه

وللشاعر غير هذه القصائد الأربعة قصائد أخرى بديوانه تعرض نماذج بشرية تعاني من القلق النفسى أكثر مما تعاني أو يعاني غيرها من الفقر المادى(٢) .
ولا شك أن عاطفة الشاعر قوية ، واضحة في القصائد التي عرضناها . ولو أسعفه التعبير الجيد قدر ما أسعفته العاطفة لكان أقوى أسرا وأشد سحرا وأعظم

(١) أبعاد غائمة ص ٤٣/٢٧ .
(٢) انظر المصدر السابق : قصائد : « رحلة صياد » ، « وصبى الكواء » ،
و « الخادمة وفستانها الجديد » و « مشردون » و « غريب على الطريق » و « قتلوه »
و « ومات يوما » .

أجرا . ولكن الذى يشفع له أنه شاعر فى أول الطريق ومجال التجويد أمامه رجب فسيح .

وكم جاء الشعر قديما وحديثا بالرائع فى « اليتيم » ودعا الى العطف عليه والابتعاد به عن الانحراف والأخذ بيده الى حيث الحياة الكريمة . ومن ذلك ما قاله « محمد مصطفى الماحى » فى قصيدته « اليتامى (١) » .

فى مصر صرعى بكأس الهم لم يجدوا قوتا فأصبحت الآثام همهم
لم يذنبوا غير أن الهم طاردهم بويله وطريد البؤس منهزم
ثم يقول :

يا أهل مصر دعوناكم الى عمل يرجى به الأجر والشكران فاغتنموا

(ج) العلم والتعليم :

لقد كملت الدولة للطلاب حق التعليم بالعدل والتكافؤ فجعلته مجانا والزاميا فى المرحلة الابتدائية وجعلته بالمجان فى المراحل الأخرى كلها حتى فى التعليم الجامعى ، ولم تضع غير شرط عادل للحاق بالجامعة وهو الجهد العقلى والتفوق الذهنى والحصول على مجموع مناسب . فكل طالب يجتهد يجد مكانه محفوظا وتعليمه مجانا وفرصته متاحة ، فالمجتمع الاشتراكى وان كان بالحق مجتمع الخدمات فانه بالواجب مجتمع العمل .

تقول « سميرة ابراهيم زيدان » مشيدة بالعلم فى الحرب والسلام داعية اليه قومها العرب (٢) :

للعلم فى ساحة الميدان أسلحة أشد فتكا من الصاروخ والذهب
فيا بنى العرب أولو العلم همتمكم ولا تضنوا على التعليم بالذهب
هذا زمان سمت فيه العلوم الى مكانة المعجزات الفر فى الرتب
قد صير البحر قنا تحت رايتها وصير الناس ركبانا على السحب

(١) أنظر ديوان الماحى ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
(٢) مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية سنة ٦٣ : قصيدة يا دولة العرب ص ٥٤/٥٢ وقد فازت بالجائزة الثانية .

قالوا استقلت بلاد العرب قلت لهم من ثورة العلم لا من ثورة الغضب
فالعلم للشعب في يوم السلام هدى وفي الخطوب قذيفات من اللهب
ويخاطب صالح جودت الاسكندرية متحدثا عن تأميم العلم (١) :

ثبنا اليك وصلينا لجامعة العلم فيها حلال سائق مرء
ما أخلق العلم بالتأميم في زمن عدل يؤم فيه الماء والكلأ

ولاهتمام مجتمعنا بالعلم ، جعل له يوما كل عام يحتفل فيه المواطنون به
ويكرمون أصحابه وسموا هذا اليوم « عيد العلم » . وكم أشاد الشعراء بهذا
العبد ، ومن بينهم « العوضى الوكيل » الذى يقول فى قصيدته « عيد العلم » بعد
أن يشيد بناضى أجدادنا العرب فى نشر نور العلم على العالم الذى كان يعيش فى
ذلك الوقت فى « حالك الظلمات » يقول مشيدا بحاضرنا فى هذا المجال (٢) :

فمن مبلغ الأيام عنا رسالة بأنها صحونا من عميق سبات
وأنا نهضنا للمعالى وأتينا اقتحمنا جباه الأسد فى الاجمات
ومن يعتصم بالعلم فيما يريد مضى غير مثنى عن العزمات

ويحس « محمد هارون الحلو » بحق المعلم الضائع اذا قيس بغيره ممن
يعطون عطاءه فى الحياة كيفما وكما ، وهذا شأن المعلم دائما وفى كل مكان
- كما يقولون - فيدافع عنه فى قصيدته « حق المعلم » ويقول (٣) :

لا تبخسوا حق المعلم انما مجد البلاد على يديه يقام
كم بالحمى غرس نما فى ظله كم أينعت وتفتقت أكمسام
لولا هداه لما تهادت رحمة فى العالمين ولا أقاء سلام
ان الذى يبني الخلال كريمة لجزاؤه التجليل والاكرام

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ٦٢ قصيدة ميناء الثورة
ص ٥٦/٥٤ .

(٢) انظر : ديوان « شفق » ١١٦ ، ص ١١٧ .
(٣) انظر ديوان « مزامير » ص ٣٧٤ .

(د) عادات وتقاليد وعيوب اجتماعية :

ومع التقدم المادى الذى وصلنا اليه والتعليم الذى اكتسبناه فان عادات كثيرة سيئة وتقاليد بالية قديمة لا تزال تضرب بجذورها فى عقول قومنا وقلوبهم . وقد أدى شعرنا الجديد دوره فى كشف تلك العادات المرذولة وتعرية تلك التقاليد المستقبة التى لا تتفق ووعينا الجديد وعالمنا المتحضر .

ويعرض « كيلانى حسن سند » صورة من صور الكذب والنفاق الاجتماعى صورة عدم الاكتراث بموت سيدة لأنها فقيرة فى الوقت الذى تحتضر فيه سيدة تنتسب الى بعض الأمراء فاذا الأطباء من حولها يحقنونها بالدم ، وشيوخ ذوو لحي يتهلون الى الله بالدعاء أن يكتب لها الشفاء ، ثم تموت فتلبس القرية عليها ثياب الحداد ويرفع على قبرها شاهد تكتب عليه عبارات ثناء والعجيب ان هذه السيدة الثرية التى يبدل لها كل هذا الاهتمام لم تكن فى حياتها بالسيدة البارة .

فيقول عن السيدة الأولى (١) :

جاءت فى ذات مساء	ومضت فى ذات مساء
مرضت أياما وارتحلت	لم تشرب ملعقة دواء
رحلت لم يدر بها أحد	من يدرى موت الفقراء
فى الفجر انتظرت يقظتها	- كالعادة - بعض الأشياء
القطعة وصغار طيور	كانت تأنيها بئذاء
فكأها الطير بزقزقة	وبكتها القطعة بمواء
كانت كثير فى القرية	مصباحا خابى الأضواء

ويقول عن السيدة الثانية :

فى الليلة ماتت سيدة	تنتسب لبعض الأمراء
عاشت ما عاشت ما وضعت	لبسات فى أى بنساء
ما غرست بضع شجيرات	للمجهد بين الصحراء
حتى فى الموت منعمة	تلبس مختلف الأزياء

(١) انظر ديوان فى العاصفة : قصيدة ذات ليلة ص ٤٢/٤٠ .

وطيب يحقن ساعدها
وأوان مسألئ وأوان
ولحى تهتز بأدعية
ماتت فالقصرية قد برزت
ووفسود تذهب ووفسود
وارتفع على القبر عمود
ماتت من حجت ، من زكت
بجياة أوف ، بدماء
قد كانت ملأئ بدواء
أدعية تنلى لشفاء
بشباب حداد سوداء
تقبل بعيون بلهاء
أبيض مكتوب بضياء
من كانت أم الفقراء

* * *

وفي كل مجتمع تظهر طائفة من الانهزاميين المتخلفين الذين يبثون الرعب ويسلون
النفوس بالشك والارتباب في كل ما يعمل وما يقال ، فيطلقون الاشاعات والاراجيف
معبرين عما تمتلئ به قلوبهم من حقد أسود على الناس والحياة والنظام القائم
حتى لو كان ثوريا .

ومن هؤلاء أولئك السودادبون الذين لا يعرفون للحياة لونا الا السواد ولاطعما
الا المرارة ولا رائحة الا الفتن ، فاذا الحياة في نظرهم جحيم لا ترف عليه نسمة
والأحباء في رأيهم ذئاب ليس من بينهم الراعى الصالح كما قال جدهم العربى
القديم :

وليس فيهم من فتى مطيع فلعننة الله على الجميع

وهؤلاء مثلهم كمثل الأجرب ، يعدون بأفكارهم الانهزامية لأنهم لا شك
واجدون عند كل انسان ما يسهل له وما يحزن ، ما يفرح به وما يأسى ، فاذا ضربوا على
الوتر الحزين الآسى ضربوا على وتر في النفس حساس فأورثوا اليأس وولدوا
الفتنوط وحولوا الطاقات المنتجة العاملة الى طاقات معطلة مهمة .. ومن هنا كان من
خصائص الأدب الاشتراكي روح التفاؤل التى تسوده رغم ما قد يعرضه من صعوبات
الحياة وما سببها . ومن هنا جاءت قصيدة « نجيب سرور (١) » « حفنة دموع » تشير
الى بعض آراء المتخلفين الانهزاميين فى الحياة وتحكم على هذه الآراء وأصحابها
بالاحتقار والشبور ، وترى أن البقاء للرأى القائل بجمال الحياة ووضاءتها وفيها يقول
بعد أن سجل خواطره الحزينة فى بداية القصيدة :

وسرت بالسؤال فى الصباح والمساء

(١) انظر مجلة الأدب : أكتوبر سنة ١٩٥٥ .

أسائل البشر
فقال ذو العمامة الكبيرة الرزين
وألغز الجواب
« حياتنا غرور »
وربنا القدر !
وبسمل الرزين
ومط لحيته
وقال ذو الكتاب والدواة والقلم :
« حياتنا كتاب
مطلسم الحروف
مطلسم الجواب !
وقال لى الصانع مازج الخمور :
« حياتنا ألم
دواؤنا الكئوس »

* * *

ويشرق بالنظرة الوردية المضيئة لمعنى الحياة فيقول :
ومات ذو الكتاب والرزين
ومات ذو الدنان
وأمى الحنون
ظفرت بالجواب :
« حياتنا امتداد
نعيش فى البنين
كرحلة الضياء فى الشموع
نعيش فى الجموع

ولا يقف عند تحديد دور الانسان فى الحياة أن تكون حياته امتدادا فيعيش فى
البنين ويعيش فى الجموع بل يتعدى ذلك الى ذكر ان واجبه أن « ينشر الرجاء

ويوقظ الحياة » :

وطفت بالنشيد أنشر الرجاء
وأوقظ الحياة في العيون
واقفح الكهوف والقبور
وأبعث الرمام
بلحنى الوضىء

وتهاجم « جلييلة رضا » زوجة هجرت زوجها لتحب غيره ، وتصف ندمها بعد أن أصبحت حطاما (١) :

أسميت في عين الصديقات القدامى مجرمه
وعلى جبين أبى بدوت حفائرا متفحمه
وبناطرى أمى خيالا من قبور مظلمه
وبخاطرى طفلى ذكرى صورة متشمسه
من أى شىء قد خلقت ؟ ومن أنا ؟ أنا مجرمه
أنا مجرمة ، أنا مجرمة

ومن مبادئ الحياة العصرية ومساخرها ما نراه من موجات الاستهتار الخلقى في مجتمع الشباب ومحاولاتهم المستمرة لايقاع الفتيات في شرك حبهم وانخداع الفتيات بالفاظهم المعسولة وأساليبهم في الخداع والاغراء يدفعهن الى ذلك لهفتهن على الزواج ثم يكتشفن بعد ذلك أن الأمر لم يكن الا محض عبث وأن الهدف ليس أبعد من التلهى والمجون :

وفي قصيدة « مجاهد عبد المنعم مجاهد » « عشاق المدينة » تسجيل لما يجرى في المدينة بين الشباب والشواب من اتصالات وما تلقى الشواب من خداع الشباب وفيها يجرى الحديث بين أختين خدعتهما عاشقان من أولئك العشاق المزيفين :

تقول احدى الأختين للآخرى محدثة اياها عن عاشقها الذى غاب منذ شهر بعد أن واعدها على اللقاء في الغد وتركها تشكو عذاب الحب وقد كانت الأثيرة لديه أو هكذا زعم :

(١) انظر قصيدة « المرأة والحب » ص ١٤٤/١٤٧ .

شهرًا غاب
يا أختي شهرًا غاب
وحبيبي قمر من غير سحاب
قولني لم لم يشرق في قلب الباب ؟
فلقد ذوبني لما ذاب
وسقاني من عينيه الأكواب
وأنا كنت الحلوة في عينيه
كنت حديثًا في شفثيه
سب بأذني نهر عسل
وبقلبي احتل
عرشا ذهبي الأركان
وأنا كنت أراه بكل مكان
في شعري ، في مرآتي ، في الأحمر ، في الفستان
ولآخر مرة
كسرتني في شفثيه المجنون
ولقد قال أراك غدا
ولقد ألقى للجرسون
بحساب القهوة والشاي
ومضى ولقد خلفني لمناي
قولني .. يا أختي قصي .. لم غاب ؟
شهرًا عني .. عني غاب
وأنا كل مساء أفتح لحبيبي الباب
قولني ترى سيمود ليشرق في قلب الباب ؟
صمتت وأجابت كبرى الأختين :
« وأنا مثلك لي قمر من غير سحاب

من عام غاب ..
لكن حبيبي لم يدفع ثمن القهوة والشاي
فالآن

يا أختي ردى .. ردى يا أختي الباب (١)

وهي أقصوصة شعرية جميلة ، عباراتها خفيفة لطيفة وأسلوبها سهل ميسر وموسيقاها من بحر المتدارك رشيقة وهي « تكشف عن لهفات الشواب وما تؤدي بهن إلى صلات مع الشباب المخادعين وما تفعل هذه الفراير بهن وهم يرشفون رحيق ورودهن ويطيرون إلى ورود أخرى ! وتضمن هذه القصيدة معاني أخرى وهي ذبيح الوفاء والشرف في المجتمع المنحل (٢) .

ويسخر د . « عفيفي محمود (٣) » من خدعة السيدة « أنا أرسلان » في نهاية الخمسينات بقدرتها على إعادة الشباب للشيوخ بدواء « هـ - ٣ » وانخداع عدد كبير بها واعتقادهم بصحة دوائها كما اعتقدوا بصحة غيره من العقارات لهذا الغرض وغيره مما يتعارض مع سنة الحياة .

فيسخر من تلك العجوز التي لم تعد باكتشافها شابة وكان أولى بها أن تبدأ بنفسها :

ان التي قد ركبتك بعد طول درسها ويحثها تهدي إلى الناس ثمار غرسها
عجبت كيف انها لم تبتدى بنفسها أم يا تراها لا تحن مرة لأمسها ؟
ويهاجم د . « عفيفي محمود » سلبية رواد المقاهي الذين يضيعون الوقت فيها
اما متندرين بالنواتر والنكات البذيئة أو مطلقين للشائعات مشنعين على الناس
أو لاعبين لألعاب الحظ - فيقول :

فوق الرصيف

يرقص رواد المقاهي في بلادى بالألوف

يتندرون ويضحكون على البذء من النكات

ويشنعون على العباد ويطلقون الشائعات

(١) أنظر مجلة الآداب أغسطس سنة ١٩٥٧ .

(٢) مصطفى السحرتي : شعر اليوم ص ١٠٦ .

(٣) أنظر ديوان وطني وحبي : قصيدة « هـ - ٣٠ » ص ٤٨/٤٥ .

ثم يهاجم سلبيتهم فيقول :
الناس قد خاضوا غمار معاشهم يتصارعون
وهسو على شط الحياة توقفوا يتفرجون
وينسب هذه الآفة الاجتماعية الى الاستعمار الذى عرف « أنا شعب خيالى »
نفضل اللهو عن الجد فأقام الملاهى والمقاهى و « البارات » :
عرف الأجانب أننا شعب خيالى ظريف
ان الملاهى عندنا شئ أهم من الرغيف
فأتى « مخولى » و « ستفان » وكل أفاق وضائع
وأقيمت « البارات » كالشارات تدمغ كل شارع
ويعنى ان لو كانت هذه المقاهى حدائق للزهور أو ملاعب للأطفال
أو مساكن للفقراء .

يا ليتها كانت حدائق أينعت فيها الزهور
يا ليتها كانت ملاعب أو مساكن للفقير^(١)
ومن بين عاداتنا الاجتماعية التى جاهد المفكرون والشعراء فى محاربتها
الزواج الذى لا يراعى التكافؤ العبرى بين الزوج والزوجة بغية الثراء :
وهذا « محمد عادل سليمان » فى قصيدته « الخريف .. لا^(٢) »
يقدمها بقوله : « صبية فى عمر البرعم .. تشتاق الى غضارة الربيع .. بينما
يريد أبوها أن يزفها الى ثرى كهل فى جفاف الخريف » !
وتتحدث الصبية فى القصيدة عن رأى أبيها فى أن تكون « زهرة بلا مطر »
و « نغمة بلا وتر » أن تكون « لطاعن مص الزمان عبيره » « هدية عذراء »
« لأن نلغف بابه يرفرف الثراء » .
ثم يعرض رأيا فى براءة وسذاجة ومنطق بسيط يناسبها :

(١) انظر ديوان وطنى وحبى : قصيدة المقاهى ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) انظر مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية سنة ٦٣ ص ٥٨/٥٥ .

لو كان في قصوره النعيم والخيال
ورفرت من حوله ملاعب الظلال

لو كان خلف بابيه خزائن لا تنتهي
ومد في الحرمان - لي خريفه . . لا اشتهى

فانسى وهيت كل برعهم في جنتسى
لعاشق أحبه . . أحب فيه غربتسى
ثم تنادى عاشقها على البعد متلهفة على العيش معه في أى صورة تناديه لينقذها
م.ا.مى فيه من عذاب آملة أن يتم بينهما لقاء حبيب :

يا عاشقى الصغير . . أنت واحتى السخيه
وأنت ملء عشنا خزائنى الغنيه

لو بيتنا الصغير من ضفائر النخيل
وكان قوت يومنا عشباً من الحقول

فانسى أهواك أشتهى ربيعك الندى
وأشتهى على يدك جنتسى ومعبدى

لو أئنى عرفت أين أنت . . خلف أى باب
يبحث عنك فى المدى . . يبحث فى السحاب^(١)

وتصف « جليلة رضا^(٢) » بعض عادات الطبقة الدنيا فى المجتمع ، فتصف
ما يدور بين زوجين متخاصمين من الدهماء من سباب حاشدة الكثير من التعابير
البلدية خالعة على كلامها ثوب الفكاهة فى قصيدتها « الصلح خير » :

(١) أنظر مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية سنة ٦٣ ص ٥٨/٥٥ .
(٢) أنظر ديوان الاجنحة البيضاء ص ٨٦/٨٤ .

لا تتبع خطوى لا تأت
أبدا لن أرجع للبيت
سأضم البنت الى حضنى
هى بنتى لن تبعد عنى
وسأعرف كيف أقاضيك
وأهدم كل أمانيك
وسأقضم ظهرك بالنفقه
أبدا لن تأخذنى شفقه
يا خائن يا ناسى العشره
ما ذنبى كى تجلب « ضره »

ثم تقول الزوجة مؤثرة العمود بمد هذه المشادة على الانفصال حتى
لا تسمت بها عدواتها :

الناس عيون تأكلنا
وامرأة ترقب ظلينا
خلف الشباك « المردود »
وحياتك لم أنس عهدى
فاسبق وتسلل فى صمت
سأعود اليك . . الى البيت

ويجىء تعبير « د . د . عفيفى محمود » مع واقعيته أكثر فنية لأنه أقرب الى
الفصحى من تعبير « جلييلة رضا » .. وذلك حين يصف ما شاع فى بلادنا فى فترة
من الثورات من تهافت الناس على تحضير الأرواح بالسلة ، فى أوائل عام ١٩٦٠
انصرف أكثر العامة بل أكثر المثقفين فى البيوت وفى المصالح الحكومية وفى كل
مكان الى محاولة تحضير الأرواح - كما يدعون - أثر ما نشره «أنيس منصور» (١)
عما يحدث من ذلك فى الهند كما شاهدته فى رحلته إليها .

(١) صحفى مصرى كبير معروف .

فيذكر « د . عفيفي محمود » أن هذه الحصى قد اجتاحت وطنه فاذا كل المواطنين يتركون من أجلها أعمالهم وهوأياتهم ، واذا في كل مكان :

يتجمع أفراد « الشله » حلقات من حول السله
ويكشف الخداع فيما يقال من حضور الروح وكلامها فيقول :

وتكل الأيدي والأذرع وهنالك ترتعش الأصابع
بالطبع فتتهتز السله فيهلل أفراد « الشله »
- الروح ! الروح لقد حضرت من بين الخوص قد انحشرت !
وتتم لقاء الأحياء ويدور سؤال وجواب
وتروح الروح المزعومة تجرى في الأوراق وتنبش
بسطور ليست مفهومة الا للقطب « المتدروش »

وينبه الى أنه ما كان ينبغي لنا أن نلجأ الى وسائل الشعوذة القديمة ونحن في عصر الذرة .

والروح الشريرة تسخر من هذا الجهل المتحضر
في عصر الذرة والصاروخ والاقمار وغزو المريخ(١)
وينبغي علينا أن الدنيا كلها تبحث عما يفيد ونحن - وبلادنا بلاد الحكمة -
نشتغل بالدجل وتحضير أرواح الموتى :

في كل مكان متحضر علماء تبحث وتحضر
وهنا في أرض الحكماء قد هجر العلم والعلماء
وانسلخوا عن دنيا الأحياء وصاروا عنها في شغل
بتصيد أرواح الموتى وبقية ألوان الدجل(٢)

(١) في البيت كسر واضح .

(٢) انظر ديوان « وطني وحيي » : قصيدة « تحضير الارواح » ص ٣٨/٣٥ .

وهذا الأدب الركيك غير صالح الا في هذه المواضيع الساخرة الفكاهية ولهذا قبلناه وعرضناه هنا في موضعه .

(هـ) الارتباط بالأسرة :

كان النظام الفردي الرأسمالى قبل الثورة يتمثل في الأسرة كما يتمثل في الدولة ، فكان الحكم في الأسرة فرديا ديكتاتوريا . رب الأسرة فيها هو صاحب الأمر والنهى بل هو الشبح المخيف لكل أفرادها ، والكل يرهبه ويخشاه . وقد كان هذا الأسلوب ينعكس على بقية أفراد الأسرة ، فالكبير يتسلط على الصغير ، والقوى يتحكم في الضعيف ، ولذلك كادت حقوق المرأة كلها تضيع . والذي لا شك فيه أنها لم تكن تتعلم كالرجل أو تأخذ حقها في العمل مثله ، وانما كانت ترسف في أغلال الجهل ، وتقع في قعر الدار .

ومن هنا كان مركزها الاجتماعى منحطا ، ولم يكن لها رأى في الناس والحياة ، يسمع له أو يؤبه به فاذا ما جاءت الثورة قدرت المرأة لدورها في الحياة ، ولأنها نصف المجتمع ، ثم لأنها من قبل ومن بعد انسانية لها كافة الحقوق الانسانية . فمنحتها كل الحقوق التي تكفل لها أن تعيش حرة كريمة جنبا الى جنب مع الرجل ، فعلمتها وأشركتها مع الرجل في العمل وأقعدتها - بكفاءتها - في مقعد الرئاسة بل قلقتها - لتفوقها - مقاليد الوزارة .

يقول الميثاق الوطنى معترفا بفضل المرأة والأسرة داعيا الى الاهتمام بهما ليتمكننا من أداء رسالتيهما : « ان المرأة لابد أن تتساوى بالرجل ، ولا بد أن تسقط بقايا الاغلال التي تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية في صنع الحياة . ان الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ، ولا بد أن تتوافر لها كل أسباب الحياة التي تسكنها من أن تكون حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه متحركة بالمجتمع كله ومعه الى غايات النضال الوطنى(١) » .

ويجيب « محمد عبد الحليم العفيفى » زوجته بالأبيات الرقيقة الآتية فننظفها من قصيدة « زوجتى » فيصفها بالأمانة والوفاء والرضا في النعماء والبأساء والجمع بين رشد الرجل وأنوثة النساء :

(١) الباب السابع من الميثاق الوطنى : الانتاج والمجتمع .

أزول الرحمن في قلبى السكينه
ممرت البأساء والضراء بى
تكتسم الهم ولا تزعجنسى
تنشر البشرى وتطوى جهدها
جسدا أنشى وعقل رجيل
ويقول « محمد سلطان المراكبي(٢) » محيا أمه في عيد الأم(*) ذاكرا أنها
طلما تعبت لتعبه وقابلت غضبه بالابتسام وزلاته بالففران وهى تبع حياته
« فلولاها ما كان في الدنيا بانسان » :

في عيد أمى وفي آفاق روضتها
حملت قيثارتي في عيدها بهجا
لو أن هما عميقا بات يثقلنسى
أماه أنت حياتى ، أنت منبعها
لولاك ما كنت في الدنيا بانسان
وكم ذا الذى قيل من شعر قديم وحديث في الأم فهى سر الحياة ومثال
المطف والحنان ونموذج الحب والوفاء . يقول شاعرنا الجديد « سعد دعبيس »
في نهاية قصيدته « تمثال أم(٣) » :

من دموى في طريق الشوك في بحر الدماء
صفت تمثالك في أعماق شعرى وغنائى
وستبقيين به نبغ خلود وبقواء
فأغائى الحب أقوى من أعاصير الفناء

(١) انظر ديوان « أغائى انسان » ، ص ٣٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٩ .
(*) الاحتفال بعيد الأم يجرى كل عام في ٢٣ من مارس .
(٣) انظر تقويم الشعر السنوى الخامس ص ٤٧ ، ٤٨ .

وتقول « روحية القليني » تخاطب أمها في قصيدتها « أمي (١) » :

أماء أنت سعادتي وهنائي ورضاك في دنياي كل رجائي
كم تضحيات قد بذلت لأجلنا وسهرت تحتلمين كل عناء
يا أم أنت قصيدة يحلو لنا ترديدها صباحا وكل مساء
الناس تبذل في الحياة لعناية والعناية المثلى لديك هنائي

و « كمال نشأت » شاعر أبدع في شعر الأسرة ، ومن أشهر قصائده فيها قصيدة « نامت نهاد (٢) » وهي من الشعر الحر ، ومنها قصيدة « العودة » وهي من الشعر الموزون المقفى ، ويطلعنا فيها على ما يملأ قلبه بالبهجة والايأس في بيته من « قطة المكار » « لساعة الحائط » « لمنحى الردهة » - يقول في هذه القصيدة :

بيتي اذا عدت أرى ما به يهش بالايأس والبهجة
من قطه المكار يصحو اذا تبين الاصداء من خطوتي
لساعة الحائط للمنحنى في الردهة الزرقاء للهدأة
أرى حياتي فيه قد لونت أصباغها من قلب محبوتي
فكفها قد طرزت عيشتي بالحب والفرحة والنعمة

ويقول « محمد مصطفى الماحي (٣) » في قصيدته « بناتنا الأمهات » مخاطبا ابنته « وداد » ابنته الصغيرة التي صارت أما وناءت بأعباء الأمومة وتكاليفها المرهقة وهي في فجر الشباب مما رقق قلب أبيها الشاعر عليها . يقول بمبارات سهلة وموسيقى خفيفة وقافية جميلة :

وداد يا بسمة الزمان وراحة النفس والجنان
ومصدر النور في فؤادي ومبعث الصدق في يياني
عرفت منك الوقفاء طبعا مجسما فيك للعيان

(١) انظر ديوان « همسة الروح » ص ٧ وانظر قصيدتها « أماء » في الديوان نفسه ص ٦٧ وانظر جلييلة رضا في قصيدتها « عيد الأم » بديوان الاجنحة البيضاء ص ١٦٠ - النج .
(٢) انظر ديوان « انشودة الطريق » ص ١١/٧ .
(٣) انظر ديوان الماحي ص ١٥٢ و ٥٠٠ محمد عبد المنعم خفاجي في « الشعر والتجديد » ص ٥٣ ، ٥٤ .

وهناك قصائد كثيرة في شعرنا الجديد تصف حذب الآباء على أبنائهم وبناتهم وعطفهم الشديد عليهم .

وتجيد شاعرنا في هذا الباب حين يسبغ على أبنائهم وبناتهم من حنانهم ، ومن أمثلة ذلك ما قالته « شريفة فتحي » في قصيدتها « أنشودة أم لطفها » ومنها (١) :

نم يا حبيبي في رضا وأمان سهرت عليك عناية الرحمن
تبنى البلايل للصغار مهودها بالقش بين سواعد الاغصان
وجعلت نهدك في حنايا أضلعي وفرشته بمحبتى وحناني

(و) الاشادة بالمصلحين الاجتماعيين :

وقد تمثل الاصلاح الاجتماعى فى عهد الثورة فى شخص « جمال عبد الناصر » الزعيم السياسى والمصلح الاجتماعى وقائد الثورة ورئيس الجمهورية وما أكثر ما أشاد به الشعراء فى هذا المجال .

يتحدث « على الجندى » عن « عبد الناصر » وما صنعه فى التحول الاجتماعى للبلاد بأسلوب عربى رصين(٢) :

جمال العروبة رمز السلام وحاميه معجزة الأدهر
معيد الحقوق الى أهلها ومغنى أخى العيلة المعسر
ومنصف كل غبين الحظوظ ومعدى المتل على المكثر
وجابر كل مهيض الجناح اذا هم بالنهض لم يقدر
وناصر كل ذليل مضيم اذا أورد الأمر لم يصدر
وبان لأمته سؤددا أناف على فلك المشتري

(١) أنظر : ديوان « فهب وأمواج » ص ٤١/٣٧ .

(٢) مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢ قصيدة يقظة الفجر ص ٨٦/٨٢ .

ويقول « سيد أحمد حسن الطوابي » بعد أن يصف حال البلاد قبل الثورة
وتنهف الشعب على المنتقد :

وزاغت عيون وضافت صدور
أجيب الدعاء ووحان القضاء
فما هي الا ليال ثلاث
وحسبك بالسد من وثبة
رمال الصحارى ستغدو جنانا
مداخن ترفح فوق السحاب
الى الله تجأر اين الوليد ؟
وجاء « جمال » كقصف الرعود
ويقذف في البحر هذا الطريد
تبشر قومي بمهد جديد
لتنبت شهدا وحب الحصيد
ففى كل يوم بناء عتيد (١)

ويشيد « عباس ناصر خليل » « بعيد الناصر » لاستنقاذه الشعب من البؤس
والياس في قصيدة « بطل الثورة » :

جئت يا ناصر الضعيف فأعليت ذراه وجددت بالأمم داد
فاستحال الفقر الجديب رياضاً
وشهدنا في الكهرياء وفي السد
وأعاد التاريخ في عهدك الزاهر مجد الآباء والأجداد
واجتئينا من ثورة الجيش
في الحديد العتيد والذهب الاسود
ونعمنا بالعيش رغدا هتيا
بعد جهد مضم كخرط القتاد (٢)

ويقول « أحمد عبد المعطى حجازى (٣) » في « عبد الناصر » :

أكثرنا حزنا ، أكثرنا تفاؤلا ، أبرنا بنا
أحن من صافي الندى على الشر
حصانه أحلامنا
كر وفر في السنين
وسيفه أحزاننا
يا هول غضبة الحزين

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع قصيدة « مصرع الانقطاع » ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ٦٥ ، ٦٦ .
(٣) انظر « لم يبق الا الاعتراف » ص ٥٦/٥٩ .

(ز) تحول العاطفة الى حب للوطن والشعب الكادح :

ويتحول الحب والمجتمع يتغير ويتحول ، من حب للحبيب الى حب للشعب الكادح حتى ليكاد يقتصر عليه وينحصر فيه .

يقول « نجيب سرور » في قصيدته « لهذى الجموع (١) » « مثبتا حبه لحبيته مذكرا اباها بأن حبه باق لا يريم وان جرى في وهما أنه جفاها ، ولكنه وزع قلبه بين حبا وحب الجموع البائسة .

فبعد أن تسأله عن السبب في تغير حبه لها ولهمته عليها يجيب :

أحسنا ما غيرتني السنون

ولا غيرتك

أحبك ما زلت لكنني

صحوت على صرخات الجموع

وخطو الفناء الى أمتي

واتتحاب القبور

رأيت الحياة تنمو هناك

على مذبح اليأس في قريتي

أحبك ما زلت لكنني

وهبت النشيد لهذى الجموع

و « هاشم الرفاعي » تسأله حبيته عن حبه لها فيقول (٢) :

ولكنني رأيت القييد قد أدمى لى القدا

وأغللا تلف يدي تمذبني تسيل دما

وأفئدة تنادى الفجر ثم تمانق الظلما

فصفت - كما رأيت - الشعر ينضج لفظه ألما

(١) انظر مجلة الآداب - يوليو سنة ١٩٥٤ .
(٢) ديوان « هاشم الرفاعي » قصيدة « بطولة حب » ، قالها سنة ١٩٥٨ ص ١٢٢/١٢٠ .

ثم يسألها « هل يرضى الحب أن يعيش في ذل وحقارة الى الأبد، وهل يرضى أن تتزوج فبنى عشنا ونحن تحت نير الاستعمار فيستعبد ابناؤنا كما استعبدنا نحن؟ »

ثم يطالبها بألا يضعف أمام الحب بل أن تشد به عضده فيطوى به ظلمات أمسه التي لفة بها الاستعمار ويتطلع الى غده عساه أن يضيئه :

أرضى الحب أن نجيا على هون الى الأبد
أنبنى عشنا في القيد كي يستعبدوا ولدى
فلا تهني اذن بالحب بل شدى به عضدى
طوت ظلماتهم أمسى وارجو أن أضيء غدى

ويعبر « عبد العليم الثباني » عما عبر عنه غيره من تحول الحب في ظروف المارك والبناء الى ثورة فبعد ان يستعيد ذكريات حبه - يقول :

ما ان سلوت وما ان طال بي ملل ولا اثنت جريح القلب محزوننا
لكنه صوت آبائي يورقنى ويرسل اللوم في جنبى سكيننا
لست ابن يعرب ان لم تبدعاصفة نارية الوعى تجتاح الملايينا
كفعل قومك شادوا في بداوتهم ما أذهل الغرب روادا وبانينا

ويزداد هذا المعنى ورودا ورسوخا في أذهان الشعراء بعد وقوع نكسة سنة ١٩٦٧ ورفع الدولة حكومة وشعبا شعار « كل شيء من أجل المعركة » و « لاصوت يعلو على صوت المعركة » .

فيقول « صالح جودت » في قصيدته « لا وقت للحب (١) » :

تساءلين لم اثنى قلبى ؟ يا طفلتسى لا وقت للحب
أ أحب والعدوان في وطنى متوغل كالشوك في جنبى
وكرامتى في البيد نازفة نواحة لكرامة العرب ؟ !

(١) انظر « مجلة الهلال » ع ١٢ س ٩ ديسمبر سنة ٧١ ص ١٢٤/١٢٧ .

ثم يقول :

الحب يوم يعود لاجئنا متحررا من عيشة الجذب
الحب يوم تضىء رايتنا في ثالث الحرمين كالشهب
الحب يوم تطير فرحتنا فوق القناة وشطها الربح
فهناك موعدا وملعبنا بين السنا والماء والعشب

ومما أوردناه من أمثلة في الاتجاه الاجتماعي يتبين لنا أن شعرنا الجديد كان مجليا في تحقيق هذا الهدف من حيث الدفاع عن قضية الفلاح لتحريره من الفقر ومن سيطرة الاقطاع عليه ، ومن حيث التخفيف عن بعض آلام الشعب النفسية والتنبيه اليها ، ومن اشادة بالعلم الذي حرصت الثورة على أن يكون كالماء والهواء ، وعلان عن الارتباط الوثيق بين أفراد الأسرة الصغيرة من آباء وأمهات الى أبناء واخوة ، وعلان كذلك عن تحول عاطفة الحب في مجتمع العمل الجديد من حب للمحبوب المترفع عن العمل المخلد الى الكسل ، الى حب للمحبوب المكافح المناضل والى حب للوطن وللشعب الكادح ، وقد أشاد الشاعر بالمصلحين الاجتماعيين منوها بما صنعه قائد الثورة في هذا المجال من آثار عظيمة يسجلها له التاريخ في سجل الخالدين .

وقد خاض الاتجاه الاجتماعي مجال النقد الاجتماعي فعرض لكثير من العادات والتقاليد البالية والعيوب الاجتماعية التي ظلت تطفو على ظهر المجتمع متنقلة من عهود التخلف الماضية أو كشف عنها التطبيق الاشتراكي الجديد .

وكل ما سبق من مضامين اجتماعية استنطاق الشعر أن يبرزه في أشكال متعددة ، من سرد وقص وحوار بأسلوب يحلو كثيرا ويسف أحيانا بحسب قدرة الشاعر الفنية وعاطفته الانسانية .

الفصل الرابع

الاتجاه الانساني

في هذا الاتجاه تكون غاية الشعر هي الانسان في كل مكان لا انسان الاقليمية الضيقة أو القومية المحدودة وانما انسان الانسانية الواسعة الشاملة . بل ان هذا الشعر لا يخاطب انسان العصر وحده وانما يخاطب انسان الحاضر والمستقبل لأنه يدعو الى الحرية ويحارب العبودية ، ينشد السلام ويكره الحرب ، يبغى العدل ويبغض الظلم ، ينادى بالتعاون من أجل الرخاء ويطلب بالقضاء على مشكلات الفقر والبطالة ، والتأمين ضد عايدات الأيام ، يبشر بالمساواة في اللون والجنس وينفر من التفرقة العنصرية يندد بالتخاذل والمتخاذلين ويشيد بالكفاح وبالمكافحين .

وفي هذا الاتجاه يعبر الشعر ، بالاضافة الى قضايا الانسان السياسية والاجتماعية في كل مكان ، عن المعاني والمشاعر والعواطف الانسانية العامة التي لا تخص فردا أو جماعة أو شعبا أو قومية فحسب وانما تشمل كل الأفراد والجماعات والشعوب والقوميات لانها شائعة في الطبيعة الانسانية ، عامة في كل الأجناس البشرية .

ومن ذلك معاني الحب والوفاء والاخاء البشري والاحساس بأحاسيس القلق والخوف على مستقبل البشرية في عالم طغت فيه الماديات وتقدم فيه العلم لا بسا يفيد فقط بما يضر كذلك على حد سواء الى درجة فاقت حدود التصور .

وقد كان هذا الاتجاه نتيجة حتمية للارتباط الوثيق بين أجزاء العالم ذلك الارتباط الذي حدث بسبب التقدم الهائل في وسائل المواصلات وأجهزة الاعلام .

ولأن الناس في كل مكان قد تفتحت عيونهم وآذانهم وعقولهم على الحياة الهائلة التي تعيشها شعوب الدول المتقدمة ورعوا بأنه لا فرق بينهم وبين هذه

الشعوب ، أصبحوا يتطلعون الى حياة كهذه الحياة فنشبت الثورات التحررية في البلاد المتخلفة المستعمرة وسرت عدوى التحرر الى كل شبر يعيش فيه انسان مستعبد . واشتدت الحملة على الاستعمار وأحسن الجميع أن قضية الحرية لا تنجزاً وان ما يصيب حياة الانسان في بلد ما يصيب الناس جميعا في شتى بلاد العالم .

ولقد اتخذ مفهوم الحرية بعد قيام الثورة في مجتمعنا معنى جديدا اذ لم تعد الحرية مقصورة على حرية مصر وحدها ، ولا على حرية الوطن العربي فحسب . وانما تعدت الحرية هذا المفهوم الضيق الى مفهوم أوسع ، فأصبحت تشمل حرية مصر والوطن العربي ، كما تشمل حرية جميع الشعوب التي ترزح تحت حكم الاستعمار وسيطرته . ولم تعد الحرية مقصورة على الحرية السياسية وحدها وتعنى التحرر السياسى من السيطرة الأجنبية ومن حكم الرجعية وانما أصبحت تشمل الى ذلك الحرية الاجتماعية وتعنى التحرر من الفقر ومن البطالة والخوف أى أصبحت الحرية تعنى حرية الوطن والمواطن أو بمعنى آخر تعنى الديمقراطية والاشتراكية وأصبحت تتعدى حدود الوطن لتشمل العالم كله والناس أجمعين .

وان مجتمعنا الجديد قد أصبح فكره مفتوحا لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها لا يصددها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد .. وكان ذلك أحد الضمانات التي تمكن النضال الشعبى من توفيقها(١) . وتلاقى الأفكار ينبج الشعور المشترك والعمل الموحد .

فاهتمام مجتمعنا قد تعدى حدوده ليشمل سائر بلاد العالم ، وتفكيره لم يعد مقصورا على حل مشكلاته وحدها وانما تجاوزها الى شتى مشكلات الناس في كل مكان .

والخطوط العامة والعميقة في سياسته الخارجية هي كما يذكرها الميثاق الوطنى.

« الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه في جميع أفتنته ومحاربه في كل أوكاره والعمل من أجل السلام لان جو السلام واحتمالاته هي الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى ثم التعاون الدولى من أجل

(١) انظر الميثاق الوطنى الباب الاول : نظرة عامة .

الرخاء فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة كما أنه أصبح في حاجة الى التعاون الجماعي لتوفيره(١) .

ولهذا يمكن أن نتبع ما قيل من شعرنا الجديد في الاتجاه الانساني في هذه النواحي : محاربة الاستعمار وبالأخص مهاجمته لأمريكا ، ودعوته الى السلام والحرية واشادته بالابطال الذين نادوا بحرية بلادهم وحرية بقية الشعوب الراضحة تحت نير الاستعمار ، وموقفه من الاكتشافات العلمية وبخاصة غزو الفضاء ، ثم اشادته بالشوامخ الذين أدوا الى الانسانية خدمات جليلة وأسدوا اليها أيادي بيضاء في شتى مجالات الحياة من علم أو فن أو أدب .

(١) محاربة الاستعمار :

ان أبرز سمة يتميز بها المستعمر أنه لا يسوى بين الناس أو الشعوب بل الناس والشعوب عنده طبقات والتعامل معهم ليس بحسب عملهم وانما بقدر ثرائهم وقوتهم ولونهم .. وهو لهذا الفهم الخاطيء وفي سبيل تحقيق مآربه يرتكب أشنع الجرائم .

ينعى « عبد الله شمس الدين » على الاستعمار « تعصبه العنصرى » في قصيدته بهذا الاسم فيقول منها الى أن اللون لا ينبغي أن يكون حكما بالرقى أو التخلف بل ان من يعون عليهم سوادهم هم بيض الفعال طلاب السلام .

ويذكر أن هذه التفرقة للأسف قد اختص بها الانسان وحده بينما الوحوش — وهي الأولى بذلك لانها غير عاقلة — لا تتردى فيها :

ليس بين الوحوش هذا التردى في سبيل التفاخر الجلودى

ويقرر أن القيمة ليست لبياض الوجه وانما لبياض القلب :

أسود أبيض السرائر صاف هو خير من أبيض وحشى
ما بياض الجلود الاستار لفؤاد بحقده زنجى

(١) الميثاق الوطنى الباب العاشر : السياسة الخارجية .

ويقول :

يا أخى الأسمر الحبيب سلاما من شعور معطر أخوى
كلنا يا أخى أشقاء جئنا من أب واحد عزيز أبى
والديانات مرفأ خلقى وحى للنفس من كل غى
ليس للون عندها أى فضل انما الفضل عندها للتقى^(١)

وهذا « هاشم الرفاعي » يتصور جنديا من جنود الاستعمار المتساقطين فى كل مكان يكتب من افريقية رسالة الى فتاته^(٢) يعرض فيها صورة لنذالة الانسان المستعمر حين يقتل أخاه الانسان بغير جريمة ارتكبها الا أن ذلك المستعمر لا يريد الا أن يكون جبارا فى الأرض وما يريد أن يكون من المصلحين . وبعد أن يصف هجوم الثوار عليهم بالمناجل وردهم عليهم بالرصاص يقول :

ورجعت محموم الفؤاد وقد تأجل مصرعى
وذراعى الدامى تجلد ثم ناء بمدفعى
وفقدت فى الميدان صورتك التى كانت معى
وفقدت احساسا جميلا كان يملأ اضلعى

أحسست انى صرت وحشا

أولا أقصر عنه بطشا

والفرق أن الذئب لا يودى بذئب فى كمين

وأنا .. أنا الانسان أقتل أخوتى فى كل حين

ثم بعد أن يسأل أصحابه عن الغاية التى جاءوا من أجلها قساة معتدين يتساءل مستنكرا :

أو ليس يكفيننا لكى نحياتناح المزرعه

حتى أصب على أخى سوط العذاب لأخضعه

(١) ديوان « الله أكبر » ص ١٣٣/١٣٥ .

(٢) انظر مهرجان الشعر الرابع سنة ٦٢ قصيدة من وحى الربيع ص ١٠٧/١٠٩

ويقض حيناً مضجعى ويقض حيناً مضجعه
وأعيش معترباً هنا بين الرماح المشرعه

يأتى الطعام الى فمى
مرا تلوث بالدم

وأصوغ من آلام قوم جنحة للمترفين
الحلمين وثورة البركان تهر من سنين

ثم يطلب من فئاته أن تحذر قومها أهل تلك البلاد الاستعمارية من سوء العاقبة
ما مضوا في سياستهم العدوانية :

فالى متى يستعذبون البنى فى ليل الجراح ؟ !
قولى لهم لا تغمضوا الأبصار عن ضوء الصباح
لا توصدوا الأذان قد دوت أناشيد الكفاح
لن نسكت الصوت القوى بما لدينا من سلاح^(١)

ولا شك أن هذا الاسلوب الذى اتخذته الرفاعى وهو أسلوب الرسائل
الشعرية ، من أجمل الأساليب البلاغية الحديثة وأشدّها تأثيراً واقناعاً . ولا حاجة
الى شرح ذلك . فالمقارنة البسيطة بينه وبين غيره من الأساليب التقريرية المجردة
مما نعرضه أولاً نعرضه منها يؤكد ذلك ويؤيده .

ويكتب د . « عفيفى محمود » رسالة أخرى ولكنها من رجل أسود الى رجل
أبيض وذلك فى قصيدته « رسالة الى رجل أبيض » وفيها يتحدث الأسود الى
الأبيض لاقناعه بالرجيل عن أرض بلده لأنها ليست ملكاً له وإنما هى ملك لأهلها ..

ثم يقول له ان حظه منذ حل قد اسود كلونه

يومها ألقىت حظى مثل لوني صار أسود

(١) أنظر ديوان هاشم الرفاعى : قصيدة « رسالة من افريقية » ص ٢١٧/٢٢٠

ويتساءل متعجبا ومستنكرا ورافضا صور الاستغلال الذى يسود العلاقة
بينهما :

أترانى أزرع الأرض لتحظى بالخراج ؟ !
أأنا النول الذى تنسج من عرى كساءك ؟ !
أأنا الفحم الذى تشوى على نارى عشاءك ؟ !
أم أنا الطين الذى تفرس فى قلبى حذاءك ؟ !
لا أنا الظلمة تكسو بالدياجير مساءك

ثم يذره بشر مستطير اذا ما استمرت تلك العلاقة الاستغلالية :

فألذى سود وجهى هو من سود قلبك
يا عدو السلم أبشر ها أنا أعلنت حربك(١)

ويتخذ بعض الشعراء من بسطاء الناس أسماء حقيقية أو أسماء رمزية لا بقصد
الحديث عنها بالذات وإنما بغرض اتخاذها محورا للحديث عن المقاومة التى قادها
الشعب فى وجه الغزاة والظلمة المستعمرين ومن أمثلة ذلك قصيدة « أبو القاسم
الجزائرى » لـ « عبد الرحمن الخيسى » وقد سبق الحديث عنها فى الاتجاه الشعبى
و « شتى زهران » لـ « صلاح عبد الصبور » .

وفى قصيدة « شتى زهران » ينادى « صلاح عبد الصبور » بالحرية من خلال
عرض قيمة « زهران » ذلك الفلاح من أهالى قرية دنشواى الذى يشل فى مظهره
غالبية الفلاحين فى شبابهم وقوتهم .

وفى أخلاقه وجهه ومعاملاته وزواجه ، ثم يصف الحريق الذى شب « فى
دنشواى » بسبب عبث الانجليز :

ورأى النيران تجتاح الحياه

مد « زهران » الى الانجم كما

(١) انظر مهرجان الشعر السابع سنة ١٩٦٦ ص ٩٤ ، ٩٥ .

ودعا يسأل لطفاً
ربما سورة حقد في الدماء
ربما استعدى على النار السماء
وكان هذا كل ما حدث من زهران ولكن ماذا يفعل الانجليز ؟ !
يصور « عبد الصبور » جريبتهم وآثارها بأسلوب هادىء يستثير الدنيا كلها
ضد الجناة لانهم أعداء الحياة :

وضع النطع على السكة والغيلان جاءوا
وأتى السيف (مسرور) وأعداء الحياة
صنعوا الموت لأحباب الحياه
يتدلى رأس زهران الوديع
قريتي من يومها لم تأتدم الا الدموع
قريتي من يومها تأوى الى الركن الصديق
قريتي من يومها تخشى الحياة

ثم يعود بعد ذلك الى « زهران » ليلخص كل المعانى التى أرادها من القصيدة
سائلاً مستنكراً :

كان زهران صديقا للحياه

مات زهران وعيناه حياه

فلماذا قريتي تخشى الحياه ؟ !

وصحيح أن « عبد الصبور » كما يقول « مصطفى السحرى » - لم يول
الفكرة المحورية فى القصيدة وهى الشنق اهتماما وانما ذكرها فى سطر أو سطرين
مكتفيا بذكر مالا يهم من أوصاف « زهران » الجثمانية وزواجه وانجابه ولدا
وذهابه الى السوق ورؤيته النار التى تحرق الحقول والتى تصرع الأطفال فمسد
يده يسأل لطفاً وبعدها شنق وهذه الواقعة لم يذكر سببها . ثم يتهى القصيدة
بشئ غير متوقع من بلد رأى الظلم وكان عليه - فى رأى السحرى - أن يحولها

الى خاتمة تتفق مع آثار هذه الفكرة النكراء من اثاره النقسة والحققد على الجارمين الظالمين(١) .

ولكن « صلاح عبد الصبور » أراد ما قال « السحرتى » وقصد اليه ، وحسنا ما فعل ، لاننا اذا كنا في هذا الباب نخطب الانسانية كلها ، فلا مجال للخطابة والتهويل واظهار التحسر بالشكل المفزع ، وانما الأوفق أن نصنع صنيع « عبد الصبور » في تصوير الانجليز أعداء للحياة الهائلة السعيدة التي كان يعيشها زهران وأمثاله في قريته والتي يريها كل انسان على ظهر البسيطة وقد وفق في تجسيد هذه الفكرة - كما مر في القصيدة - غاية التوفيق .

(ب) مهاجمة أمريكا :

وحيث يهاجم الشعر الاستعمار ويدعو الى التحرر يضع أمريكا في رأس قائمة المستعمرين لأنها رأس الاستعمار العالمى ، وموافقها من قضايا التحرر القومى والسلام العالمى معروفة ، في فيتنام وأمريكا اللاتينية وفي آسيا وأفريقيا ، وموافقها من قضايا التحرر في بلادنا ومن قضية الشرق الأوسط ومشكلة فلسطين وامتناعها عن اقراضنا من البنك الدولى الا بشروط واشترائها في عدوان يونيو ١٩٦٧ وتمكينها اسرئيل من احتلال اراض عربية بالقوة وتزويد اسرئيل بالمال والسلاح والخبراء لتثبيت هذا الاحتلال ، ومحاولاتها المستمرة لقلب نظم الحكم الثورية في العالم بواسطة المخابرات المركزية وبث الفتن والدسائس بين الدول بعضها وبعض وبين القوى الوطنية في كل دولة ، مستخدمة كل وسائل الاغراء والدعايات المسمومة والشائعات المخربة .. كل ذلك عنها معروف ومشهور .

لذلك كان على الشعر وهو يهاجم الاستعمار أن يشير اليها كثيرا بأصابع الاتهام بتهمة القتل العمى لآمال الشعوب المحبة للسلام ، الراغبة في التحرر ، المتطلعة الى مستقبل أسعد لها وللشيرة جميعا . وكم نظم الشعراء من قصائد مباشرة لتوجيه هذه التهمة الى أمريكا . وأصدر بعضهم الدواوين لهذا الغرض نفسه ومن أولئك « محمد الجيار » في ديوانه « محاكمة أمريكا » الذى أصدره عقب عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ منفعلًا أشد الانفعال بدور أمريكا في هذا العدوان ثم مسترجعا دورها في كل مآسى الحياة على الصعيد العالمى .

(١) انظر شعر اليوم لمصطفى عبد اللطيف السحرتى ص ٤٤ وما بعدها .

وهذه نماذج مما قاله في هذا الصدد :
يقول في قصيدته « غول الرأسمالية » متهما أمريكا بأن القيمة فيها للمال
وحده :

في أمريكا غول منهوم
يتشددق فمه بالدولار
•••

من يملك مالا .. فهو الأقوى
وهو الحامل صك الحكمة
ويلخص سياسة الرأسمالية الأمريكية التي تخشى أن تنخفض الأسعار فيها
نتيجة لزيادة الانتاج فتعدهم :

ثم يذكر أن عاقبة الشر وخيمة وأن الشعوب المظلومة سوف تنتصر :

أمريكا يا سارقة تزهى بثياب المسروقين
أفريقيا تغزوك بحقد المظلومين
يحتج عليك القمح المسروق من « الكونغو »
وستخنتك ورود من « هاواي »
وسيحرق ثغرك سيجار من « هاافانا »
ويزيد مرارته حقد السكر من « كوبا »
تلتف بعنقك « فايتنام » كقبضة نار
سيثور العالم ضدك يا أمريكا
حين تحطم قدر الشريد الانسان(١)

ويقول في قصيدته « الاسود والقمر الطيب » منددا بسياسة التفرقة العنصرية
التي تمارسها أمريكا :

(١) انظر محاكمة أمريكا ص ٤٥ ، ٤٦ -

« ممنوع أن يدخل زنجي أو كلب »
لافتة ترقص فوق الباب
ويلتفت فيقول بلسان الزنجي معبرا عن مأساته :
ما ذنبي حين ولدت بلون الحزن
يجمعني ليلى بالغرباء على وعد مفقود
لم يكرهني نجم واحد
لم يصنع دمعى فجر يسهر للسعداء
فلماذا يطردني ضوء الانسان
ثم يقول الزنجي آملا في الانتصار واكتساب الحرية :
أنتظر صباحي حين يثور الشعب الخائف في أمريكا
انى منتصر في قلب المهزومين
منتصر في دمعات الأم الكلى
يا زحف الليل الأسود
أزرع بيدي رتاج السجن
لتحرر انسانية كل المضطهدين⁽¹⁾
وفي المعنى نفسه في قصيدة « طفل يولد في قبر » قصة الأم الزنجية التي طاردها
البيض مع زوجها وكانت تحمل جنين الأحرار في أحشائها « يقول بلسان هذه
الزنجية » :

لو يعلم طفلي مأساة الانسان
لارتد وراء الدهر بغير زمان
أمريكا قابلة عمياء
تقتل أطفال السود بلا رحمة
فلماذا يا أهل النعمة ؟
الدود بقلب الأرض ينام

(1) محاكمة أمريكا ص ٥٢/٥٥ .

والسماك بجوف البحر يعيش
لكننا في أمريكا لا نملك أمن الليل
لا نملك غير دثار الظل
وتخاطب الجنين الذى بين أحشائها :
يا من بين ضلوعى لا يعرف ما يخبئه الدهر
يا نبت الألم المر
لا شئ هنا الا الصبار أليفك فيه
ما ذنبك تولد مضطهدا فى قلب التيه
وتلد الطفل بعد نوبة آلام المخاض وليس معها ثياب تلفه بها وتتوسل الى سائق
عربة لنقل الموتى البيض أن يحملها وطلقها معه :
أرجوك توقف
انى هلكى فاحملنى بين الموتى

وتأبى عليه شهامته المفقودة نجدتها فيقول وهو منصرف عنها منطلقا بعربته :
هذى العربة للموتى البيض ؟ ! (١)

ويلج « محمد الجيار » على هذا المعنى في رسم صورة أخرى ولكنها أفسى من
الصورتين الأولين لأنها تصور الحقد الأسود فى قلب الرجل الأمريكى الأبيض ضد
اخوته فى الانسانية من الزنوج .. تصور كيف يقابل الأمريكى الأبيض اقناذ الزنجي
له من الموت ، باهداء الموت اليه فيقول « الجيار » من قصيدة طويلة ان أحد
البيض كان ملقى بأحد الأكواخ جريحا ينزف الدم من جسده غزيرا وراه أحد
الزنوج فهرع اليه يسعفه :

قد من ثوبه القديم ضمادا
وانحنى غاسلا جراح أخيه
ولكن ماذا حدث ؟ !

فتح الأبيض الجريح عيونا
قال من أنت ؟ أى وحش لثيم
رد قلب الزنجي والرياح تعوى
مجفلات من أعين زنجيه
جاء لى فى الدجى يعض يديه
اصغ لى يا أخى بنفس سويه

(١) محاكمة أمريكا ص ٦٧/٦٩ .

ويعطى الزنجى الأمريكى الأبيض درسا فى الأخلاق فيخاطبه :

هل ترانى استشرت أمى لما كنت سرا مع الغيوب الخفيه ؟
هل تعادى الحمامم البيض طيرا فى جناحيه للسواد مزيه ؟
ربسا تلتقى بقبر صغير فاذا راحتك فى راحتيه
فلماذا تريد صلحا بقبرى ثم لا ترتضيه والنفس حيه

ومع ذلك يجازى البيض الأشرار ذلك الزنجى على معرفه جزاء سنمار ، ويبلغ الشاعر قمة المأساة حين يقول :

ومع الصبح جاء رهط من البيض سراعا على الربى الصخرية
جلدوا الأسود البرىء فسالت من عروق الورى دماء زكيه
وتطلق القصة بالعبرة الخالدة ويستخلص الشاعر الحكمة من تلك القصة
الدامية :

لن يعيش الانسان فى الأرض حرا وهو بالحقق .. لعنة العنصرية (١)
وفى موقف مسرحى ومعالجة درامية ناجحة يصور الطيار الأمريكى الذى شوه
أطفال هيروشيما وناجازاكي صارخا بأخر ما فى ضميره من رعشات الندم :

لو سرت وحيدا بين نواطح واشنطن
أشعر أنى نعش الموتى
أسمع قبرى يصرخ صمتا

ويخاطب الطيار أشباح القتلى التى تطارده صارخة : ملعون .. ملعون ..
قاتل :

صبرا يا أشباح القتلى
كم أتمنى أن أتعب
عندت الأطفال جميعا فى نهر الدم
وصببت لهم من طائرتى لبن السم
فارتفعت آلاف الصرخات تطاردنى

(١) محاكمة أمريكا ص ٩٧/٩٥ .

أيدى القتلى طارت نحوى كى تصفنى

بحجارة بيتى .. ترجمنى (١)

ويتهى الفصل المسرحى الرائع بانتحار الطيار الأمريكى حين شق نفسه على
تسال الحرية .

و « محمد الجيار » فى ديوانه محاكمة أمريكا الذى استخلصنا منه القصائد
والأبيات السابقة يرفع صيحة انسانية مدوية بصوت الفن الصادق العميق لا يظن
الخطابية المدعية بعيدا عن البهجة والزيف .. ضد الظلم الأمريكى الفادح مستخدما
بحر المتدارك ذا التفاعيل السريعة التى تتواءم وروح العصر فى سرعته وعدوه بحثا
عن الحقيقة فأبياته تنداح فيها الموجة مفردة جناحها ثم تقصر ويده الخطوات طبقا
لما تقتضيه ضرورة التعبير النفسى فى الشعر الحديث المنطلق (٢) .

ويقول « كيلانى حسن سند » فى قصيدته « العنكبوت (٣) » بمناسبة تهديد
أمريكا للعالم ذات يوم بقنابلها الذرية .. يقول محرضا قوى السلام أن تقف فى
وجه أمريكا وتمنع شرها عن الناس :

عنكبوت الفناء مد ظلاله فقفى يا قوى السلام حياله
وينعت أمريكا بالغباء والقسوة والشره فيقول :

يا لهذا النبى يقتله الحق قد فيلقى على الحياة نباله
أى قلب له وأى ضمير حجرى . . كأنما هو آله
شره كالجحيم يشص منا كل ما نجتنيه حتى الثمالة

(ج) الدعوة الى السلام :

وينادى الشعر بالسلام والحب والتعاطف الانسانى فى مقابلة رفضه للحرب
والكراهية والتباغض البشرى .

ويتخذ لذلك أساليب شتى فهو اما يقرر ذلك تقريرا مباشرا كما فعل « عبد الله
شمس الدين » فى « أنشودة السلام » و « دنيا السلام » و « الدكتور أحمد هيكل »
فى « أغنية السلام » .

(١) محاكمة أمريكا ص ٣٩/٢٦ .

(٢) انظر عبد الرحمن الشرقاوى مقدمة محاكمة أمريكا ص ١٥ ، ١٦ .

(٣) انظر ديوان فى العاصفة ص ٧ ، ٨ .

أو يتخذ إلى ذلك طريقاً غير مباشر وذلك حينما يصف الشاعر براءة الطفولة
وحب الطفل للحياة وللطبيعة والناس ، وحينما يبدى الشاعر تخوفه على شيء عزيز
لديه - كابنته مثلاً - من شر الحوادث كما فعل « كمال نشأت » في قصيدته
« نامت نهاد » و « كامل أيوب » في قصيدته « أغنية للطفولة » .
يقول « عبد الله شمس الدين » في قصيدته « أنشودة السلام (١) » مبشراً
بالسلم :

سلاماً سلاماً عروس السلام ويا فرحة الصفو بين القلوب
تعالى أطيحى بهذا الظلام ظلام الضغينة بين الشعوب
وطوفى مع الفجر في موكب

ثم يعدد ما أنعم الله به على الإنسان من ورد باسم فوق الغصون ، إلى طير صادق
فوق الشجر إلى قمر يتلألأ نوره ، إلى نسائم تهمس بين الزروع ، إلى شدو غدير
ونجوى وتر ، ويتساءل عن كل هذا ؟

ثم يقول منفراً من الحرب :

رويداً بنى الكون فيم القتال وفيم الشقاق وهذا العداة ؟ !
وقد عذب الأرض خطو الردى وكم زلزل الخطب أهل السماء !
فعيشوا على الصفو بيض الامانى وصبوا عليه كئوس الصفاء

ويخاطب د « أحمد هيكل » في قصيدته « أغنية السلام » أخاه الإنسان في كل
مكان قائلاً ان أخاه الذى ينظر إليه في البعد وفى القرب فهما متساويان لأن الذى
خلقهما واحد ونوع التراب الذى نشأ منه واحد ولونهما مهما اختلف لا يجعل من
أحدهما ملاكاً ومن الآخر حيواناً :

أنا نبت قد نماني من من الطين ناكاً
فكيانى من تراب هو من نوع ثراكاً
ان نكن لونين لسنا حيواناً وملاكاً

(١) ديوان « الله أكبر » ص ١٠٥ وما بعدها . وانظر كذلك قصيدته « دنيا
السلام » ص ٢٦٨ وما بعدها .

ولهذا فهو يدعو الى دين السلام ووقف الحروب وسفك الدماء لأنه لا داعى الى ذلك فخيرات الأرض « أضعاف الأنام »

يا أخى أَدْعوك من قلبى الى دين السلام
ان فى الأرض من الخيرات أضعاف الأنام
فلماذا نغصب اللقمة بالموت الزؤام ؟
وعلى شبر من الغبراء يردينا الخصام
ونسوق الأهل للحرب ومسعور الضرام(١)

ويتسمى « محمود توفيق » أن يجيء « اليوم السعيد » فى قصيدته بهذا العنوان
فيقول متسائلا عدة مرات :

أفريب أم بعيد

ذلك اليوم السعيد ؟

ويذكر أن ذلك اليوم هو غاية الانسان منذ كان وسيظل غايته فقد :

حدثنا عنه فى المهد أغاني الأمهات

حدثنا عنه أيام الصبا والأمنيات

حدثنا عنه أطنان حكايات حزينه

* * * *

حدثنا عنه أصداء الأغاني فى الحقوق

ومواويل عذاب . . قد رواها ألف جيل

* * * *

حدثنا عنه فى الشعر الخيالات الجريئه

* * * *

حدثنا عنه أفكار أضاءت فى الكتب

* * * *

حدثنا عنه صيحات على ثمر شهيد

(١) النصوص الادبية الحديثة لعبد الحميد حسن وآخرين ص ١٢٧/١٢٨ .

وبعد أن قرر أن هذا اليوم كان رجاء كل الناس منذ القدم وبعد أن وصفه بأنه اليوم الذى يشيع فيه الحب والسلام والفرح ويعم فيه الخير والرخاء ويتحقق فيه الأمل ويزول فيه الحقد والبغض ويحف الدمع والحزن يذكر أن بعض الناس يعده وهما وخيالاً أما هو فلا يعده مستحيلاً ولذلك فلا يعبر المعوقين أذناً صاغية إنما يعنى فى طريق الأمل جاهداً ساعداً لا يبالي بأقرب ذلك اليوم السعيد أم بعيد وكأنه يوحي الينا بأن هذا ينبغي أن يكون موقفنا جميعاً موقف الإصرار على تحقيق السلام فذلك هو السبيل الى تحقيقه فعلاً :

قال قوم : تلك أضغاث خيالات قديمه
سوف تبقى مثلما ظلت . . خرافات عقيمه
ليست الأرض سوى دار أعدت للشقاء
ليس للإنسان فيها من مفر . . . أو رجاء
وسيبقى هكذا ما ظلت الأرض تدور
فانفض الأحلام عن جفنيك . . واخضع للمصير
غير انى قد أعرت النصح اذنا جامده
ثم واصلت سيرى . . فى الطريق الصاعده
فى طريق الأمل الموعود واليوم السعيد
لا أبالي قربه الدانى . . ولا البعد البعيد (١)

ومن ذا الذى يقرأ قصيدة « كمال نشأت » « نامت نهاد » ولا يؤمن بضرورة أن يسود السلام فى العالم ابقاء على هذه البذور الانسانية النابتة التى لم تقترب انما لأنها نقيه صافية كقطرة المزن وجبة الثلج ؟

ولقد نعرف أن « عمر بن الخطاب » الانسان ، على قسوته وشدته فى الحق ، قد رق قلبه فعفا عن سجين بذنب ارتكبه وجرم اجترمه ، لأنه قال أحياناً رقيقة فى هذا المعنى يستعطف بها قلب « أمير المؤمنين » الكبير فقال :

ماذا نقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

(١) انظر الكاتب : اكتوبر سنة ١٩٦١ ص ١٤٢/١٤٦ .

نقول من ذا الذى يقرأ قصيدة «كمال نشأت» فى أى بقعة من بقاع العالم وكان له قلب يخفق بالحب، دون أن يرفض منطق القوة والاعتصاب والاستبداد والاستعباد وفيها يصف صورة « نهاد » الطفلة الصغيرة وهى نائمة كالملاك لابسة ثوبها المتقوش :

ثم يقول مخاطبا اياها وقد جلس الى جوار سريرها متنسبا الآمال من أنفاسها ، ممعنا فى الخيال ، يشيم كونا فى غد فيه الأنام يشون فوق دروبه تحوطهم يد الحب والسلام :

وغدا أراك وتسمين

وترددين

« أبتى أما تحكى عن الماضى الدفين » ؟

فأقول ويحك يا « نهاد »

أنا قد أكلت الجوع والألم المرير

وعرفت ما يعنى الضياع

ومشيت حيث خطى المنون

وعلى الدجون

كافحت عبرى يا نهاد

ولك الكفاح

فلقد أردت لك الحياه

بيضاء يغمرها سلام

ثم يسمع صوت أمها الحانى العطوف يسأل عنها لتطمئن هى الأخرى أن ملاكها الطاهر وقلدة كبدها « نهاد » قد نامت فيقول :

فرجعت من حلمى البعيد

حلمى السعيد

ووجدتني قرب السرير

ويدي تحرك مروحه

وعلى الوساد

كالزهرة المفتحة

نامت نهاد

ومثل « نامت نهاد » في قوة الأسر وشدة السحر وانسانيتها الغامرة قصيدته « أغنية فتاة (١) » وفيها تصف الفتاة جمال الطبيعة على جدار بيتها اذ « يعرش اللبلاب ويسفسق العصفور وتنتفتح براعم الليمون » .

ثم يصف الشاعر حب الطفولة البريء الذي لا يشوبه غرض ولا ترجى من ورائه منفعة أو مصلحة فيقول بلسان الفتاة تدعو الفتى الكادح الذاهب الى الحقل بأسلوب هين لين أن يعرج ليستريح لحظتين وليتستع بسحر الطبيعة على جدار بيتها :

يا ذاهبا الى الحقول
في كل طلعة للشمس هل علمت
حين قلبي الصغير ؟
بود لو يطير
اذا رأك ناظرا
الى جدار بيتنا
•••••
على جدار بيتنا
يعرش اللبلاب
وتسرح النجوم
وأنت في الاياب
تفوح بالشباب والتعب
وتهمس الأشواق ان مررت
« الا جلست
لستريح لحظتين

(١) انظر ديوان « انشودة الطريق » ص ١١/٧ .

لحظتين . .

بالقرب من جدارنا «

ويدعو « كيلانى حسن سند » الى حب البشر جميعا فى قصيدة
« الحب » فيقول :

كن مثلما شاء الندى	مثل الصباح الاشقر
كالطير فى أفراحه	غنى لكل البشر
حتى الألى لم يبذروا	الا يبذور الضرر
غن لهم ، ارث لهم	قلوبهم من حجر
وافتح لهم نافذة	فى قلبك المخضوضر
فالحب أى منجهم	فى قلب انسان ثرى
لون الضحا من لونه	والعطر بين الزهر
أخى الحياة غنوة	بالحب . . حب البشر

وقد تفهم حب جميع البشر الطيبين الذين يفعلون الخير ، أما الأولى
« لم يبذروا الا بذور الضرر » فلا تفهم كيف نجهم أو حتى كيف
يجهم الشاعر ؟ !

(د) الاشادة بابطال الحرية :

ويسجد شعرنا الحديث أبطال الحرية وشهداءها ممن تعرف الدنيا بلاءهم
ودفاعهم المجيد عن الحرية كانبيااء الله وفى طليعتهم « محمد » صلى الله عليه وسلم
و « المسيح » عليه السلام وزعماء العالم وفى مقدمتهم « جمال عبد الناصر » .
وقصيدة « محمود حسن اسماعيل » « نبى الحرية » من خير القصائد فى
ذلك الاتجاه ومن كرسول الله صلى الله عليه وسلم يستشهد به داعيا الى الحرية
عاملا من أجلها وهى قصيدة مطولة تتضمن ست قصائد كلها ما عدا الأولى منها
أنشأها الشاعر بعد عام ٥٢ ويتحدث عن العقائد السابقة على الاسلام وانبثاق
النور المحمدى وتتحدث عن قصة الغار والمنكبوت وخيبة « سراقه » فى ادراك
النبى الكريم ويختتمها بما يدور فى نفسه من أمان للشرق .

وفي آخر قصيدة من هذه الملحمة الخالدة ، وهي بعنوان « النور المهاجر »
يقول واصفا الرسول صلوات الله وسلامه عليه(١) :

مبشر بضحي للكون ينقذه من ظلمة ، ليها لجت خطاياها
أنى اليهم يحجر لا ضفاف له من الضياء تروع الشمس ضحواه
سر من الله ذاب العقل واندرجت أطواده الشم في أغوار معناه

وكم أشاد الشعر « بجمال عبد الناصر » لا كزعيم وطني وانما كشخصية
انسانية عالمية تعدى أثرها اقليمها المحدود الى سائر بلاد العالم . وهذا ما قد
حدث بالفعل ، فمنذ مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ عرفت مصر بزعامه « عبد الناصر »
يدورها في العمل من أجل السلام والدعوة الى مبدأ الجهاد الايجابي والتعايش
السلمي ورفض التكتلات والأحلاف العسكرية ومحاربة الاستعمار بكل صوره
وأشكاله والعمل على تصفيته من كل مكان من العالم .

ولا نستطيع أن نحصى القصائد العديدة التي قيلت في الاشادة بـ « عبدالناصر »
وأعماله المجيدة سواء لشعبه أو لشعوب المنطقة العربية أو لخدمة السلام العالمي .
يقول « محمود عماد(٢) » « تمتدح » عبد الناصر « واصفا ما قام به من دعوة
الى السلام ودعم للوحدة ونهضة للعلم :

« جمال » فتى الفتيان ان ذكر اسمه تلفتت الدنيا التفات هبوب
دعا لسلام يرقب الناس ظله وقد دببت الشحنة شر ديب
وجاهد بيني أمة العرب حرة بميثاق صدق واقتدار غلوب
رأى العلم مفتاحا لكل مغلق ففتحت الأغلاق كف وهوب

ويحیی « كيلاني حسن سند(٣) » وبارك نهضة أفريقيا وثورتها على جلاذيتها
ومغتصبي حقوق أبنائها فيقول في قصيدة « أفريقيا » :

أفريقييا تنهض واقفة من رد الى الميت صوايه
بركان يتدفق . . نار . . أمواج تهصدر صخابه

(١) ديوان نار واصفاد ص ٣٢ .
(٢) مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢ قصيدة « عصر الفضاء »
ص ١٠٣/١٠١ .
(٣) انظر ديوان « في العاصفة » .

المسارد ينهض محسوماً عينان تشمان مهابه
في الكونغو .. وكينيا .. أوراس قد أخذ يجمع أصحابه
ويتحدث « محمد السيد شريف(١) » بلسان أفريقيًا في قصيدته « أنا أفريقيًا »
فيقول أو تقول أفريقيًا مسمعة الدنيا كلها أنها قد تحررت من كل قيد وأنها لن تنسى
جراحاتها وجلادها من البيض وسوف تصعقه برغم قوته وأنها ما عادت السوق
لتصريف انتاج المستعمر الأبيض أو الحقل الذي يزرعه أو المنجم الذي يفيض بالخير
له وحده .

ثم يقول لقد ثارت كل الشعوب في كينيا ووهران والكونغو وغينيا وغانا ومصر
والغرب وليبيا ومالي وغيرها رافضة الاستعباد والاستعمار ناسجة بأيديها أضواء
فجر جديد .

فاذا الشعب بكينيا شعلته ترفض الضيم ولا ترضى الركوعا
وإذا الشعب بوهران لظى وانطلاق تأثر ضم الجموعا
يا بلادي ها هو النيل صحا والتقى اليوم بغينيا ثم غانا
يا بلادي انه الفجر الذي نسجت أضواءه البكر يدانا
ويقول د. « جمال مرسى بدر(٢) » واصفا انطلاق العملاق المحبوس في آسيا
وأفريقيا من قنقه وتحطيمه أغلال الاستعباد :

ان الشعوب استفاقت بعد رقدتها كمارد هزه للصحو زلزال
آين العلوج ورايات لهم رفعت فوق الديار لقد زالت وقد زالوا
المسارد الأسمر الجبار أفرعهم فاستنفروا حمرا اذ لاح رؤبال
وفي قصيدة « لوموبا » يستنطق « محمد الجيار(٣) » الزعيم الأفريقي المعاني
التي عاش من أجلها :

من أجلك يا أفريقيًا ثرت على أعداء الحب
أزرع قلبي بين يديك كزهرة حب
تسهر في عيني حقول للككاو

- (١) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٢) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ٦٢ قصيدة : « أهواء وآمال »
ص ٦٢/٥٩ .
(٣) انظر محاكمة أمريكا ص ٦٣/٥٦ .

ويجيب على تعنت أمريكا :
لكن من يسكن أنفاس الأشجار
من يوقف مركبة الأعصار
من يطفئ حقد البركان المصهور
ويشيد « عبد الله شمس الدين (١) » بـ « لوموبا » كرمز للكفاح في قصيدته
« اوموبا شهيد الحرية » التي يقول فيها :
نداء رج « أفريقيسا » فهبت وكل عيونها شرر وحقد
ويخلد ذكرى « لوموبا » ويندد بقاتله عميل الاستعمار « تشومبي » :
ولوموبا حكاية كل شعب بكل مكافح سيظل يبدو
سيحيا رغم أنفك يا « تشومبي »
ضياء كل يوم يستجد
وكل مناضل حر سيقى يحيى ذكره شرف ومجد
وفي قصيدة « كوبا » : جيفارا في كل مكان يتحدث « محمد الجيار (٢) » بلسان
أحد البحارة الكوبيين عن « جيفارا » الملحمة الأسطورية ، وعن أيام الحرب
والغارات الأمريكية فيقول :

كنا نسمع جيفارا يصرخ من أعلى الأطواد
وزراه يضيء على جهات الفلاحين البسطاء
كنا نؤمن ان الحب يحارب وهو يغنى
يقتلع جذور البغض بغصن الزيتون
جيفارا قال :
سنحارب أمريكا .. بسواعد أمريكا
نحرقها بلظاها
ونمود نسابق ربح الموت .. ونحن نغنى

(١) ديوان « الله أكبر » ص ١٠٢ وما بعدها .
(٢) انظر محاكمة أمريكا ص ٧٧/٧٥ .

ويرى ان روح « جيفارا » ترفرف في كل مكان وصوته يرن في جميع أرجاء
كوبا مشجعا على الصمود داعيا الى مواصلة الثورة على الاستبداد والاستعمار :

جيفارا في كل بيوت الثوار
نسمع ضحكته بين الأنهار
يقتسم الخبز مع الأطفال
ويهددهم بالانشاد .. ويخرج في اعصار البحر
حيث يصب على أمريكا لعنة كوبا نار الثأر

« والجيار » يضع بهذه الأبيات المضمون القوي الجيد في وعاء مرمرى جميل
بموسيقى منطلقة معبرة(١) ومثل ذلك ما يقوله الجيار في قصيدته « فيتنام ..
جبال النار » مشيدا ببطولة فيتنام منددا بالدور الاجرامى الذى تقوم به أمريكا
فيها مبشرا بانتصار يأتى من بعد ذلك عظيم :

فايتنام .. فايتنام
جرح سلام
نار تآكل عش حمام
ما ذنب الطفل بفايتنام ؟
جيفارا .. ملحمة الانسان
يمتزج دماه بلبن الأم
ما ذنب الناس بفايتنام
هل ذنب الأعين تصغى لنداء الفجر ؟
فسيقتصر على الظلمات الفجر

ويجيب « عبد الله شمس الدين(٢) » البطل «محمد على كلاى» لبطولته واخلاقه
واعلانه اسلامه ونضاله من أجله ولعدم استخفافه برغم الضغوط الكثيرة الواقعة
عليه فيقول :

(١) انظر قصيدة « أغنية لفيدل » لمحمد ابراهيم أبو سنة بديوان « قلبى وغازلة
الثوب الأزرق » ص ٩١/٨٩ .
(٢) انظر ديوان « الله أكبر » قصيدة محمد على كلاى ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

يا صاحب الخلق الرياضى النبيل تحيتى وسلاميه
باسم البطولة والعقيدة قد نصرت وقلت : ها اسلاميه
ولكم لقيت تعصبا من انفس هدامة متفايية
ويحىي « محمد الجيار(١) » محمد على كلاى لرفضه ان يحارب مع أمريكا ضد
قوى التحرر فى فينتام معرضا نفسه للسجن .
يقول القاضى :

لم لا تذهب مثل الجند .. تشب النار ؟
ويجيب كلاى :

أرفض أن ينتحر الحب لأجل البغض
أكره أن ينتحر سلام الناس لأجل الحرب
أختار السجن لأنهم فيه بالحريه
وسأجعل صمتى يحتج على السجنان
يتحول صرخات للناس بكل مكان

والجندى المجهول شخصية رمزية عالمية طالما قدر الشعر بطولته وامتدح
شجاعته .

ومن ذلك ما قاله « أحمد رامى » فى قصيدة « الجندى المجهول(٢) » وفى
مطلعها يحييه ويسميه ويصف صنيعه :

يا شهيد الملا ورمز الفداء لك منى تحية السلام
انزلوك التراب من غير ما اسم ولك اليوم أشرف الأسماء
يا مثالا يضم كل الضحايا فى سبيل الفخار والعلياء
ثم يبين كيف انه أصبح مبعث الأسى والعزاء لليتيم الذى فقد اباه والأخ الذى
فقد أخاه والشكلى التى فقدت ابنا دون أن يعرفوا قبورهم :

(١) انظر محاكمة أمريكا ص ٧٤/٧٠ .

(٢) التصوص الأدبية الجديدة لعبد الحميد حسن وآخرين ص ٩١/٨٩ .

كسـم يزور اليتيم قبرك ظننا أن تكون الأبر في الآباء
وتطوف الثكلى بمشواك زعما أن تكون الأعز في الأبناء
ويشوب الأخ الحزين رجاء أن تكون الأخ الحبيب النائي
جمعتهم بك الأمانى فأصبحت لهم مبعث الأسى والعزاء

لقد كانت دعوة الشعر في مجتسنا الجديد الى الحرية دعوة حارة اتخذ اليها طرقا
مباشرة وغير مباشرة .. ومجد الشعر أبطال الحرية وشعراءها ممن نعرفهم أعلاما
أفذاذا كلوموميا وكاسترو أو لا نعرفهم لأنهم من بسطاء الناس ولكنهم مثال الكفاح
والمقاومة الشعبية الصامدة واتخذهم الشعر كذلك محاور يدور حولهم الحديث عن
الشعر والمقاومة للتجسيم والتجسيد وبناء القالب الشعرى في أسلوب القصصـة
« كزهران » و « أبى القاسم الجزائرى » في قصيدتى « صلاح عبد الصبور »
و « عبد الرحمن الخميسى » وقد يجد الشعر الحرية بالحديث عنها مجردة من
الأسماء الشائعة أو المغمورة كما في بعض قصائد بعنوان « الشهيد » أو « الجندى
المجهول » أو « الحرية » أو غير هذه من الأسماء العامة .

ومن خير ما قيل في هذا المقام قصيدة فوزى العنتيل « الحرية » (١) وهى
قصيدة مطولة نراه يتلمس في مطلعها الحرية في كل شىء وفي كل مكان وزمان .

تنشقت ريحك تحت الغروب .. مع الطير .. في خفقات الجناح
وعانقت نورك .. نور الحياة .. ترف به سمات الصباح

وهو يدعوها الى مباركة خطاه بين الجموع وأن ترش دربه بالعير وتير طريقه
بنور الدماء لأنها ضياء الحياة ونار الطغاة وعلى هداها تسير الشعوب .

ويقرر أن طريقها مفروش بالدم :

لمن يكدحون فلا يحصدون سوى الدم فوق حقول الردى
طريق يمسر به الخالدون وتبنى الشعوب عليه الفدا
ومن أجلها آثر آدم أن يطرد من الجنة وشق موسى البحر وعانق عيسى الصليب
وأبصرت آدم بين العصفون يتمم في سبجات النهدي
طلعت له في انبهار الخلود فآثر آدم أن يطردا

(١) ديوان عبير الأرض ٦٧ وما بعدها .

وناديت موسى فشق البحار طروب الخطى هائما منشدا
وباسمك عائق عيسى الصليب ليحيا طليقا وراء المدى
وقد تدله في حبها العاشقون ، وغنى بألحانها الملهمون وحن لاشراقها الكادحون
وجن باغرائها الفاتحون . ولكن باسمها حكم الظالمون وأذلوا شعوبهم وسجنوهم
وقتلوهم .

وفي النهاية تكون العقبي للاحرار لأن صوت الحرية يصرخ في أضلعهم فما
يزالون في كفاحهم حتى يحرقوا بنارهم قيود الطغاة ويستنقذوا الأبرياء :

ويصرخ صوتك في أضلعي وتزأر حولي رياح السماء
فأمضى أشق طريق الكفاح ويوقظ قلب الحياة ندائي
وتحرق ناري قيود الطغاة ويسقى دمي جنة الأبرياء

وبالأسلوب الرائع الجميل الذي اتبعه كثير من شعرائنا الجدد ومن بينهم «هاشم
الرفاعي (١)» وهو أسلوب الرسائل الشعرية ، يكتب الرفاعي رسالة عن أحد أبطال
الحرية الى آبيه ليلة تنفيذ الحكم عليه بالاعدام يعلنه بنهايته المحتومة بعد ليلة
واحدة :

وبعد ان يصف طعام السجن الذي وجدته مرا لأنه لم يكن من صنع أمه يصف له
صرير السلاسل حين تعبت بها يد السجنان الذي ينظر اليه بين آونة وأخرى بمقلتي
شيطان ولكن السجنان وهو أحد أفراد الشعب « عبد مأمور » ولهذا فان البطل
لا يحقد عليه بل على العكس يتعاطف معه .

هو طيب الأخلاق مثلك يا أبي لم يبد في ظمأ الى العدوان
لكنه ان نام عنى لحظة ذاق العيال مرارة الحرمان
ويدير حوارا بينه وبين نفسه فيسأل نفسه ما الذي أغراه بتلك الثورة الحقاء ؟
ولماذا لم يذعن ككل الناس ولم يكتف أساه ، فان دمه سيسيل وقلبه سيقف عن
النبض ، وسيبقى الظلم ويمضى ركب البغي بلا توقف ؟ وتجييب نفسه عن سؤاله :
أنفاسك الحرى وان هي أخذت ستظل تغمر أنفهم بدخان
وقروح جسمك وهي تحت سياطهم قسماص صبح يتقيه الجاني

(١) انظر ديوان هاشم الرفاعي : قصيدة « رسالة في ليلة التنفيذ » ص ٢٤٢/٢٤٦

ويذكر أنه لا يدري بعد ذلك ماذا سيكون حكم التاريخ عليه ولكن :
كل الذى أدريه أن تجرعى كأس المذلة ليس فى امكانى
أهوى الحياة كريمة لا قيد لا ارهاب لا استخفاف بالانسان
فاذا سقطت سقطت أحمل عزتى يغلى دم الأحرار فى شرايى
ويعود يخبر أباه بأنه فى الصباح سوف يلتف حول رقبتة جبل المشنقة المصنوع
فى البلاد المزعومة بأنها بلاد الحضارة والمعرفة ، ويدعو أباه الى التجلد والتسرية عن
أمه التى ستفجع بموته أكبر فجيعة .

وفى حديث عن أمه يعرض صورة مؤثرة تملأ النفوس ثورة على الظلم والظالمين
فقد كانت أمه تدعو له قبيل اعتقاله ومحاكمته أن يهبه الله بنت الحلال التى تفرحها
قبل أن تموت وهى لا تدري ما يخبئه لها القدر - ثم يقول آسيا عليها :

والآن لا أدرى بأى جوانح ستبيت بعدى أم بأى جنان
ويعود الى أبيه يخبره بأنه سيموت ولكن مبادئه ستعيش وستنصر الخير
والضياء وينهزم الشر والاستعمار وسيبقى هو خالدا فى قلب الشعب وعقله :
لكن اذا انتصر الضياء ومزقت بيد الجموع شريعة القرصان
فلسوف يذكرنى ويكبر همتى من كان فى بلدى حليف هوان
(هـ) الاشادة بالعلم وموقف الشعر من غزو الفضاء : (**)

ومع اشادة الشعر دائما وفى عصرنا الحديث بالعلم والعلماء فان شعرنا الجديد
يقف من غزو الفضاء - كظفرة من طفرات العلم - موقف المتردد المتشكك بل موقف

(**) أطلق الروس أول قمر صناعى - سبوتنيك الأول - ليدور حول الأرض فى
٤ أكتوبر سنة ١٩٥٧ ثم أطلقوا القمر الثانى - سبوتنيك الثانى - فى ٣ نوفمبر
سنة ١٩٥٧ حاملا كلبة تدعى « لاىكا » .
وفى ١٠ نوفمبر أعلن موت الكلبة التى كانت أول كائن حى سافر الى الفضاء
الخارجى وفى ٣١ يناير عام ١٩٥٨ أطلقت أمريكا أول قمر صناعى باسم « المستكشف
الأول » ثم أطلقت عدة أقمار باسم المستكشف وأطلس وفانجارى . وفى ١٤ سبتمبر
عام ١٩٥٩ أطلق الاتحاد السوفيتى قمرا صناعيا للنزول على سطح القمر . وبه أجهزة
لقياس جاذبية القمر والاشعاع الذرى فضلا عن أجهزة إرسال اذاعية وتصوير
فوتوغرافية . ثم خطت الاقمار الصناعية مرحلة انتاج ما يعرف بمحطات الفضاء التى
أطلقت أول محطة منها فى ٦ أكتوبر ١٩٥٩ وتتابع إرسال سفن الفضاء للقمر تحمل
روادا من جانب الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية بهسدف مزيد من
استكشاف القمر بما فيه من صخور ومعادن وغيرها وما يزال البحث جاريا لمحاولة
الوصول الى الكواكب الاخرى لاكتشافها كذلك (انظر أحمد عطية الله : تقويم
الشعب ص ١١٦ .

المكرر المتشدد ، موقف من أذهله ذلك التقدم العلمي الجبار المتجه الى فتح السماء تاركا أرضه خربة مثقلة بالآلام والآثام ، وكان الأفوق والأخلق بالانسان قبل أن يعمر سماءه أن يبدأ بالنصر في تعمير أرضه حتى اذا اطمأن الى أنها لم تعد في حاجة الى خدمته وعلمه انصرف منها الى غيرها مشكورا مأجورا لكنه يترك الأرض تعاني من الآلام وأوصاب ومن فساد وخراب .. يترك الأرض تعاني ما تعاني من ظلم الانسان لأخيه الانسان ، من فقر شديد في ناحية وغنى شديد في جهة ، من سعادة غامرة في مكان ومن شقاء مرير في آخر ، من حروب باردة وساخرة ، من أسلحة ذرية واليكترونية ماحقة ساحقة ، من تمزق نفسى وتوتر عصبى واحساس بالضيايع والاعتراب وكل ما ينتاب انسان العصر الحديث مما يسونه « برض العصر » ويقصدون به الآلام النفسية الحادة التي وفدت مع الحضارة ونجت عن اتجاهات الشر والتدمير فيها .

والشعراء وهم ميزان الوجدان الحساس في الجنس البشرى لا يطبقون ان يروا شرا او يسمعوا نكرا ، أو يلمسوا في مجتمع فقرا .. لا يطبقون ان يحسوا ظلما واستبدادا أو يشيخوا استغلالا واستعبادا . انهم لا يفرطون في الحب والسلام فتيلاً ولا يرضون بغير الرخاء والعدل بديلاً ، فقد تغيرت الأرض غير الأرض والسموات وأصبح الناس وقد تفتحت عقولهم بالوعى على الحق وتطلعت قلوبهم بالنضال الى الحرية وتشوفت نفوسهم بالأمل الى المساواة ، والشعراء حدادة الركب وهداة السبيل لأن عقولهم أكثر تفتحا وقلوبهم أشد تطلعا ونفوسهم أعظم تشوقا . انهم أرهف احساسا وهم أشد مراسا والتماسا لكل ما يحتاج اليه الانسان في كل مكان من حاجات مادية أو معنوية ولهذا لم يكن التقدم العلمي المذهل وهو يغزو الفضاء بواجد في نفوسهم صدى الاصدى القلق والخوف ولا أثرا الا أثر الأسى والأسف لأنهم كلما جدوا وراء حاجات البشرية الضرورية في الطلب جد الانسان الذي يملك اشباع هذه الحاجات في الهرب ولانهم قد أملوا أن يقترب العلم مع أمل الانسان في الأرض يجدونه وقد ابتعد عنه الى السماء .. ولهذا أرسلوا نذرهم وتحذيراتهم الى الانسان أن يكفكف من غلوائه وخطبوا فيه ضميره بعد أن يسوا من مخاطبة عقله أن يصرف اهتمامه بأرضه قبل أن يصرفه الى سمائه .

وهذا « عبد الله شمس الدين » في قصيدته « يا ضمير الانسان » يحزن لما يحدث في الأرض من مأس كثيرة رغم تقدم العلم :

لم تمد بقعة بغير أين واضطراب في الكوكب الأرضي
وكأن الوجسود غاية ذعر رغم عصر التقدم البشري
ويناشد ضمير الانسان ان يكف عن سفك الدماء ولا يجعل العلم مطية الفضاء
والأرض رهينة الارزاء وألا يعادى القمر بسفن الفضاء :

يا ضمير الانسان : أى ارتقاء تبتيغيه وراء سفك الدماء
طسوح الحققد فى فؤادك بالعلم فأضحى مطية للفنساء
بشظاباك قد طحنت قوى الأرض فأمست رهينة الارزاء
ما كفاك الثرى فرحت تعادى قمر الأفق فى سفين الفضاء
كما يناشده ان يرى بالعلم الحق فكل علم مضل ملعون :

لم تحاول وأنت بالعلم تمشى ان ترى الحق وهو يهدى طريقه
لعن الله كل علم مضل لا يرى أهله صباح الحقيقة (١)
وفى المعنى نفسه يقول من مطلع قصيدة أخرى بعنوان « التعصب العصرى »
منددا بالغدور وسفك الدماء واتباع شريعة الغاب بارتكاب الجرائم الوحشية البربرية
فى الوقت الذى يغزو فيه الانسان الفضاء ويتقدم العلم تقدما كبيرا :

فى ثنايا التعايش الأدبى أى غدر وأى طبع دنى ؟ !
ما « لقايل » كل يوم نراه صورة حية لسفك غبى ؟ .
شرعة الغاب ما لها تتراءى كل حين فى مظهر بربرى ؟ !
أين غزو الفضاء أين ضحى العلم وزحف التقدم البشرى ؟ (٢)

وهذا « محمود عماد » ينظر الى غزو القمر نظرة شاعر يحب القمر لأنه يجد
فيه نفسه وأنسه ومجلى فكره وهيام روحه ووجه محبوبه فلا يريد غرضا لسهام
أهل الأرض أو مغنما يفتنم ، فيقول منددا بأهداف غازيه :
على أنهم ما سموا بالخيال لشمر ولكن لكر وفر
وما سمعوا لسوى النقع وحيا يلبونه ان نهى أو أمر

(١) انظر ديوان الله أكبر ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) انظر المصدر السابق : قصيدة « التعصب العصرى » ص ١٣٣ .

ويشير الى أنه ما كان لهم في غزو القمر من حاجة :
وما غاض في الأرض رزق لهم فراحوا يريدونه في القمر
ثم يلتفت الى القمر مواسيا ومعزيا لصنيع أهل الأرض به :
فيا قمر اصبر على ما رمتك به الأرض من شرها المبتكر
لقد جرحت منك وجها لو ان وراء سنك دما لانهم
نراك مراحا لأرواحنا ومورد الهامنا والصور
وهم قد رأوك حديدا وتبرا وجا اذا حصدوه انبذر
نشدناك شعرا وهم ينشدونك خبزا وما الخبز فيهم ندر
ويستنكر أن يكون الهدف في الحياة ماديا فحسب :
أليس لغير البطون على الكون حكم يطاع اذا ما صدر ؟
ويرى أن يبصر العلم بالقلب كما يبصر بالعين حتى لا يضل ولا يضر :
أبا لعين لا غيرها يبصر العسلم ، والقلب يشركها في البصر ؟
أتلك المرائي تفوق الرؤى منافع للفكر دون النظر ؟ (١)
وأما « محمد مصطفى الماحي » فيبدأ قصيدته « عصر الفضاء (٢) » بوصف
غزو العلم للفضاء ويتوقع مزيدا من التقدم في غزو الفضاء :
وليس عجيبا أن نرى بعد فترة ضروبا من الاسفار اثر ضروب
يفر بها الانسان من عالم الثرى الى عالم نائي المدار رحيب
ونلك آية من آيات الله تدل على وحدانيته وقدرته :
ألا انها آى من الله قد بدت فأعيا هداها قول كل خطيب

ولكنه يعود بعد ذلك ليصف أثر ذلك التقدم العلمى على نظرتنا ونظرة
الشعراء الى القمر غير أنه لا يفزع فزع « محمود عماد » في قصيدته السابقة

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢ قصيدة «القمر الجريح»
ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٠٦/١٠٣ .

وانما يقبل هذا التغيير بعد أن يقرره مسلما به كأنه يريد أن يقول لا فائدة من الحزن على فآئت :

وكنا نرى في البدر أروع صورة
يناجيه في برج الصباية عاشق
وكم شاعر ألفاه عونا يمهده
فلما محوا ستر الجبال وشوهوا
تحامته أطياف الخيال ولم تعد
فبات سميم الأمس غير محجب
وأبدع ما يزهاه وجه حبيب
ويشكو له من لوعة ولهيب
بكل بديع في الخيال غريب
مخايل حسن للمقول خلوب
له روعة في مشهد ومغيب
وبات طروب النفس غير طروب

انه لم ينظر الى ذلك التغيير « كمحمود عماد » نظرة شاعر غزلي وانما نظر اليه نظرة مصلح اجتماعي يرى أنه كان من الأولى أن يتسابق العلماء لحل مشاكل الأرض وأهلها ورد حقوق الناس الى أصحابها قبل أن يتسابقوا لغزو الفضاء وأنه كان عليهم أن ينفقوا بعض ما ينفقونه في غزو الفضاء على الأرض ولو فعلوا لأخضب الجذب وعم الخير وساد الأمن :

لقد حرت ماذا يبتغي الناس بعدما
تباروا الى غزو الفضاء بهمة
ولم يكفهم أن يصبوا الأرض عنوة
فطاروا الى الاقمار يستلبونها
وكم جهلوا أسرار كوكبهم وما
ولو أنفقوا بعض الذي ينفقونه
لاصبحت البيد الفساح نضيرة
ورفت ظلال الامن واليمن طلقة
ولكنهم راموا بعلمهم الأذى
سا كشفهم من مشبه وضرب
صدوق وعزم للكفاح صليب
وأن يعمروها من أذى وندوب
بقوة جبار وبطش غضوب
طوى من أخاديد به وسهوب
لاسعاف محتاج وأسو حريب
وصار جديب الأرض جد خصيب
على أمم محرومة وشعوب
ورمناه حصنا من أذى وخطوب^(١)

(١) مهرجان الشعر الرابع ص ١٠١/١٠٢ .

ويقول « أحمد رامى » فى قصيدته « طهروا الأرض » مظهرا المفارقة المعجية فى سلوك تلك الدول المستعمرة فهم يحاولون غزو الكواكب وقد نجحوا فى محاولاتهم الأولى تاركين الأرض فى ضغائنها وحقوقها ، وكان الأولى بهم أن يطهروا الأرض أولا من شرهم ويحرروا البشرية من قيودها التى قيدوها بها :

خسئ الظالمون ماذا يريدون وقد جاوزوا نطاق الحدود
ما كفاهم أن ينهبوا الأرض حتى برحوها وأغلوا فى الصعود
يبتغون الوصول للقمر النائى ويمضون فى الفضاء البعيد
طمعا فى البقاء والعيش فيه مفعم من ضغائن وحقوق
طهروا الأرض من شرور المآسى واغسلوها من الأذى والكنود
قد خلقنا فى هذه الأرض أحرارا ونأبى فيها حياة العبيد(١)

وينجى « عبد المنعم عواد » اتجاها آخر فى التعبير عن قلقه عما يحدث فى الأرض بمناسبة غزو الفضاء .. فهو يدعو راكب سفينة الفضاء لكشف المجهول أن يأخذه معه فى زورقه المسحور ليبتعد عن « عداوات الأنام » و « الحرب والخصام » الى حيث « السعادة والوئام » و « المحبة والسماحة والسلام » وحيث « لا شر ولا غيوم ولا رعود ولا صدام » .. فكأنه فرح بهذا الكشف الجديد ولكن يفضل عليه أن يجد الانسان وسيلة لحل مشاكل الأرض - يقول فى قصيدته « رحلة الى الفضاء » :

يا راكبا متن الفضاء تقض أسرار الفضاء
ماذا اكتشفت من العجائب بين أطواء السماء
خذنى بهذا الزورق المسحور أسبح فى انتشاء
خذنى أقابل ذلك المجهول « ما أشهى اللقاء »
خذنى الى كون بعيد عن عداوات الأنام
لا يعرف الحرب اللعينة لا ولا يدري الخصام

(١) مهرجان الشعر السابع ص ٦٨ وما بعدها .

كون ترف عليه ألوية السعادة والوئام
كون تباركه المحبة والسعادة والسلام
لا شرفيه ولا غيوم ولا رعود ولا صدام^(١)

ويقول « د . عفيفي محمود » في قصيدته « عاد الشتاء » منددا بمن يطلقون
الكواكب عبر الفضاء والأرض أنهكها الصراع والناس ينتظرون مصيرهم ولا
يدرون ماذا يخبىء لهم الشتاء :

عاد الشتاء ولا يزال

الزاحفون على الجليد من الشمال

يستكشفون ويطلقون كواكبا عبر الفضاء

والأرض أنهكها الصراع تسير مثقلة الضمير

والعالم المحموم ينتظر المصير !

ماذا تخبىء في ردائك يا شتاء ؟

وبعد أن يخبى « محمد عبد الحلیم العفيفي » هذا الحدث الكبير في التقدم

العلمي فيقول :

مكنوا في الأرض أسباب العلاء فتسامى علمهم يغزو الفضاء

يتساءل حائرا عما سيترتب على هذا الحدث من آثار على نظرة الشعراء الى

القمر ، وهل في المريخ قوم مثلنا يعيشون في خضم من دموع ودماء . وكيف ستكون

علاقتنا بأهل الكواكب ان كان بها بشر ثم يحكم على الانسان بالغرور :

هل الى البدر طريق آمن وهل الناس عليه سعداء ؟

هل سيقتى البدر سرا ملهما يتغنى فيه شعر الشعراء ؟

هل على المريخ قوم مثلنا في خضم من دموع ودماء ؟

انه الانسان مفرور على أرضه يمدو حدود الضعفاء^(٢)

ما الذى ينشأ فيما بيننا من وشيجات اذا تم اللقاء ؟

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) انظر تقويم الشعر العربى الخامس ص ٧٦ ، ٧٧ .

ولعل « محمود غنيم » هو أحد القلة من الشعراء الذين هزهم حادث غزو الفضاء فهتفوا له ورحبوا به ولكنهم لم يلتفتوا الى المفاضلة بين قبوله مع بذل الجهد وصرف الوقت وانفاق المال الكثير . وبين حل مشاكل أهل الأرض بتحقيق الحرية وتوفير الخير وكفالة العدل وقرار السلام . ولعل السبب في ذلك أنه قال قصيدته « غزو الفضاء » حين فاجأ هذا الحدث العالم فأدهشهم وأذهلهم وأنطق ألسنتهم بالاستغراب ثم بالترحات به كإكتشاف علمي . أما بعد أن هدأت النفوس وأفاق الناس من دهشتهم فقد أمكن أن يفكروا في عقد الموازنات والمفاضلات وينتهوا أو ينتهى الشعراء منهم - لشدة حساسيتهم بمشاكل الناس - الى أنه كان للأولى والأحق أن يكون الاتجاه أولاً الى حل مشاكل الناس في الأرض قبل التفكير في غزو الفضاء وإكتشاف الكواكب الأخرى .

يدعو « محمود غنيم » في مطلع قصيدته العلماء أن يحثوا ركبهم للصعود الى النجوم فقد أصبحت بالعلم قريبة :

غزاة السماوات حثوا الركابا الى النجم قد أصبح النجم قابا
ويتساءل هل سيفتح العلم مغاليق السماء فنصل الى المشتري وعطارد وغيرهما
من الكواكب ؟

ثم يصف قوة الصواريخ ويصور سرعتها وتشكك النجوم في أهدافها :
صواريخ تطوى السموات طيا كما راح يطوى السجل الكتابا
وتهتف في وجيل قائلها ويسألها لو ترد الجوابا
كأني بالنجم يرنو اليها حسامة سلم أرى أم غرابا
ويتصور أن في الكواكب سكانا ولكنه لا يدري آكانوا قادرين على الوصول
اليها أو لم يكونوا قادرين :

ترى هل أرادوا اليها الوصول فعز عنهم وضلوا الصوابا ؟
ويخشى أن يبدو القمر الذي عشقناه من قبل بعد إكتشافه قبيحا :
وأخشى اذا ما نزلناك الا يكون جمالك الا سرايا

ويتساءل - وواضح أن هذه التساؤلات متقدمة على الاكتشافات الأخيرة التي أجابت عن كثير منها - يتساءل أفى القمر أناس يأكلون ويلبسون ؟ هل به شتاء وصيف ؟ هل يتعب فيه الناس لكسب الرزق كما تتعب ؟ وهل آدم أبوهم قد ورثهم العذاب كما ورثنا ؟ وهل يدينون بأديان ؟ وهل يحتربون أو يعيشون صحابا ؟ ويجيب لقد اختلف في ذلك القوم وبقى القمر لغزا ! :

كذلك كنت وما زلت لغزا اذا ما بحثناه زدنا ارتيابا
ثم يبدى أسفه عليه لانه كان مصدر وحيه لانه يذكره بحبه المولى وبشبابه
الضائع :

وكم كان نورك مصدر وحىي وكم بك شبهت خودا كعابا ؟
وكم قمر ذى سنا كسناك سقانى من شفقيه الشرابا ؟

ثم يخاطب أهل الكواكب متواعدا على اللقاء معهم على أرضهم بعد حين :

سلاما بنى النيرات الى أن نزور حماكم ونغشى الرحابا
مع العلم نحن على موعد وآمل ألا نطيل الغيابا
وليس يعز على العلم شيء وكيف ومنه رأينا العجابا ؟ (١)

ومثل « محمود غنيم » « عامر بحيرى » الذى تحدث في قصيدته « في فضاء الكون » عن رحلة رائد الفضاء الثانى « تيتوف » الروسى في أغسطس سنة ١٩٦١ فقال واصفا سرعة الصاروخ الذى حمل رائد الفضاء وانتقاله في طبقات الجو :

في فضاء الكون كالسهم انطلق كل قلب لعلاه قد خفق
جاوز الأنجم فى أبراجها وجرى بين سديم وشفق

ثم يصف شجاعة « تيتوف » وكيف ذهل منها الجن :

مر « تيتوف » بجو لو مضى فيه بين الشهب جن لا حرق
دار حول الأرض أياما وما هى الا ساعة منذ انطلق (٢)

(١) انظر مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ص ١٢٤ ، ١٣٥ .
(٢) انظر النصوص الأدبية الحديثة لعبد الحميد حسن وآخرين ص ٥٣ : ٥٥ .

ويوزر « يورى جاجارين » رائد الفضاء الروسى مصر فثبير الزيارة فى نفس
« محمد هارون الحلو » ذكريات الرحلة الموقفة التى قام بها الرائد الثانى
« جيرمان تيتوف » حول الأرض وينظم قصيدة طويلة يقول فيها واصفا سرعة
سفينة الفضاء التى أفرزت الجن ، ثم يطلب من « تيتوف » أن يصف مشاهداته
العجيبة :

قل لـ « تيتوف » تحدث بالذى هو فى التصديق لا فى الكذب
فالخىالات التى طفت بها جوهر الفن ونبع الأدب

ولا ينسى بهذه المناسبة أن يذكر جميل قومه فى عدوان سنة ١٩٥٦ حين أندروا
المعتدين بالرحيل فكان ذلك مع صمودنا وجهاد شعبنا وجيشنا عاملا من عوامل
النصر :

نحن لا ننسى الألى حققوا بنا ساعة الروع ويوم الرهب
يوم مال الذئب منا واستوت فى ذرا الغاب ذوات المخب
وبنو العرب خفاف للوغى يفتدى الغاب شباب العرب

ثم لا ينسى مع هذا الانتصار الروسى أن يذكر أن بلادنا تتطلع الى أعلى وتمضى
بقيادتها قدما الى الأمام :

اننا نحيا لمعنى خالد انه فىنا بلوغ الأرب
وبنو العرب جميعا أمة ان دعا الداعي له تستجب
قد اتخذنا « ناصر الحق » هدى واماما وهو حصن العرب(١)

ومما سبق من أمثلة أوردناها فى الاتجاه الانسانى يتضح أن شعرنا الجديد
قد استطاع أن يعبر عن روح العصر فضلا عما تجيش به صدور أبناء المجتمعات
النامية من رفض للاستعمار بشتى أشكاله وألوانه ، ومهاجمته لكل دولة تقف فى
وجه الشعوب لتحقيق العدالة واقرار الحريات وحقوق الانسان وعلى رأس تلك
الدول الاستعمارية الولايات المتحدة الأمريكية ، كذلك قد استطاع أن يعبر عن

(١) النظر تقويم الشعر العربى الخامس ٨٤/٨٢ .

أمل الانسان في السلام يرفرف بجناحيه على الأرض ويكسو بظله الظليل وجهه الحياة . وأما أولئك الذين وهبوا حياتهم وكرسوا جهودهم من أجل تحقيق أهداف الانسانية في العزة والكرامة فقد كان من حقهم على الشعر أن يقول فيهم قولاً يخلد به ذكركم ويعلى به شأنهم وذلك ما فعله شعراؤنا فقد أشادوا بشاهير الأبطال العالميين الذين قادوا شعوبهم الى الكفاح ورسسوا للانسانية في كل مكان طريق الخلاص . كذلك أشاد شعراؤنا بتقدم العلم ولكنهم وقفوا من علم الفضاء وغزو الكواكب موقف الحذر بل موقف المنكر لذلك العلم الذي ينطلق الى أجواز الفضاء ، والانسان باق على ظهر الأرض يرسف في قيود الظلم والفقر ويعانى من شتى المشكلات . وكان تعبير الشعراء عن كل تلك المعانى والمضامين الانسانية صادرا عن عاطفة صادقة واحساس أصيل بأزمة السلام والحرية في عالمنا الجديد . ولم تعوز كثيرا من شعرائنا أداة البيان لوضع تلك المعانى والمضامين في اطرافها المناسب الجميل .

الفصل الخامس

الاتجاه الذاتى

وفى هذا الاتجاه يعبر الشاعر عما يهيمه فى ذاته مما هو انعكاس لأحداث المجتمع والعصر - فهو يصور الواقع النفسى المنعكس من واقع الحياة المادى .

ويكاد يكون كل شعراء العروض الحر قد انصرفوا اليه فى هذه المرحلة مع تكريس معظمه فى التعبير عن احساسهم بالاغتراب الروحى والتمزق النفسى والضياع .

وهذا ما دعانا الى الاقتصار فى بحثه على ما يجرى منه هذا المجرى . ومما ينبغى الاشارة اليه أن هذا الشعر الذاتى هو أثر من آثار الرومانتيكية التى كانت نحن حيننا متصلا الى الطفولة وتعزف عن حياة المدينة وتحسن بالألم الدفين وتشعر بالقلق الشديد وترى أن العالم فراغ رهيب وترسف فى قيود من الحيرة الكئيبة وتتأمل الوجود والناس والأشياء وتفلسف الحياة .. الى آخر تلك المعانى التى اختصت بها الرومانتيكية . وهذا اللون من الشعر دليل على حرية شاعرنا الجديد وهى الحرية التى تصحح فى مجتمعنا معنى الالتزام وتصرفه الى معنى الالتزام التلقائى .. الالتزام النابع من ذات الفرد لا المفروض عليه من خارجها وهذه الحرية الذاتية هى ما تميز به مجتمعنا الاشتراكى عن غيره اذ انه مع ايماننا بالجماعة وحقها من التوقير والتقديم نؤمن بالفرد وحقه فى التقدير وتحقيق الذات .

فهذا الاتجاه الذاتى بهذه الصورة يؤكد أن واقعيتنا واقعية عريية متميزة ليست تطرفا يساريا ينحصر فى الواقع المادى واقع الطبقات الشعبية الكادحة وشئون الحياة اليومية والعادية تذوب فيه شخصية الفرد فى شخصية الجماعة ويبدو

فيه الالتزام كنوع من الازام . وليست تطرفا يمينيا يقتصر على الواقع النفسى ليصف هموم النفس وأشواقها ويدور حول آلامها وآمالها فتتحقق فيه الذات الفردية وتمسح الذات الجماعية ولا يبقى فيه أثر من آثار الالتزام بقضايا المجتمع.. وانما هى واقعية تجمع بين المضمون الجمالى والمضمون الجماعى ، تؤمن بالفردية ، كما تؤمن بالجماعية .. هى واقعية ترى أن يلتزم الشاعر بقضايا المجتمع وجماهير الشعب العامل فيعبر عن واقعها ويدافع عن قضاياها ويصف حياتها ويقرب من أسلوبها ويتخذ الأشكال والتقنيات الملائمة للعصر للتعبير الواسع عن كل ما فيه ومن فيه مما هو ظاهر من الناس والأشياء وما هو خفى من المعانى والأفكار .. كما هى واقعية ترى أن يكون الالتزام حرا لا يفقد فيه الشاعر حريته الفردية وغناه الذاتى فالقن كله – والشعر منه على وجه الخصوص – لا يمكن أن يقيد بقيود أو تحدد له حدود ولو أحس الشاعر بشيء يحد من حريته لم يستطع أن ينشئ القول أو ينظم القصيد .

فالى جانب شعر الوجدان الجماعى وهو الذى يعبر عن واقع المجتمع ملتزما بأهدافه متفاعلا مع أحداثه منفعلا بها متخذا منها موقفا بالتأييد والتعاضيد أو بالاستنكار والتنديد . وهو الذى يعبر كذلك عن واقع الحياة خارج حدود المجتمع واقفا منها موقفا بالرضا أو السخط والموافقة أو المعارضة الى جانب شعر الوجدان الجماعى ذلك ، كان يقوم شعر الوجدان الذاتى وهو الذى يعبر عن الواقع النفسى للشاعر ذلك الواقع المنعكس على نفسه من بعض ما يحدث فى الواقع الاجتماعى مما يسر أو يسيء .

أسباب ظاهرة الاغتراب والقلق النفسى فى شعرنا المعاصر :

وكثير مما نقرؤه فى شعر هذا الجانب الأخير – كما ذكرنا – يعبر عن الاغتراب الروحى أو القلق النفسى الناتج عن أسباب عديدة يمتد بعضها الى ما قبل الثورة ومن بينها تلك الحضارة الغربية التى هاجمت الشرق العربى بماديتها المفرطة حاملة معها ضروبا من الافراط فى الانكباب على اللذات خاصة أيام الحرب العالمية الأولى وبعدها وتنتج عن ذلك تناقض شديد بين حياتنا الشرقية البسيطة وما جلبته المادية الغربية الطارئة اليها مما أدى الى هزة عنيفة فى الفكر والحياة الاجتماعية .

كذلك مما أدى الى التمزق الوجداني الشديد في مجتمعنا وطبع شعرنا بطابع الاغتراب الروحي . فشل الثورات العربية : ثورة مصر سنة ١٩١٩ والعراق سنة ١٩٢٠ والشام سنة ١٩٢٥ مما أورث النفوس قلقا شديدا وهما ناصبا خاصة بعد ازدياد التكالب على الحكم على حساب الحركة الوطنية .

وازداد الاحساس بالمأساة وامتلأت النفوس أسى وحسرة حينما وقعت نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ واحتل العدو الاسرائيلي الأرض المقدسة وطرد شعبا بأسره من أرضه وأرض آباءه وأجداده ليعيش لاجئا مشردا يقتله الجوع والظما والحر والقر والأسى والأسف وليحس كل عربي في كل بلد عربي بالخنجر المسموم يخترق ظهره حتى سويداء القلب وتعيش النكبة في عقول العرب ونفوسهم وتنمو باستمرار ويزداد لهيبتها اشتعالا كلما جد عدوان جديد حتى وقع عدوان عام ١٩٥٦ فجدد ما ورث من احساس بالخطر الصهيوني لولا الانتصار الرائع الذي حققه شعب مصر على المعتدين . ولكن وقع عدوان عام ١٩٦٧ وكانت النكسة العسكرية وامتد السرطان الصهيوني من أرض فلسطين ليصل الى القاهرة وعمان ودمشق وبيروت فأحس العرب بخيبة الأمل في الناس والقادة والقانون والقيم وأصبح الاحساس بالاغتراب في ذلك الوقت أضعاف أضعاف ما كان عليه في أى وقت مضى .

ومن أسباب الاحساس بالاغتراب الهجرة من القرية الى المدينة ، من البساطة الى التعقيد من الانفتاح الى الانغلاق ، من التعامل مع الطبيعة المكشوفة المحدودة الى التعامل مع الذكاء الانساني غير المحدود في صور المخترعات الحديثة المذهلة . والهجرة من القرية الى المدينة أمر طبيعي وقد أصبح ضروريا لطلب العلم . فالجامعات والمعاهد العليا تتركز في المدن الكبرى . كما أصبح ضروريا لكسب الرزق فالمصانع والشركات تقوم في المدن الكبرى أو على حدودها .

والتصنيع في المدن الكبيرة يطبع النازحين من القرية الى المدينة بطابع القلق والاهتزاز النفسى ، نتيجة لتغير حياتهم الجديدة في المأكل والملبس والمسكن واختلاف ثقافتهم وتمكيرهم وقيمهم وتبدل نظرهم الى الحياة وانتقالهم في تقاليدهم من المحافظة الى شئ من الانطلاق والتحرر .

وترتب على الهجرة من القرية الى المدينة وتحول المجتمع من مجتمع زراعى الى مجتمع صناعى أن تفتتت الأسر وتفككت الأواصر والروابط التى تربط بين الناس بعضهم وبعض مما زاد الاحساس بالعزلة والغربة والضياع .

والقوارق الطبقية والاستغلال الاقتصادى والتمييز العنصرى يعد من أسباب الاحساس بالاعتراب على المستوى المحلى والعالمى .

على أن هناك اغتراب الفراق سواء أكان فراق الأحياء بالموت أو فراقهم بالهجرة وتفرق الشمل وهو ما لا يكاد يسلم منه أحد .

وعلى أن من العوامل الهامة التى أدت الى انطباع شعر بعض شعرائنا بذلك الطابع النبائى الحزين الراض للحياء الحديثة ، اطلاق شعرائنا على إنتاج شعراء الغرب من أمثال « ت. س. اليوت » وبخاصة قصائده فى هذا الباب مثل « الأرض الخراب » و « الرجال الجوف » فقد أحسوا أن هذا الشعر يمس وجدانهم المأزوم فנסجوا على منواله . ف « اليوت » يرى فى الانسان المعاصر انسانا مقفرا مشلول القوة محطم الارادة ويتصور العالم الذى يعيش فيه مهلكة أولى بالموت . وهذه هى الفكرة التى يمرضها فى قصيدة « البياب » أو « الخراب » . وكلمة البياب توحى بالجذف والجفاف . وبهذا يرمز « اليوت » الى الحضارة الحالية الخاضعة للآلة التى قضت على الانسان بالجذب العاطفى والروحى . ولا شك أن الماء هو العنصر الذى يخلص البياب من جفائه وهو القادر على أن يطفىء الظمأ الروحى . ونحس أيضا أن النفسيات التى تمثلها هذه القصيدة رموز للملايين التى تؤدى أعمالا روتينية مملّة وتسير حاملة نفوسها فى اتجاهات لا جدوى وراءها وتعيش فى عالم لا تحكمه الوحشة فحسب بل تزيد عليه وتتغلغل فيه ضروب من الشك والفوضى^(١) .

فأكثر شعرائنا الجدد قد استلهموا « اليوت » فى تعبيرهم عن الموقف الحضارى والصدى الفاجع الذى يشعرون به .

(١) انظر احسان عباس : فن الشعر من ١٩٧٧

واتساع ميادين الثقافة مع التصور في استيعابها لتمثيل انسان العصر سبب من أسباب الاغتراب الفكرى ونحن جميعا نحس بالاغتراب بسبب تخلفنا عن الثقافة الانسانية العالمية والشاعر أشد احساسا فهو أشد احساسا بالاغتراب لهذا السبب ، كما يقول « صلاح عبد الصبور » :

الكتب والأفكار ما زالت تسد جبالها وجه الطريق .
وجه الطريق الى السلام(١) .

ولكن مهما يكن نصيب الشاعر من الثقافة ضئيلا فهو أكبر من نصيب كثيرين غيره ممن تجود عليهم الحياة بالشهرة والثروة والجاه ، وقد يكون هذا سببا آخر من أسباب الاغتراب .. اغتراب الشاعر بنفسه ، واعتداده بقيمته وسخطه ألا يأخذ نصيبه من حظ الحياة على قدر ما هو عليه من ثقافة واحساس .

وقديما قال الشاعر :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقد أحس المتنبي قديما بالفربة الفكرية حين قال وهو يدرك أن الحياة لا تعطيه على قدر علمه وثقافته :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أنى بما أنا بك منه محسود
يقول « غالى شكوى(٢) » :

« وتصيدة الأرض الخراب التي شاعت روحها في الشعر العربي قد التقت مع روح اليأس التي كادت تخنق الأجيال المعاصرة في أعقاب كارثة فلسطين وأثناء سيطرة الأنظمة الرجعية في جميع أنحاء المنطقة المصرية سيطرة تامة في تآزر وثيق مع الاستعمار .

« ويقترن في الشعر العربي الاحساس العميق بالخراب الذى يحيق بالحضارة الانسانية في ظل التقدم العلمى بمناشدة الانسانية الالتفاف حول القيم الروحية كخلص وحيد من مأساة العلم والعقل .

(١) الناس فى بلادى ص ٦٩ .
(٢) انظر شعرنا الحديث الى أين ؟ ص ٢١٥ .

« ولكن واقعنا الشعوري العربي يتباين عن الواقع الحضارى المنهاري في الغرب فواقعنا نضالي ثوري من أجل الاشتراكية والتقدم العلمي بخلاف الواقع الغربي ، والعلم بغير اشتراكية هو المعمل الذرى للقتال النووية ، أما العلم بالاشتراكية فهو منهج الحرية والتقدم والسلام » .

ولهذا فانحصار أكثر شعر بعض شعرائنا الجدد في الاتجاه الذاتى القائم على رفض الحياة بعد تقليدا ونقل أكثر منه اتجاها طبيعيا يصور واقعهم وواقع مجتمعاتهم النفسى .

ان غربتنا اجتماعية على صعيد النضال السياسى وليست حضارية على مستوى الرفض للحياة ذاتها كما هى عن الشعراء الغربيين ، ولهذا ينبغى أن يعرف شعراؤنا هذا الفرق ليصعدوا في شعرهم عن أصالة وخلق في هذا الجانب أو غيره لا عن تقليد أو نقل .

ان اتجاها الذاتى في الشعر المعبر عن الاغتراب والضياع والتمزق النفسى هو نوع من الرومانسية يختلف عن تلك التى سادت مجتمعا قبل الثورة ، فلقد سادت الرومانسية الخالصة قبل الحرب العالمية الثانية واستمرت أصداؤها حتى الثورة المصرية عام ١٩٥٢ . وفي تلك المرحلة نجد كل خصائص الروح الرومانسية مثل الحيرة والاحساس بالغرابة نجد الحزن والحنين يحسهما الشاعر في نفسه ويلتصهما في مظاهر الطبيعة من حوله .. نجد القلق الفردى الذى عاش حالة القلق العام قبل الثورة والذى وان لم يتحدث صراحة عن الأهداف الاجتماعية أو السياسية الا أنه يعبر بطريق غير مباشر عن التطلع الى شىء بعيد رائج نهفو اليه دون أن نحدده .

أما الرومانسية بعد الثورة فهى روح رفاف يتخلل الاتجاه الواقعى العام ، ولا بد من التعبير الذى يؤكد حق الانسان العربى الجديد في أن يعبر عن ذاته كما يعبر عن مجتمعه وعن الحياة ، ليميز عن انسان المجتمعات المتشددة في الالتزام بقضايا المجتمع وحياة الجماهير .

« وستظل الرومانسية دائما لصيقة بالشعر مهما تطورت أشكاله وتباينت مذاهبه ، ذلك لأنها ليست مذهبا فكريا أو فنيا قدر ما هى حالة نابعة من الطبيعة

الانسانية ذاتها في كافة عصورها . حتى ان « مكسيم جوركي » نفسه رائد مذهب الواقعية الاشتراكية يرى ان أروع الاعمال الأدبية وأخدها هي التي تمتزج فيها الرومانتيكية بالواقعية . ذلك ان الرومانتيكية هي في جوهرها عشق للجمال المطلق وللمثل الأعلى ، وتمرد على القيود الجامدة وتوق الى التحرر والانطلاق ، وايمان بالمبادئ السامية واحساس بالأم البشر من خلال الألم الفردي . ولن يفك الانسان ما دام انسانا عن أن يتغنى بالحب والألم والشوق والأمل وان كان الاتجاه الحديث يريد أن يربط الألم الفردي بالألم العام أو يذويه فيه . ولكن مهما يكن المجتمع مسئولاً عن كثير من الآلام الفردية بالظروف الاجتماعية التي خلقها حول أفرادها فسيظل هناك جانب فردي له أسبابه الخاصة التي لا يملك الشاعر الا أن يعبر عنها تعبيراً خاصاً ، هو في نفس الوقت تعبير عن الانسان الذي سيظل يحب ويفرح ويتألم ويشور . والرومانسية لا تصبح شيئاً بغيضاً الا حين ينحرف بها الادعاء والمقلدون الى الميوعة أو المبالغة الجوفاء في التعبير فيبتعد عن الصدق الذي هو عماد كل فن حق^(١) .

واذن فالرومانسية موجودة وحسن أن تكون موجودة ولكنها في حاضرتنا تختلف عنها في ماضيها فهي في حاضرتنا نوع مرفه ملطف بينما هي في ماضيها اتجاه عام ، وبهذا المفهوم يجب أن يكون شعرنا الجديد ، كما يجب أن تكون نظرتنا الى هذا الشعر .

مجالات الاغتراب في شعرنا الداتي :

تبدو ظاهرة الاغتراب والقلق النفسي في شعرنا الجديد في مجالات متعددة وأغراض شتى نذكر منها على سبيل المثال المجالات أو الاغراض الآتية :

١ - الثورة على الاستعمار والظلم :

الاستعمار وما يجره من ويلات على الشعوب المحبة للسلام من أهم أسباب الاحساس بالغربة ، فما تزال مأساة الشعوب مع الاستعمار كما كانت منذ عشر سنوات أو يزيد هي المأساة الرئيسية التي توجه كهاجس الانسان المعاصر وبالرغم

(١) انظر مالك عبد العزيز : مقال « انشودة الطريق وانغام الشعر المعاصر » : الكتاب عدد مايو سنة ١٩٦٢ ص ١٠٢ وما بعدها .

من أن أكثر من ثلث العالم قد نفض الى الأبد غبار الأنظمة الاستغلالية ، إلا أن الاستعمار ما يزال رابضاً في بقاع كثيرة من العالم يهدد كل لحظة مكاسب الشعوب التي تحررت حديثاً أو منذ وقت طويل على السواء .

وان موقف الاستعمار القديم والحديث من الشعوب العربية ومن شعبنا المصرى وتطوره في تعسفه كلما أحس بأن زمام الموقف قد خرج من يده يدفع بالوقوف منه موقف التحدى من ناحية ولكنه يملأ النفوس الشاعرة الحساسة التي ترغب في السلام والرخاء وتؤيد قيم الحق والخير والجمال .. يملأها مرارة وأسفاً . ولهذا كان احساس الشعراء بالاعتراب عميقاً نتيجة لتثبيت الاستعمار بأطماعه ولمواقفه في اشاعة الخوف والقلق وهدم القيم الانسانية التي آمن بها الانسان وتمنى بها الشعراء في كل زمان ومكان .

ومن القصائد الرائدة لشعرائنا الذين صدمتهم مواقف الاستعمار الاجرامية قصيدة عبد الرحمن الشرقاوى « من أب مصرى الى الرئيس ترومان » التي كتبها قبيل قيام ثورة ١٩٥٢ ، وهي رسالة أب يريد الحياة لابنته الصغيرة البعيدة عنه ولزوجته ولجميع الأطفال والنساء والشبان في العالم كله ، يريد أن يحميهم من الحرب والدمار والقتل ، أن يحول القواعد العسكرية الى مدارس وجامعات والأسلحة الميكروبية الى دواء للمرضى والقنابل الذرية الى طاقة تغلب الصحارى الى حدائق وجنات ويريد أن يمنح ترومان ودعاة الحرب من اتمام جريمتهم (١) .

فهو يسترحم قلب الرئيس ترومان ألا ينسى مشاعر الابوة التي تجيش بقلوب الملايين من الآباء الذين يهددهم الدمار الأمريكى بالفتاء هم وأبناؤهم وشعوبهم جميعاً ، ويوجز الشاعر في رسالته قصة حياته منذ كان طفلاً يقشعر بدنه من وبيلات الاستعمار الانجليزى الى أن أصبح صبياً يهتف في المظاهرات بسقوط الاستعمار الى أن تفتح وعيه في مرحلة الشباب على المأساة الانسانية الدامية مأساة الصراع بين الشعوب المحبة للسلام من جهة وآلة الاستعمار والدمار من

(١) من مقدمة ابراهيم عبد الحلیم للقصيدة وانظر شعرنا الحديث الى أين ؟ ص ٢٠٣ .

الجهة الأخرى ويختتم قصيدته الى « الأب ترومان » أن ينتصر على الاله ترومان حتى تعيش ابنة ترومان وابنة الشرقاوى في سلام دائم^(١) .

فهو يخلص بالتجربة الذاتية من الانعزالية ويخلص التجربة العامة من التقريبية فيحيل التجربة الخاصة الى تجربة عامة . انه يحس بالعربة والبعاد عن ابنته ويسعى من أجل أن يصون الغد لها ولكل الأطفال :

فإن كنت يا سيدى قد أطلت وقد سقت هذا الحديث الحزين
فانى حزين

حزين شقى لبعدي ابنتى
ولست أريد لها أن تموت ، فرفقا وأنت تخط المصير
أترمى حماماتنا بالنسور ؟

وأنت تصون حياة ابنتك

فهل تصنع الموت للأخريات ؟

ستحيا ابنتى في ظلال السلام وتنعم باللعب الوافره

تمارس كل حقوق الحياة ، حقوق طفولتها الزاهره

فأنا لمنتك التضحية ، وتاريخ أجيالنا الآتية .

انه اذن يستلهم الموقف السياسى ويتجاوزه في نفس اللحظة الى آفاق أكثر رحابة وعمقا فهو لا يوجه الخطاب الى ترومان وحده بدليل أنه خطاب مفتوح وانما يوجهه الى كل انسان على ظهر هذا الكوكب يحل بين جنبيه مشاعر الابوة وبمعنى آخر يحمل انسانيته أو جوهره الانسانى^(٢) .

ومثل قصيدة « الشرقاوى » القصائد العديدة من شعر شعرائنا المجيدين الذين انفعلوا بأساسة الاستعمار القديم والحديث في بلادنا وفي شتى بلاد العالم وما جره ولا يزال يجره من ويلات وما سببه ولا يزال يسببه من تأخر وتخلف . وقد ذكرنا أمثلة منها في الاتجاه الاجتماعى .

(١) شعرنا الحديث الى أين ؟ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٢) انظر الحنين والغربة ص ٥١ .

٢ - الثورة على فساد الذمم واختلال القيم وسوء الاخلاق :

ومن مظاهر الضيق النفسى والاحساس بالغرابة ، الثورة على فساد الذمم واختلال القيم وسوء الأخلاق لا فى مجتمعنا وحده وانما على الصعيد العالمى كله .
حيا يحدث من صراعات وحروب باردة وساخنة يدور فيها خداع ومناورات ودسائس على نطاق كبير تجنى البشرية من ورائها شرا مستظيرا .

وهذا « كمال عمار(١) » أحد شعرائنا الشبان الذين يبلأون شعرهم بالرمز .. يشكو فى قصيدته « ثرثرة رجل منفرد » من نقص الخير أو انقطاعه لفساد الذمم وموت الضمائر .

تسألنى ما بال حديقتنا
كفت هذا العام عن الاثمار
ذلك أنا صلينا من غير وضوء
وزعمنا أنا أطهر من حبات الثلج
وكذبنا حتى صارت أعيننا دون جفون
حتى لما رحنا نسعى للحج
صرنا نخدع ملاح الزورق
حتى لا نعطيهِ الدينار

كذلك يشكو من نقص حريته وقلة راحته فى حالتى كتمانهِ ونطقهِ لأننا :

ان نكتم ينشق الصدر
أو ننطق ينفتح القبر
وعلينا أن نختار

ويصف انتقال حال الناس من سىء الى أسوأ ، فجده كان خيرا من أبيه وأبوه خير منه :

جدى كان عظيما وكريما

(١) انظر : أنهار الملح ص ١٠٠/٩٧ .

وهاجا يعطى من غير سؤال
جاء أبى فانخفضت أنيسة الجود
أصبح لا يعطى الا من يسأل
وأنا جئت الكون عجوزا وعقيما
سألونى فهزرت الكتفين
ومضيت أثرثر بالكلمات المختنقات

ثم يستخلص أسفا العبرة من جفاف ثمر الحديقة وهى أن الشوك حصاد
الشوك والدمعة بنت الأحزان .. طالبا من الله الرحمة للناس :

تسألنى ما بال حديقتنا
وأنا أسأل ما بالك تسأل
وكأنك تجهل أن الشوك حصاد الشوك
وكأنك تجهل أن الدمعة بنت الاحزان
فليرحمنا الرحمن !

وفى قصيدة « فى انتظار الرقم ٦ » يبكى فقد الوفاء فهو يكتشف أنه خامس
عاشق لمن أحبها ولا يخاف أن يصبح الصباح وفى يدي محبوبته عاشق جديد .
وليس ذلك بغريب :

فهكذا طبيعة الأشياء
وطالب الوفاء فى زماننا السعيد
كمن يمد رأسه الى الردى ! (١)

وينعى على التظاهر فى قصيدة « رحلة الألف ميل » فقد دعاه الى وليمة سيد
عظيم ولكن الحراس منعه . وأصر على مقابلة السيد :
وأتيت لاطعن بسؤال لا أعرف معناه

(١) أنهار الملح ص ٩٢/٩٦ .

خيم اذن دعوتكم لى ؟

فيجاب :

نحن دعوناك كما ندعو الغير
ليقال بأن العالم ما زال بخير
وبأن لسيدنا روحا أنقى من أرواح الطير
ويتخلص من الموقف آسفا :

ومددت يدي لوداع لا يتلوه لقاء
ومسحت عيوني لست أصدق
وانحيست في الانفاس

يا ربى .. عنى ماذا سيقول الناس ؟ (١)

وينعى « كمال نشأت(٢) » في قصيدته « أحلام فارس قديم » بلسان الفارس
مدينته القديمة فهى « أسطورة محنطة كمومياء ملك رميم » مناديا فى أسى :

يا من رأى مدينتى

والشمس فوقها ضباب

تقطرت مدامعا .. مدامعا

ويندد بقائد القبائل الغضاب « فى المدينة لأنه أراد بالحروب وارقة دماء
جيشه ، الشهرة والمجد ولو أدى ذلك الى هلاك شعبه » :

كسم معمه

رشتت فيها أسهمى

فتنشر الخراب

وكم سمعت فى الدجى

« الجند فى المدينة »

(١) انهار الملح ص ١١٧/١٢٢ .

(٢) انظر ماذا يقول الربيع ؟ ص ٧ وما بعدها .

من كهلة مروعه
تشبثت بظفلها . .
وتسهل الخيول
في موكب الفخار
وأنت في المقدمه
تحصد من دمائنا
أكذوبة اتصار

والقصيدة رمزية ولعله يرمز بالفارس الى نفسه وبالمدينة الى بلاده في ساعة
من ساعات غضبه لما يحدث من صراعات لا يراد بها من وجهة نظر الشاعر - وجه
الحق بل رغبة الشهرة وكسب المجد .
٣ - الضيق بحياة المدينة :

من مظاهر الاحساس بالاغتراب الضيق بحياة المدينة والاحساس بعدم التكيف
الاجتماعى والنفسى والنفور من الحضارة والرغبة في البساطة والانطلاق
من قيود المجتمع .

ومن أمثلة ذلك شعر « أحمد عبد المعطى حجازى » فقد أصدر ديوانا سماه
« مدينة بلا قلب » ويقصد مدينة القاهرة التى نزع اليها وشاهد فيها انصراف
الناس كل الى عمله مشغولاً به الى حد انقطاع الصلة بين بعضهم وبعض حتى ليظن
أنهم يعيشون بلا عواطف تربطهم وبغير قلوب تخفق بالحنان والرحمة .

فقبل أن ينزع مضطرا من القرية الى المدينة يصور المساء الأخير الذى ودع
فيه القرية وداع الحب الوامق ، ولكنه يحزم متاعه ويرحل فى سبيل لقمة العيش يترك
أهله وأحبابه فى القرية ليعيش فى القاهرة تلك المدينة التى تسحق الغرباء وتلقفه
طريق بعد طريق دهشا تخنقه العمائر الضخمة وتحصره الحوائط التى
تشبه السدود .

حزمت متاعى الخاوى الى اللقمة
طرقت نوادى الاصحاب لم أعثر على صاحب

يدرجنى امتداد طريق
طريق مقفر شاحب
تقوم على يديه قصور
وكان الحائط المعلق يسحقنى^(١)

وهكذا يصدمه أول ما يصدمه ضيق المدينة على سعتها ثم يصدمه أن يسأل
عن المكان الذى حمل عنوانه من القرية وكان يتوقع أن يجد الدليل يقوده مثلما
يحدث فى قرينه ولكنه يسأل فلا يعبره أحد التفاتا وانما يشيرون بأطراف أصابعهم
أو ينطقون بكلمات قليلة دون أن ينظروا اليه :

يا عم من أين الطريق ؟
أين طريق السيدة ؟
أيمن قليلا ثم أيسر يا بنى
قال ولم ينظر الى
كأنتى طفل رمته خاطئه
فلم يعره العابرون فى الطريق
حتى الرثاء^(٢)

وتصدمه مرة ثالثة العجلات والضجيج ويقف مبهورا أمام الأضواء التى
تشكل « قوس قزح » ويتضاءل احساسه بنفسه حتى يكاد يتحول الى قزم حين
يرى « فارسا شدا قواما فارعا كالمنتصر » ذراعه ترتاح فى ذراع أنثى وينظر الى
نفسه فيجد بذراعه سلة فيها ثياب ، وتسرق سيارة مسرعة تقل أناسا يضحكون
وهو يمر بساقه المجهدة ، ويمتصره الجوع فيضع يده فى جيبه الخاوى بلا شعور
بينما تتوقف عيناه عند أحرف من نور « حاتى الجلاء » وتفزعه الآلات والترام
وعلى وجه الخصوص - رمز الآلة - بينما الناس من حوله لا يحفلون :

(١) انظر مدينة بلا قلب ص ٦٩ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ٧٠ .

حتى اذا مر الترام
بين الزحام
لا يفرعون
لكننى أخشى الترام

فالوحدة والوحشة والزحام والضيق والتضاؤل والسرعة كلها أشياء تولد
الاحساس بالاغتراب في المدينة يأتي الشاعر من قريته ذات الحقول الممتدة
الخضراء فيجد في المدينة بشرا كأنهم فوق بعض في يوم الحشر والشوارع على
ضيقتها مليئة بالناس وعلى الرغم من هذا التكتل والزحام لا يعرف بعضهم بعضا
بل لا يود أحد أن يعرف أحدا حتى الابن لا يكاد يعرف أباه فقد ماتت
الروابط :

رأيتهم يخترقون وحدهم في الشارع الطويل
حتى اذا صاروا رمادا في نهايته
نما سواهم في بدايته
وجدت ساق الوليد فوق جثة الفقيد
كأن من مات قضى ولم يلد
ومن أتى أتى بغير أب(١)

وحجازى في بعض مواقفه يجب للمدينة القاسية التي تدفن موتاهها ثم
تنساها فهي تلفظ عبارة الترحم في شفاهها دون أن تأسى حقيقة لقد أصبح الموت
شيئا عاديا ، فكل الناس يموتون بكثرة وبسرعة . فمن يذكر ؟ ومن ينسى ؟
وعلى من يحزن ؟ وعلى من يأسى ؟ :

لكننى حين يمر العمر بى
وحيثما يكثر موتاى سأنساه

(١) مدينة بلا قلب ص ١٥٩ .

فان ذكرته صمت ثم قلت

يرحه الله^(١)

ويؤكد « حجازى » معنى انقسام الروابط بين أهل المدينة فيقول انه حتى لو أصيب بالجنون وسار عاريا بلا حياء فلن يرد واحد عليه أطراف الرداء « هذا الزحام لا أحد^(٢) » فالكل مشغول بنفسه وحيد على الرغم من الزحام الذى يسير فيه ويتضاءل احساسه بنفسه حتى يتمثلها وريقة تعبت بها الرياح أو ظلا بذوب :

هذا أنا وهذه مدينتى

وريقة فى الريح دارت ، ثم حطت ، ثم ضاعت فى الدروب

ظل يذوب^(٣)

ويتمثل « كمال نشأت » نفسه مويجة تنوء فى خضم الحياة - وكل قلب دارا غريبة لا تعرف الزوار ، وتطبع السرعة حياة المدينة فهم « يأكلون واقفين ويمشون مسرعين ، أقدامهم جنون كأنها تسابق الأجل^(٤) » .

ويرسم لنا « صلاح عبد الصبور » صورة من أدق الصور للسرعة التى تطبع الناس فى المدينة صورة العابر المهرول الذى يغرق وسط الزحام بين المحب ومحبوبته المتعلقة بذراعه والتى التقى بها وتأبط ذراعها مسرعا قبل أن يرى لون عينيها :

لما دخلنا فى مواكب البشر

المسرعين الخطو نحو الخبز والمثونه

المسرعين الخطو نحو الموت

فى جبهة الطريق اقلت ذراعها

- (١) لم يبق الا الاعتراف ص ١٣٢ .
- (٢) لم يبق الا الاعتراف ص ١٣٤ .
- (٣) مدينة بلا قلب ص ١٣٠ .
- (٤) انشودة الطريق ص ١٣٣ .

في نصفه تباعدت ، فرقنا مستعجل يشد طقلته
في آخر الطريق تفتت - ما استطعت - لو رأيت
ما لون عينيها^(١)

ولكن احساس شاعرنا بالاغتراب هو احساس موقوت لانه احساس بموقف
اجتماعي لا موقف حضاري كاحساس الشاعر العربي ولهذا ولان حياتنا ومجتمعنا
الجدبد يفتح باب الأمل للنفوس البائسة الحزينة فان شاعرنا سرعان ما يجد في
مدينته سلوى عن اغترابه .

وهذا « عبد المعطى حجازى » يحاول أن يجد لنفسه ما يتعاطف به مع مدينته
التي فرض عليه أن يعيش فيها فيجد ما يريد في مقاهيها وفي فؤادها الذى يخفق
له كلما كلت قدمه أو بكت عيناه أو راح ينشد السلوان . ان مدينته ليست غانية بل
هى شخصية أسطورية يلفها ضباب الفروسية فكم خاضت من حروب وسالت
دماؤها من أجل الانسان .

فأنتشى تحلنى الذكرى على جناحها
لعالم من الأسمى والزهو والغفران
كأنما أشم دما باقيا
في ثوب فارس من الفرسان
آن الأوان كى أغنى لك يا مدينتى
يا أجمل الأوطان
في منزل فيك تعلمت الهوى
وفي مقاهيك أنا أحاول السلوان
أحلم يا مدينتى فيك بأن نبكى معا
إذا بكت عينان
بأن أسير ذات يوم قادم

(١) لم يبق الا الاعتراف ص ١٢٢ .

تحت نهار يسعد الانسان(١)

ومن هنا تفهم كيف يهوى الشاعر مدينته برغم كل ما يعاينه فيها من متاعب
مادية ونفسية :

أهواك رغم أننى أنكرت فى رحابك
وأن طيرى الأليف طار عنى
واننى أعود لا مأوى ولا ملتجأ
أعود كى أشرد من أبوابك
أعود كى أشرب من عذابك

وان فى المدينة برغم مآسيها معنى الايمان بالحضارة وهى مصدر رزق المشاعر
كما هى جزء من وطنه العزيز بل على أرضها دارت معارك الفكر والسلاح وسالت
دماء الشهداء ثم هى التى ان لم توحد بين قلبه وقلوب أهلها الصداقات ، فان
الآلام المشتركة وأحاسيس الاغتراب توحد بينهما .

وليس كل أهل المدينة قساة القلب فكثيرون منهم نازحون من القرية مثل
الشاعر وكثيرون من أهلها الأصلاء يحملون قلوبا طيبة ولقاء الشاعر بهؤلاء لا شك
مما يعزیه فى اغترابه .

صديقتى لم أعدم الرفيق فى الطريق
ولا اليد التى تدلنى بلا سؤال
ولا الفم الذى يقول كيف الحال(٢)

وفى المدينة يأنس الشاعر بالشباب الطموح الذى يأخذ مما فى المدينة من
أسباب الثقافة ويتحدث الشاعر عن لياليه :

ليالى الصعاليك فى سكرهم وجنون المراح
وعن رفقة الحانة الأولياء وعن ضحكهم فى الليالى الملاح

(١) لم يبق الا الاعتراف ص ١٢٨/٢٥ .
(٢) الطوفان والمدينة السمراء ص ١٠٩ .

وعن شدوهم عبقرى الظلال وعن شعرهم عبقرى الجناح
وعن فرحة المجهدين الضعاف اذا وصلوا لمرامي الطماح
« ولم يكن هؤلاء المجهدون الضعاف يرمون الى شىء سوى الثقافة . انها
أكبر وأخطر ما تقدمه لهم المدينة ، كما أنها الطريق الذى حددته لهم كي يحققوا
ذواتهم(١) » .

ويظل الشاعر وبرغم كل ذلك شاعرا بقسوة المدينة واغترابه لأنه يظل برغم
رضاه على ذكرة من أحيائه في البر الآخر في قريته ، ولأن كل ما تقدمه المدينة له
لا يعوضه عن كل ما له ومن له في قريته :

كل الناس هنا غرباء
مثلى جاءوا خلف رغيف العيش
تركوا أحيابا في البر الآخر
قل لهم عام ويتوب
عام ويدق المفترب على الباب
لولا اللقمة ما غاب(٢)

ان رضاه الحقيقي في أن يعود الى قريته وحينما يعود الى القرية فعلا يسر الى
زوجته بلواعج الاغتراب ومتاعب الجسد وأمانى النفس :

ومتعب صديقتى أنيت من بعيد
تقودنى البلاد للبلاد للبلاد
ومنتهى منأى أن أسير
أن أنيخ عند بابك الصغبر

أو حينما لا يعود الى القرية وانما يزوره زائر منها يقبل عليه متلهفا لانه يذكره
بقريته التى يحن اليها ويستعيد معه ذكرياته ويقضى هو اليه بما يعاينه من قسوة
المدينة :

(١) مقدمة بدر الديب لديوان « الناس في بلادى » لصلاح عبد الصبور ص ٢٧
(٢) الطوفان والمدينة السمراء ص ١٠٠ .

بعد الغيبة

بعد شقاء سنين الغربة
عشنا وتلاقينا بالليوم الحلو
ما زلنا أحياء رغم الموت
أين ليالى الكرمة فى قرينتنا (١) ؟

٣ - الحنين الى الريف والارتما. فى احضان الطبيعة :

فى المدينة - كما سبق - كثير مما يؤلم الشاعر ويرهق احساسه وذلك
يحن الشاعر الى قرينته ويتسنى لو يعود اليها حيث لا ضياع ولا وحدة ولا زحام
ولا تضاريل للذات وانما ألفة وحب وتحقيق للذات وجمال فى الطبيعة .

والأفق رحب فى القرى حنون

وتسيح الأشجار فيه كالهوادج المسافرة

يا ليتنا هناك (٢)

ونحن نلتقى فى هذا المجال مع الشاعر « محمود حسن اسماعيل » وهو الشاعر
الرومانسى القديم الذى طال هروبه الى الريف المصرى تخلصا من الاحساس
بالاغتراب لان الريف رمز البساطة لا يعرف تعقد الحياة وتكالبها وأشجانها
ولا يعرف قيود المدينة التى ينزع الشاعر الى الخلاص منها فهو يلجأ اليه ليتخلص
من القلوب المعلقة والحياة المعقدة والقيود الثقيلة والآمال العريضة التى تضيق فى
زحام الحياة وقد أصدر ديوانه الأول « أغاني الكوخ » سنة ١٩٣٣ رامزا بالكوخ
الذى بساطة الريف فى مقابل القصر رمز تكلف الحياة فى المدن . فالكوخ رمز
للتحديث بالأمل الضائع والحنين الى الانس فى مقابل الاحساس بالغربة .

وفى ديوانه قاب قوسين الصادر عام ١٩٦٤ نجد قصيدة « أغنية من الكوخ »
تصور كل هذه الأحاسيس - يقول :

(١) الطوفان والمدينة السمراء ص ٩٨ .
(٢) لم يبق الا الاعتراف ص ٨٤ .

ان رأيت النور مذعور الخطى نحو المغيب
ورأيت الظير يعساها لأوراد الكئيب
ورأيت النهس سرا ذاب في الصمت الرهيب
ورأيت الليل قد يسا تهادى للغيوب
فانظري تهويمه الوادى ونادى يا خبيب
تشرق الدنيا ويندى جوها من كل طيب
وتهل الفرحة الكبرى على قلبى الكئيب
ويعود الأمل الهارب لى عود الغريب^(١)

فاشراقه الدنيا وعودة الأمل هنا فى مقابل شعوره العميق بالغربة الروحية التى تسيطر على شعره فهو تربية الحيارى واليتم والشجو ونوح المظلوم بين زحام الدهر وجرح يدب فى هذه الأرض وهو شريد ترامى فى الحياة مضيقا « وقد صدف الناس عن شكواه » فلا اذن تصغى ولا عين ترى « وهكذا نبذ عشرة الانسان الذى يشم بالآثام^(٢) » .

وبعد « محمود حسن اسماعيل » يطالعنا فوزى العنتيل بديوان « عبير الأرض » وفيه يتضح لنا مدى اهتمام الشاعر بالقرية وأهلها من الكادحين وعطفه على حياتهم البائسة ورجائه أن يعيشوا حياة السعداء الهائنين نلمس ذلك - كما قلنا - فى شعر الديوان كله وفى تسمية الديوان باسم « عبير الأرض » ويقصد بالأرض أرض القرية ، ونلمس ذلك فى اهدائه الديوان الى الفلاحين الكادحين الصابرين فيقول :

« اهداء الى الذين يعبرون التاريخ بأذرع معروقة تحمل الفتوس فى صبر .. الى الذين علمونى أن أحب كل الناس ، الى أهلى وعشيرتى .. الفلاحين فى قرىتى .. وفى كل القرى » ! ..

(١) قاب قوسين ص ١٦٣ .

هكذا اغنى ص ١٧٣ ، ١٥٧ ، ١٧٠ واغنى الكوخ ص ٨٠ وما بعدها .

انه يحن الى قريته ويشتاق اليها شوقا شديدا :
يجتاحني ألف شوق اذا ذكرت ثراها
وهو لا يستطيع الا أن يشتاق اليها هذا الشوق الشديد لانها كما يقول فيها
أفراحه وأساه :
لقد نقشت بقلبي أفراحها وأسأها
وقد استشهد فيها أبوه وعمه ودفنت أخته :
أبى هناك وعمى ماتا شهيدى هواها
هناك أختى وكانت نواراة فى الريح
فكل شئ فيها جزء من حياته :
حقولها من أدبى وفأسها من عظامى
ونيلها حين يجرى أشواقه من غمامى
وفىها حبه :
هناك وسدت رأسى صدرا أحب هوايا
وفىها شعبة الذى عاش سجيناً طمينا يستغله الاقطاع ويستبد به وقد تحرر
شعبه الآن وعادت اليه أرضه بالثورة :
وشققت صرخاتى حناجر الثائرينا
فان شعبى ما عاد ضائعا مستكيننا
ولكل ذلك كان من واجب الشاعر أن يحب قريته وأرضها وتراها وكان من
حق قريته وأرضها وتراها عليه أن يحبها وأن يقودها الى الصباح الجديد :
انى أحبك انى أحب فيك وجودى
أنا هنا فاتبعينى فقد كسرت قيودى
لنبذر الأرض نورا مع الصباح الجديد(١)

(١) انظر عبير الأرض قصيدة عبير الأرض ص ١٤ - ٢١ .

ويحن « صلاح عبد الصبور » الى قرينته ، والى صباه البعيد فيها وألمابه
وأوقاته الطلو السامرة ، الى صحبته واخوته ، الى الفلاحين الكادحين البسطاء
الذين يطمون بسكن فخم وطعام كثير ويحن الى أمه البارة الطاهرة التي تخوفه
فاذا أصابه سوء فزعت وانتفضت تحصنه باسم النبي :

حنيني غريب

الى صحبتي

الى اخوتي

الى أمي البارة الطاهرة

الى حفنة الأشقياء الظهور ينامون ظهرا على المصطبه

وقد يطمون بقصر مشيد

وباب حديد

وحورية في جوار السرير

ومائدة فوقها ألف صحن

دجاج وبط وخبز كثير

الى أمي البرة الطاهرة

تخوفني نعمة الآخرة

وتهتف ان عثرت رجليه

وان أرق الصيف أجفانيه

باسم النبي^(١)

٤ - الحنين الى حياة الطفولة :

ومن مظاهر الاغتراب الحنين الى الطفولة والمودة الى حيث المرح والضحك

واللهو فيها بلا أعباء ولا مسؤوليات :

صبأى البعيد

(١) الناس في بلادى ص ٧٥ .

أحن إليه ، لالعابه
لأوقاته الحلوة السامرة^(١)

وتبدو نغمة الحزن في صوت الشاعر « محمود أبو الوفا^(٢) » حين يذكر أيام
الصبا والشباب وما جرى فيها :

لهفى لأيام الشباب وما جرى لى في الشباب
نلهو ونلعب حيث شئتنا في السهول وفي الهضاب
كالطير لولا أنتنا كنا بلاظفر وناب
لهفى على تلك السنين ذهبن في عمر الحباب
ولسين ألسنة عذابا في ادكارات عذاب
ويقف « هاشم الرفاعي^(٣) » عند بعض ذكريات الطفولة متحسرا عليها :
وكم - والشمس يطويها مغيب علوت بذلك الوادى نخيله
الست به الذى قد كان يعدو وراء فراشة عبرت حقوله
أتسى الجدة الشمطاء ليلا نقص حديثها فتخاف غولـه
هى الأيام لا تبقى عزيزا وساعات السرور بها قليلة

وتجيد « جلييلة رضا^(٤) » في قصيدتها « ذكريات الطفولة » استعراض هذه
الذكريات متساهلة في استخدام بعض الألفاظ العامية امعانا في الواقعية فتذكر

(١) صلاح عبد الصبور : الناس في بلادى ص ٧٥ .

(٢) محمود أبو الوفا : شعرى ص ٩٥ .

(٣) ديوان هاشم الرفاعي قصيدة « أيام الطفولة » ص ٧٢ وما بعدها .

(٤) المختار من الشعر الحديث - المجموعة الأولى - سنة ١٩٥٨ - ص ١١٦ وما بعدها .

صاحبها بالأكل البسيط بلا شبع والنوم تحت أغصان الشجر . وجمع الحشرات
وانضفدع :

هناك على ضفاف (السرب) كم سرنا على أربع^(١)
لنملا جوف علبتنا بألوان من الضفدع

وتذكر صاحبها ببناء المواقد لطبخ البرسيم وبالقفز فوق زكائب القطن :

لكى نبني موقدنا عجا الجبس والمونه^(٢)

ورحنا نخرط البرسيم ، نطبخه على الهيئه^(٣)

وفوق زكائب القطن التي ترتص في « الشونه »^(٤)

قفزنا يا لها أقدامنا بالقفز مجنونه !

ثم تذكرها بتسللها من البيت يوم الجمعة لثذف النخيل بالحصى وجمع
الرامخ ومشاعبة فتية الحارات وممارسة الألعاب المسلية ، وتفرد بالذكريات التي

تصور طفولة البنات في تباهيهن بملابسهن واستمتاعهن بالنظر إليها :

أنا بالشيب العالى وبالفستان والطرحه

أتيه عليك في زهو وأخطف تارة لمحبه

لطيف باسم يهفو هناك بجانب الدوحه

(١) السرب يفتح السين والراء : القناه يدخل منها الماء الى البستان وسكنت
الراء لضرورة الشعر .

(٢) الجبس والمونه : من أدوات البناء والجبس عربى فصيح وهو الجبص بكسر
الجيـم .

(٣) على الهيئه : المعروف تجردها من ال تقول على هينتك بكسر الهاء وعلى
هونك بفتحها أى على مهل وتؤدة ، ولكنها تستخدمها استخدام العامة لها .

(٤) الزكائب : جمع زكيبه : شبه الجوال « الشوال » لغة مصرية والشونه :
مخزن التلال كذلك وهى بفتح الشين والعامة تضمها .

وبعد أن يحكى « محمد أحمد العزب » فى قصيدته « غرام فى قرية » لمحبوبته « لىلى » حكاية غرامه بها واحتفاظه بذكرياته ويدعوها الى العودة اليه يذكرها بذكريات جهما القديم بالتميمة التى ربطاها بنخلة ليظل جهما مشتغلا ويركضهما لاصطياد نخلة :

المنحنى هل تذكرين مراحمنا المسحور حوله ؟
هل تذكرين غديره هل تذكرين اليوم رمله
كنا بنينا فوقه قصرا يضىء الحب ليلته
وأنا وأنت هناك طفصل هام مجنوننا بطفله
هل تذكرين تميمة كنا ربطناها بنخله ؟
لتظل قصة حينا يا فتنتى فى القلب شعله
حتى اذا الراعى أتى أبصرت فى خديك خجله
فركضت تسبقنى خطاك الى الربا نصطاد نحله
ونعود نبنى من جديد فى ربوع الحقل ظله
وتصيح بى عيناك نم فأنام فوق غناء قبله

ويستعيد « كمال نشأت » بعض ذكريات الطفولة فى قصيدته « الطريق القديم (١) » .

أتذكر الغلال وموسم الأمل
والنورج الدهوب لا يعرف الملل فى البيدر الكبير
أتذكر الزهور فى مارس الدفء
نصوغها عقود للفائز الجرىء فى قفزة السياج
ونلاحظ فى كل ما ذكرنا من ذكريات الطفولة أن التعبير فى معظمها جيد لأن
الاحساس بها شديد والعاطفة فيها صادقة .

(١) انظر ماذا يقول الربيع ؟ ص ٨٦ - ٨٧ .

• - اللواذ بالحب :

كثيرا ما يلجأ شاعرنا الجديد الى الحب فرارا مما يعانيه من تناقضات المجتمع وأحزان الحياة .

يلجأ الشاعر لحماية نفسه من الاحساس بالاعتراب الى الحب كما يلجأ المرء الى الجنس أو الخمر لتخدير وعيه(١) .

وإذا كان فقد المحبوب بالهجر أو الهجرة ، حيا أو ميتا سببا طبيعيا من أسباب اغتراب الشعراء فان الملاذ من هذا الاغتراب يكون بمحاولة لقائه والاقتراب منه - ما أمكن - .

ولهذا فان « صلاح عبد الصبور » في قصيدة « يا نجمى الأوحى » يلتقى محبوبه بقلب مشبوب متخيلا أن اللقاء قادر على ازالة كل آلامه وآلام محبوبه وازالة كل احساس بالاعتراب .

وسنجلس في الركن النائي قطين أليفين

مقرورين

تتحسس ما أبتقت أيام الذل على وجهى المكدود

وعلى خديك من الألم المدود(٢)

ولكن كما لم يطفىء الجنس أو الخمر ظمأ الظمان ، فكذلك لم يرو الحب الكبد الصادى لشاعرنا الجديد الذى تطاولت آماله وتضخمت آلامه ولم يعد يحمل في قلبه هموم الناس جميعا مما أعقب له احساسا ملازما بالقرية لا يفيد فيه حب أو حبيب .

لقد أصبح الحب الذى يلجأ اليه الشاعر الآن فرارا من شعوره بالقرية لا يفيد لأن ظهره مقصوم وأيامه مريضة وليله موحش .

(١) الحنين والغربة ص ٢٣٤ .

(٢) الناس فى بلادى ص ١٢٥ .

هل يضحك يا نجمى انسان مقصوم الظهر
ولأن الأيام مريضه
ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب
تضل كليبات الحب

لقد أصبحت الحياة قاسية تطحن برحها عامة الناس وتجعلهم يعيشون حياتهم
في تماسة دون أن تطرف لمآساتهم عين أو تختلج جارحة أو يخفق قلب .

وهل يمكن أن يسعد الشاعر المهرف والعالم من حوله كئيب؟! على أن
الشاعر ذاته يحس بأنه قد تضاعل حتى أصبح قزما ، يشعر أنه لا قيصة له في
الحضارة المعاصرة التي تعطي القيمة للمجموع وتسحبها من الفرد فقد انتهى
عصر الأفراد والبطولات الفردية وانسحق الفرد في زحام المجموع ولا يستطيع
الحب أن يخلصه من هذا الاغتراب . ماذا يهب العريان الى العريان ؟ !

ماذا يصنع قزمان التقيا في ظل مساء

منهوكين وعليلين

عرفا الأيام المروره

ولأن الأيام مريضه

ولأن الليل الموحش يولد فيه الرعب

لن يجنى حتى الحب^(١)

ولكل ما سبق أصبحت فرحة الشاعر غير كاملة وأعقت ضحكته
نبرات بكاء :

لو كنا نعرف أن تفرح فرحة مطلق غفل القلب

لأذنبنا الفرحة في آكواب الأحباب

لكننا حين ضحكنا أمس مساء

(١) الناس في بلادى ص ١٢٧ .

رفت في ذيل الضحكات

نيرات بكاء

واتكأت في عيني دميغات (١)

وهكذا تؤثر الأيام الجهمة بسبب ما فيها من مأس على قلب الشاعر الرقيق
فتجمله قلبا جهما لا يصلح للحب :

أشقى ما مر بقلبي ان الأيام الجهمه

جعلته يا سيدتي قلبا جهما

سلبته موهبة الحب (٢)

والحياة المادية التي نعيشها قد تحيل الحب سلعة تباع وتشتري ويكتشف
الشاعر زيف الحب فيزيده ذلك ابتعادا عنه ونفورا منه .

تشابكت آكفنا واعتنقت

أصابع اليدين

ثم نزلنا للطريق راجلين

في نصفه تباعدت ، فرقنا مستعجل يشد طفله

في آخر الطريق ، تقف - ما استطعت - لو رأيت

ما لون عينها

وحين شارفت ذرى الميدان غمغمت بدون صوت

كأنها تسألني من أنت (٣)

٦ - الزهد في الحياة والابتهاال الى الله والتوسل الى الانبياء والأولياء :

حين لا يجد الشاعر في الحب وفي كل وسائل الحياة المادية مخلصا مما تعانيه
نفسه من ألم وقلق وضيق ، فإنه قد يزهد في الحياة ويلجأ الى الله ويتمسح باعتاب

(١) أقول لكم ص ١٨ .

(٢) أحلام الفارس القديم قصيدة « رسالة الى سيدة طيبة » ص ٥٥ .

(٣) أحلام الفارس القديم ص ٤٠ .

الأنبياء والأولياء، عله يجد في ذلك المخلص والمتقذ له من العناء والاستعداد للزهد والتصوف ينشأ من ثورة باطنية تخامر النفوس وقد أورثت الظروف الاجتماعية الزهاد والمتصوفة روحاً انفرادية تأملية تفر إلى العزلة فالقلق يملأ نفوسهم وتطوف أحلامهم حول الموت والعودة إلى الأم « الأرض » كما يذكر ابن عربي . والهروب هنا يمكن أن يفسر على أنه معارضة سلبية واحتجاج عن طريق الرفض^(١) وتطلع في نفس الوقت إلى مثالية يقتصد بها الواقع فالزاهد أو المتصوف غريب في عصره بعزلته وتفكيره وروحه التي تبغى الانعتاق من مجتمعه المنكب على الملذات المفراط في اقتراح الآثام وارتكاب الشهوات . وشعراؤنا وإن لم يبلغوا مبلغ الزهاد والمتصوفة إلا أنهم في بعض الأوقات ومع حلول الأزمات تنتابهم حالات من الزهد والتصوف تعبيراً عما يحسون به من ضيق وهربوا مما يشعرون به من قلق .

وهذا « عبد الله شمس الدين^(٢) » يلجأ إلى الله في محنة جهله محتنياً بنوره مستلثماً إياه الصواب والهدى لأن العلم وحده يباهه ضئيل ضئيل :

وما نحن يا رباه إلا كما ترى بقايا متاهات على الغيب ترتسى
ومهما يكد العلم فهو بياكم ضئيل ضئيل رغيم كل التوهم
ويا هزل من يسعى بعلم ولا هدى ويا جد من وافى بنورك يحتسى

ويشكو إلى رسول الله متشفعاً به ما أصاب نفسه وقومه من أذى اليهود الذين ملكوا القدس بعد أن سرقوا فلسطين واستولوا على المسجد الأقصى .

بربك فاعذرني إذا ناح مزهري وإن فاض شعري اليوم يبكي رنينه
فإن فؤادي من أسى القوم موجع وإن كان لم يهجع اليك حنينه
أرى القدس في أيدي اليهود مفزعا على المسجد الأقصى تسح جفونه
بربك فاشفع يا « محمد » علنا نعود لمجد أنت فينا ضمينه^(٣)

(١) د . ماهر حسن فهمي في الحنين والفربة ص ١٠ - من مصادر أخرى .
(٢) ديوان الله أكبر قصيدة « من ألحان الروح » ص ٥٥ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق قصيدة « اليك أبا الزهراء » ص ١٤٣ وما بعدها .

ويهرع « عبد الله شمس الدين (١) » الى ساح الحسين رضى الله عنه يخلع عن جسده لباس الأسمى وينفض عن نفسه غبار اليأس :

حسبى طوافى حول بيتك باسطا أملا تمثر فى حياء سؤاله
وإذا رضيت تبسّمت كل الحياة وهام هذا القلب فى آماله
وتطوف « بمحمود غنيم (٢) » خاطرة من خواطر الزاهدين حين يقارن بين الشرق المؤمن بالله والغرب المؤمن بالدينار مهتديا الى أن الدين هو دعامة السلام فيقول :

وإذا النفوس عرين من دين ومن خلق فليس لهن أى قرار
ليس السلام برائج فى عالم بارت به الأرواح أى سوار
قل للألى ضلوا وضلت فلكنهم فى اليم شرع الله خير منار
ويفرع « على عبد العظيم (٣) » الى ربه يشكو اليه اختلاف الرأى ويدعوه أن يهب لنا الايمان ويعيد الينا مجد الماضى ويجمع قلوبنا على الطهر والاخلاص :

يا رب ان اختلاف الرأى أضعفنا فهب لنا منك ايمانا يقوينا
أرجع الى الشرق والاسلام ماضيه واجمع على الطهر والاخلاص واديننا
ويستغيث بالنور الالهى وبالدين والوفاء والنهى من الوحش الكامن فى نفسه :

ولكن فى أعماق نفسى غياها تكاد على قلب المحلق تطبق
وفى سترها المسدول يكمن ضيغم شتيم بأوهاق الحضارة موثق
ولولا قيود الدين والعرب والنهى لاضحت به الدنيا تفص وتشرق (٤)

(١) ديوان « الله اكبر » قصيدة « فى رحاب الحسين » ص ١٤ وما بعدها .
(٢) ديوان فى ظلال الثورة قصيدة مهبط الوحي ص ١٠٧ وما بعدها .
(٣) المختار من الشعر الحديث - الحلقة الأولى سنة ٥٨ - قصيدة « امام المحراب » ص ٢ وما بعدها .
(٤) المصدر السابق قصيدة « الوحش المكبل » ص ٦ .
والضيغم الشتيم : الأسد العابس ، والأوهاق : الحبال .

ويخاطب « محمود جبر^(١) » مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم منكرا أن
يكون عليه السلام محجبا لأنه لو غاب عن الدنيا لحظة لاحتقرت بين أشقاها .
ما أستطيع الفهم أنت محجب تلك المواقم أنت ملء سماها
والله لو غيب عنها لحظة وحجت لاحتقرت بين أشقاها
وبعد أن يقص « محمد زكى إبراهيم » قصته المحيرة مع الناس والحياة :
تسألنى فما قصتى وقصتى محبيره
يستنكر أن تعاش حياة مع الفجرة وفي خربة أو مجزرة :
ما حياة الاتقياء فى رحاب الفجره ؟ !
ما حياة الحسى فى خربة أو مجزره ؟ !
وبعد أن يعلن كفره بكل مساوىء الناس والدنيا وبحظه السوء فى الحياة
يلوذ بجناب الله لينصره :

الناس والدنيا وحظى فتنة مكبره
كفرت بالضعف وبالجبين وكل منكره
ولدت بالله ومن بنه يلوذ ينصره^(٢)
وهكذا يستنثيث « العوضى الوكيل » بالله من شرور الدنيا وقبح الكون :
يا مغيب اللهنى اذا حزب الأمر ويا هادى القلوب الحيارى
هب لقلبى سكينه تملب الخطب وهى لى اذا بلوت قرارا
جمل الكون كله فى عيونى لأراه تألسق استبشارا^(٣)
ظواهر بارزة فى الاتجاه الذاتى :
فى اتجاهنا الذاتى الذى يعبر فيه الشاعر عن هموم الذات تشيع عدة ظواهر
منها الغموض والرمز وظاهرة الحزن :

(١) المختار من الشعر الحديث « الحلقة الاولى » سنة ٥٨ قصيدة « اللقاء الاول » .
(٢) المصدر السابق قصيدة « قصتى » ص ٧ وما بعدها .
(٣) انظر « أشعار الى الله » ص ٥٨ .

١ - غموض الشعر :

والغموض يغلف الكثير من شعر شاعرنا الجديد حتى لترى بعض قصائده كلوحة « سيرالية » يفسرها كل قارئ بتفسير خاص .

وهذا الغموض لا شك - سواء قبلناه أو رفضناه - انعكاس لما هو قائم في حياتنا المعاصرة من غموض وتعقد في كل شيء ، فلم يعد الانسان يتمتع في حياته بتلك البساطة الساحرة الدافئة التي كان يتمتع بها انسان القرون الماضية والأيام الخوالي .

ونحن نحس بضغط كثيرة ومتنوعة منها الفكرية والنفسية والمادية فلقد اتصلنا بالعالم اتصالاً وثيقاً وتأثرنا بأحداثه ومشاكله وبالتيارات الفكرية والمذهبية المتضاربة فيه والتقدم العلمي المذهل الذي اختصر المسافات والأوقات طبع كل شيء بطابع السرعة وأصبح كل الناس أفراداً وجماعات .. دولا وشعوباً .. يحسون بأنهم في سباق مع الزمن ولذلك لا يكادون يلتفتون أنفاسهم للراحة فتضاعفت متاعبهم الجسمية والنفسية بسبب ذلك .

وهذا التطور الحضارى المادى لم يصاحبه أو يوازيه تطور روحى معنوى ، مما زاد من تطلعات الأفراد والدول فسارعوا الى الأخذ بأبرع وأسرع وسائل الانتاج أو الكسب المادى دون أن يكون هناك بنفس القدر تنظيم وتوثيق للعلاقات الاجتماعية بين بعضهم وبعض مما يكفل الراحة والطمأنينة النفسية بل تفسخت العلاقات الاجتماعية وتمزقت النفس البشرية وكان الاغتراب الروحى نتيجة حتمية لما يجرى في هذه الحياة الآلية القاسية ودفع التنافس الى التباغض والتباغض الى التربص والتربص الى حروب باردة يحس الناس فيها أنهم على فوهة بركان تائم ما يلبث أن يفقر فاه ويلتهمهم ، أو حروب ساخنة تهلك الحرث والنسل وتآكل الأخضر واليابس .

وهكذا نجد تجربتنا المعاصرة تجربة واسعة خصبة مثمرة ولكنها في الوقت نفسه متشابكة معقدة مركبة ، وأصبحت نظرتنا للناس والأشياء نظرة حائرة لا تكاد تجد القرار الحاسم فيما ترى من أمور الحياة .

والأدب الجديد عليه أن يعبر عن هذا التعقيد والتشابك وعن تلك الحيرة والتردد وعليه أن يقدم النفس المعاصرة بكل تركيباتها في عمله الفني .

ولكن بعض الأعمال الفنية أو بعض القصائد الشعرية يكون الغموض فيها هدفاً أو ناتجاً عن قصور الفنان نفسه وذلك حينما لا تكون أدوات التعبير لديه واضحة وهذا الغموض لا يجد عند أحد ما يبرره ولا يجد الشاعر فيه من يبرره من جريرة ارتكابه على أنه لن يجدي هذا الشاعر القاصر الأداة نصيح الناصحين وإرشاد المرشدين لأنه إذا فقد أداة التعبير فقد سبيل الوضوح والإبانة .

أما ذلك الذي يملك ناصية اللغة والبيان ثم يعي ويرمز ويبدأ أفق شعره بالضباب فهو من عليه الخلاف بالقبول أو الرفض وآرى أن البلاغة البيان ، والبيان معنى الوضوح فكلما كان الشعر أكثر وضوحاً كان أشد سحراً . وليس معنى وضوح الشعر ابتذاله وسطحيته واسفاهه وإنما هو الوضوح الروحي ، الوضوح المعجز .. أن يكون الشعر سهلاً ممتنعاً يحسبه الجاهل ممكناً وهو على غير الشاعر التقدير عصى مستحيل .

لقد كان الشعر والأدب والفن دائماً للتعبير والتصوير والتأثير ، وللإبهاء والايحاء بما يمكن لفهامنا أن تصل إليه ، فإن لم يكن كذلك فلا شعر ولا أدب ولا فن .

وأصحاب هذا الشعر قد لا يمتزفون بغموضه ، وإنما يسمون هذا الغموض عمقاً ويدافعون عنه بأن الفن العميق هو الفن الممتنع ، هو الفن الخالد ، وهو الفن الذي يدفع القارئ إلى مزيد من أعمال الفكر ليتهدي بعد ذلك إلى ما يتضمنه من معان وأفكار ثم ليصل أخيراً إلى قدر من المتعة النفسية كبير ، بخلاف الفن السطحي الذي لا يجد القارئ فيه ما يلجئه إلى طول تفكير ثم لا يقدم له قدراً وافراً من المتاع النفسى .

كما يبررون هذا اللون الغامض أو العميق بأنه إنما جعل للقراءة ولم يجعل للانشاد ، جعل ليتفرغ له القارئ وحده وقتاً فيحس بإحساس الشاعر ويصل إلى ما أراد أن تصل إليه تجربته من أفكار وما ترمى إليه من أهداف ، أما ذلك

الشعر الذى يعد لانشاده فى المحافل والمناسبات فحتم أن يكون سهلا يسيرا فى ألفاظه ومعانيه وأفكاره وأغراضه لأنه ينشد ليسمع ويفهم ، ويبلغ غايته فى التأثير ساعة انشاده وفور القائه فلا وقت لدى الجمهور المتلقى أن يستعيد بعض ما تلقى أو يسترجع بعض ما سمع ومن هنا فرضت السهولة واليسر عليه . والتأثير فيه قائم على مقدار ما يحمله من ضجيج وعجيج ومبالغات ، وهو تأثير وجداني عاطفى عقلى فكرى وما هكذا - كما يقول الكثيرون من شعراء الشعر الجديد ومن يؤيدونهم من النقاد - يكون الفن العظيم .

ولهذا وعلى الرغم من اقتناعي بكل الأسباب التى يشير إليها مؤيدو حركة الغموض فى حياتنا المعاصرة المتشابكة المعقدة ، فاني أعد أن من أهم دلائل وشواهد امتلاك الشاعر لأدوات التعبير أن يكون واضحا حتى فى التعبير عن التجارب المعقدة المتشابكة فى الحياة .

ولا جناح على أو على غيرى أن نرفض شعرا لأننا لا نفهمه وإذا قررنا أن الناس مرهقون فى حياتهم تلك المعقدة ويحتون إلى الراحة من عنائها ، فكيف ندفعهم مع ذلك فى متاهات من القول لا يجدون الحيلة إلى الخروج منها ، أو كيف نضع بين أيديهم من الشعر ألفاظا ومعنيات وطلاسم فنضع بذلك على قلوبهم آكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا .

أما أن يقال ان على القارئ أن يشارك الفنان فى فهم معنيات هذا الشعر فذلك شيء لا نقره لأننا ما جئنا للقارئ كشعراء لكى نوقعه فى معنيات وانما لنخلصه منها فالشعر يهدى ولا يضل وينبئ ولا يحير .

فسيان أن يكون سبب التعمية قصورا فى الاداة ، أو يكون الشاعر قد قصد إليها قصدا . ولعل عذر من قصرت به أدواته عن الوضوح يكون أخف من عذر من استطاعه وحاد عنه .

ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنتقص القادرين على التمام

يقول « العوضى الوكيل » ان الشعر وأصناف الفنون القولية هدفها البيان ، فإذا استهدفت الأبهام والغموض فإنها تكون قد انحرفت عن هدفها

الأصيل ، ثم يذكر كلام « محمد مندور » وغيره من نقاد شعراء الجديد في تبرير هذا الإبهام مفندا حججهم فيقول ان « مندورا » يذكر أن الرمزية السليمة يرجع ما فيها من إبهام الى فلسفتها الشعرية التي ترى أن وظيفة الشعر هي الأيحاء بحالات نفسية مركبة لا يسهل تحليلها الى عناصرها الأولية ويقصد أن أحدا في شرق أو غرب لم يقل ان العبارة الموحية في شعر أو في نثر تكون ذات معنى ضيق أو مبهم أو غامض ، وأن دلالة اللفظ تجيء من معناه القاموسى ومن تركيبه مع غيره ومن تركيبه وبنائه الصرفى ، ويجيء الأيحاء من ذلك كله فيتسع مدلول اللفظ في نفس السامع .

ويقول « العوضى الوكيل » ان كتابا وشعراء آخرين من أصحاب الجديد يقولون في تفسير الأيحاء ان الألفاظ ترتبط في النفس بمعان مختلفة قد لا يؤديها معناها القاموسى ومن ثم تتكامل برموز الألفاظ صور جميلة . فالطريق الطويل رامز الى الملل ، والغابة ترتبط بمعنى الظلام وبعضهم يقول انها ترتبط بمعنى الضياع .

ويقول ان ناقدا من هؤلاء عرض بالتفسير لأبيات شاعرة جديدة من قصيدة لها بعنوان « الى نجمة الغروب » ومنها :

هناك خلف غابة النجوم

وخلف أستار الغيوم والظلام

ترجع الالسه

فقال الناقد أن كلمة « غابة » هنا قد ابتعثت في نفوسنا ازاء النجوم فيضا من المعانى والمشاعر . الغابة ترتبط في نفوسنا بمعانى الظلام والوحشة وقد ترتبط كذلك بمعنى الضياع فنحن نعرف الغابات مقرونة بقصص الطفولة الخرافية وما فيها من تهاويل وتساوير . فالغابة في هذا السياق الشعرى لابد أن تكون صورة للاحساس بالحجاب الكثيف والحائل الصغير دون الشاعرة والحقيقة ، دون الشاعرة والنور ، وان تكن هذه الغلة غابة من النجوم .

ثم يعقب « العوضى الوكيل » على ذلك فيقول : ومن السخرية بقول الناس أن نقتنع بأن النجوم رغم تلالؤها ليست الا غابة موحشة رهيبة ونورها لا يقع في عين الشاعر نورا .

ويستطيع أن يجيبء ناقد آخر فيزعم أن الغابة لم تذكر هنا رمزا « للظلام » وانما وردت رمزا لما فيها من السباع والضباع والنمور والقيلة والديبة ، وسائر الحيوان المتوحش وتضاف الى النجوم كأنما هي شر يتهدد الناس . وهكذا نجد احالات المعانى جميعا تفسيرات تؤكد أنها من عبقریات العباقرة وان هذا لخطر عظيم على الشعر القديم والجديد معا ، بل على العقل الانساني والتفكير(١) .

ويقول د . محمد النويهي(٢) وهو من أشد المتعصبين للشعر الخر الجديد الذي يشيع فيه ذلك الغموض : « فان من أخطار هذا الشعر غموضه لأنه يحاول أن يغوص وراء معان وتجارب نفسانية عميقة باطنة ، ويتعدى الحدود التي تقف دونها اللغة المنثورة . ومن هنا ينشأ الخطر أن يعتقد المتفعلون أن الغموض والتقليد صفة تتعمد تعمدًا فيرصون الألفاظ رصًا أو يعقدونها تعقيدًا ليس له معنى . والشعراء الصادقون في غوصهم وراء المعانى وصراعهم مع التجارب النفسية ربما يتطرق اليهم التعجل والملل فلا يبذلون أقصى الجهد في استيضاح الفكرة لأنفسهم قبل أن يحملوها لقرائهم فليس الشعر كما يقول « اليوت » الا حديث شخصي الى شخص آخر ومن حق هذا الآخر أن يطالب متحدثه بأن يكون لحديثه معنى يمكنه أن يفهمه وضرب مثلا باسترالي ومصرى اخترعا كلاما غير مفهوم وادعيا أنه شعر جديد يتبع مذهب اللامعقول فوجدنا من يشيد بهما (من أنصار الغموض) اشادة كبيرة وكانت صدمة حين أعلننا ما صنعاه من تفتيق » .

على أنه يدعوننا الى التروى في الاتهام بالغموض لان معانى الشعر العميق الناضج قد لا تفهم بسهولة وتحتاج الى جهد وتفكير .

(١) انظر الشعر بين الجمود والتطور ص ١٠١/٩٧ .

(٢) انظر قضية الشعر الجديد : اخطار الشكل الجديد ص ١٤١/١٢٦ .

وسحن وان كنا تؤثر السهولة الا أننا لا نقبل الابتذال وان كنا نرفض التعمية
الا أننا نستحسن العمق فاذا كان المقصود بالغموض العمق لا التعمية فنحن
نرحب به وهكذا كان رأى الكثيرين من نقادنا العرب القدماء .

والغموض فى الشعر الذى يعنى العمق لا التعمية مما اجادة النقد العربى
القديم كما جاء فى « المثل السائر » « لابن الاثير » « الترسل هو ما وضع معناه
وأعطاك سماعه فى أول وهلة ما تضمنته الفاظه . وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك
غرضه الا بعد مطالعة منه (١) » .

ويقول « الجرجاني » : من المركوز فى الطبع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له
ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالميزة أولى فكان موقعه من النفس أجل
والطف (٢) » .

ويقول « العسكري » : « وما كان لفظه سهلا ومعناه مكشوفاً بينا فهو من
جملة الردى المردود (٣) » .

ولذلك كان المجاز عندهم أقوى من الحقيقة لانه أشد خفاء « ومن شأن
الاستعارة أنه كلما ازداد التشبيه فيها خفاء زادت الاستعارة حسناً (٤) » .
ولقد طربوا فى الشعر للوحى والرمز ورأوا فيه غاية اللطافة والحسن قال
ابن الاثير ينقد الأبيات المشهورة :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
« وفى قوله أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ، فان فى ذلك وحياً خفياً ورمزاً
حلوا . ألا ترى أنه قد يريد ما يتعاطاه المحبون ويتقارضه ذوو الصبابة من التعرض
والتلويح والايحاء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون
كشفاً ومصارحة وجهراً (٥) » .

- (١) المثل السائر ص ٣٢٢/٣٣٤
- (٢) أسرار البلاغة ص ١١٨ ، ١١٩ .
- (٣) الصناعتين ص ٤٧ من طبعة الاستانة .
- (٤) الجرجاني : دلائل الاعجاز ص ٣١٧ .
- (٥) المثل السائر ص ١٣٨ .

لكنهم وان اجتازوا الفموض لا يستجيدون التعمية والابهام والافراط في التعقيد . يقول الجرجاني : « فان قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمد ما يكسب المعنى غموضا مشرفا له وزائدا في فضله وهذا خلاف ما عليه الناس . ألا تراهم قالوا ان خير الكلام ما كان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك ! فالجواب اني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب انما أردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله : « فان المسك بمض دم الغزال(١) » .

٢ - استخدام الرموز :

ومن الظواهر الواضحة في اتجاهنا الذاتي استخدام الرمز بصورة المختلفة ومنها استخدام بعض الألفاظ الأسطورية والتاريخية كرموز تعنى معاناة العذاب .. كاستخدام الرمز « سيزيف » فهو رمز العذاب اللانهائي اذ الاسطورة تحكى أن «سيزيف» قد استيقظ في العالم السفلى وحصل على الاذن بالعودة الى الأرض لفترة قصيرة ، ولكنه حين نعم بالماء والصخور الدافئة والبحر ، لم يرد أن يعود الى الظلام الجهنمي ، ولم تجد معه النداءات والتحذيرات ، وعاش على ذلك لمدة سنوات ثم احتفظ بعد ذلك وألقى في العالم السفلى حيث كانت الصخرة معدة وعليه أن يرفعها الى قمة الجبل لتعود فتندرج الى أسفله بسبب ثقلها(٢) .

ومن الرموز المستخدمة تعبيرا عن الاغتراب والتأزم النفسى لفظ « المسيح » باعتباره رمزا للفساد والخلاص ولعل تأثر الشعراء المعاصرين « باليوت » هو الذى أصل هذا الرمز في شعرنا .

فالشاعر حين يستخدم رمز المسيح ويشبه نفسه أو شعره به يشير الى أنه المسيح الجديد أو القادى الجديد الذى يحمل الاغتراب ويضحى بنفسه من أجل يقظة بلده(٣) .

ومن تلك الرموز لفظ « برومئوس » وهو رمز للرجل الخير الذى أراد أن يسعد البشر ويخلصهم من طغيان اله مستبد أو حاكم ظالم فمقابه ذلك الاله أو

(١) أسرار البلاغة ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) الحنين والغربة ص ١٢٥ .

(٣) انظر الحنين والغربة ص ٢٠٧ وما بعدها .

الحاكم أشد العقاب لتمرده على طغيانه ومحاولته تخليص البشر من سيطرته^(١) .
كذلك يستخدم شعراؤنا المعاصرون لفظ « السندباد » رمزا للاغتراب لانه الشخصية الشعبية التي تعبر عن الانسان الذي يغترب ويرحل الى البلاد البعيدة ليكتشف العجائب ويعود بالتحف الثمينة . فحين يرمز الشاعر برمز السندباد يعني أنه يجوب بحار الفكر ليكتشف جزيرة القرن العشرين ذات العجائب وقد تهب العواصف على زورقه فيضطر الى القاء كنوزه وقد يتحطم زورقه وقد يضل ويتعرض للمخاطر ولكن الرغبة الملحة في الكشف تدفعه مرات ومرات الى رحلة المخاطر والآلام وهو يتطلع دائما الى العودة باكتشاف ما^(٢) .

فهو رمز التعبير عن الاغتراب وفي الوقت نفسه رمز التعبير عن الصمود ومواصلة الكفاح والبحث والاصرار على بلوغ الغاية .

والسندباد عند « صلاح عبد الصبور » ثوري الفكر والنضال لانه « كالأعصار ان يهدأ يمتم^(٣) » .

لا تحك للرفيق عن مخاطر الطريق

ان قلت للصاحي انتشيت قال : كيف ؟

(السندباد كالأعصار ان يهدأ يمتم !!)

وهو منذ صغره كان ينام في قريته صغيرا على حجر أمه ، كان يحلم بالناس وبالمخاطر التي يتعرضون لها من عنف القدر والموت وبمن يركبون المخاطر كالسندباد .

وفي الليل كنت أنام على حجر أمي

وأحلم في غفوتي بالبشر

وعنف القدر

وبالموت حين يدك الحياه

(١) انظر : الادب ومذاهبه للدكتور محمد مندور ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢) انظر الحنين والغربة ص ١٤٤ .

(٣) الناس في بلادى قصيدة رحلة في الليل ص ٣٧ وما بعدها .

وبالسندباد وبالعاصفه
وبالغول في قصره المارد
فأصرخ رعبا
وتهتف أُمى باسم النبي
كذلك يستخدم لفظ « نوح » رمزا للمعاناة باعتباره عانى من قومه وابنه ومن
الطوفان وابنتى سفينة لنجاته والمؤمنين ، يقول « كمال عمار(١) » في قصيدته
« عودة أرميا » :
ان جاءكم فلا تصدقوه
فكل من رآه قال عنه أنه معتوه
حتى أنا
تصوروا .. أنا أبوه
ان صح أن يوم « نوح » في الطريق
فابتوا له سفينة النجاه
لتعبروا البحار
يا ويلتى !
نسيت ليس عندنا خشب
فعامنا الذى ذهب
البرد فيه أهلك الأشجار
كذلك يستخدم لفظ « يونس » رمزا للمعاناة واحتماله البقاء في بطن الحوت
يقول « كمال عمار(٢) » في قصيدته « في المنتصف » :
يا اللطاف الله
قالتها عينك قبل لسانك

(١) انهار الملح ص ٢٦ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٦٨ وما بعدها .

المقعد سار وكان يقال محال
يونس لن يخرج من بطن الحوت
« من عادوا هل هم أحبابي ؟ »
يا ويلي .. يا ويلي سأموت
ان لم يخرج يونس من بطن الحوت

ولا شك أن التعبير بالرمز هو من الألوان البلاغية الكنائية المستحسنة لأنها
تخلع على الأسلوب جمالا فضلا عن أنها تهبه عمقا فتبعده عن الضحالة والسطحية
والابتذال . ولكن مما يخشى منه في استخدام الأسلوب الرمزي - وهو ما يقع
فيه الكثيرون - أن يصبح مبهما غير مفهوم .

يقول د . « مندور(١) » واصفا المذهب مبينا الدواعي اليه : « في المذهب
الرمزي لا تصح اللغة وسيلة لنقل المعاني المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد
وانما تصح وسيلة للإيحاء وتوليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارئ فقد
قالوا ان الأدب لا يسعى الى قتل المعاني والصور المحددة وانما الى نشر العدوى
ونقل حالات نفسية من الكاتب أو القارئ أو على الأصح الإيحاء بها وبالتالي
لا يسم الأدب أو الشعر الرمزي الا الى أن ينقل وقع الأشياء الخارجية أو
الداخلية من نفس الى نفس ولذلك يقول الرمزيون ان معطيات الحواس متداخلة
متبادلة ولخص « بودلير » هذه الفكرة في بيت شعري يقول فيه « الألوان
والروائح والأصوات تتجاوب » كوصف أحد الرمزيين للون السماء وهي مغطاة
بسحب بيضاء مقبولة « وكان لون السماء في نعومة اللؤلؤ » فهو وان لم يحدد
اللون بلغظه والألفاظ التي تمبر عنه الا أنه مع ذلك ولد في نفوسنا احساسا بهذا
اللون ونقل اليها وقعه في نفسه بعبارة « نعومة اللؤلؤ التي استمدتها من عالم
اللمس » .

ومن ذلك وصف « على الجارم » الثبرة وهي صوت - بالسواد وهو لون في
قوله :

(١) انظر : د . محمد مندور في « الادب ومذاهبه » ص ١٠٩ / ١٢٣ .

أسوان تعرفه اذا اختلط الدجى بالنبرة السوداء في أناته

وهذا الوصف أقدر على نقل الوقع النفسى مما لو وصف النبرة بانفظة من ألفاظ الصوت كخافتة أو غيرها .

والرمزية قد تسعى الى نقل حالة نفسية خاصة والايحاء بها الى القارىء في غموض وإبهام بحيث لا نستطيع أن نحلل عقليا تفاصيل المعانى التى يعبر عنها مثل هذا القصيد وان كنا نحس بالحالة النفسية التى صدر عنها والرمزية عندئذ لا تستخدم الشعر للتعبير عن معان واضحة أو مشاعر محددة بل تكتفى بالايحاء النفسى والتصوير العام عن طريق الرمز متمردة على الكلاسيكية التى تؤمن بالعقل ووضوحه .

فليس اللجوء الى الرمزية بسبب الرغبة فى الغموض والابهام أو العجز عن الافصاح وبخاصة عند المهويين لا المقلدين وانما مرده الى ايمانهم بعجز العقل الواعى عن ادراك الحقائق النفسية التى لا يستطيع أن يردها الى عواملها الأولية لانه حتى لو وفق فى التحليل فلن يستطيع أن يعطينا فكرة واضحة عن الحاجات النفسية المركبة لان كل تركيب تتولد فيه خصائص لا تتوفر فى عناصره المكونة منه وانما تأتية من عملية التركيب ذاتها وكأنهم بذلك يعلنون افلاس العقل البشرى من القدرة على الفهم عن طريق التحليل ولذلك يكتفون بأن يرمزوا للحالة النفسية التى يريدون العبارة عنها بعدة رموز لنستطيع أن نتبين معالم من الحالة النفسية الغامضة المركبة الفارقة فى ضباب البشرية والتى كثيرا ما تجاوزت فى أبعادها منطقة العقل الواعى لتضرب بجذورها فى عالم اللاوعى أو اللاشعور ولذلك يرجح النقاد أن الرمزية كان الجذ الأعلى للسريالية التى تقوم على اللاوعى والاطلاق ما به من مكبوتات وقوى خفية تعمل عملها فى حياة الانسان .

وهناك للتعبير عن الحالة النفسية الخاصة التعبير غير المباشر عن طريق الخيال الذى يتصور أحداثا يضمنها الشاعر مكنون نفسه الواعية وغير الواعية وهناك الايحاء بالجو العام للقصيدة وهناك أيضا العناصر اللغوية والموسيقى والتكرار الملح لألفاظ بعينها تكرارا يوحى بسعادة الشاعر والحاح المعانى التى يعبر عنها فى

نفسه . (وكل هذه الوسائل نجدها في قصيدة « البعث » لزعيم الرمزية في فرنسا « استيفان مالارمييه ») .

ويقول « جورج صيدح » رافضا الغموض مفرقا بين الرمز واللغز(١) « الشعر الحديث » يعتمد الرموز في الأداء ويباهى بها وما أجمل الرمز أداة للتفاهم والايحاء، انه روح اللغة الناطق بما يعجز عنه لسانها ولكن الرمز غير اللغز ، فاللغز لا يفهم ولا يوحى أما الرمز فانك تفهم من ايساءاته أضعاف ما تفهم من كلمته ، شرط أن يقف المومئ حيث تراه في النور لا في الظلام ، وهل يتستر في الظلام غير الآثم الجبان أو العاجز عن مجازاة الأقران « ثم يضيف « الغموض أدهى آفات الشعر الحديث ، يفسد على الشاعر غايته سواء أكان الهدف الي وصف حالة نفسية أو الي أداء رسالة انسانية ، همه في الحالتين أن ينقل أحاسيسه وخواطره الي أكبر عدد ممكن من البشر لا أن يمتحن بأحاجيه ذكاء نفر قليل منهم ، ولا سبيل الي النقل والتعبير عن طريق الشعر الا بسهولة التعبير النفسى بوضوح المعنى المبتكر . ومن أعياء الابتكار وخذله الفن في موضوع ما قد نجد له عذرا . أما من فاته الافصاح عما يريد فلا عذر له عند الشعراء ولا تشفع له نظرية « الايحاء عن طريق الابهام » لأن الاغراق في الابهام يسد منافذ الجو ويخلق أمام القارئ فراغا لا يستحث الفكر ولا يوقظ الشعور بينما الايحاء يكمن وراء الغيم الشفاف والاغراء ينبعث من الظل الهفاهف في الشعر الرمزي الموفق » .

ثم يتحدث عن مستقبل الشعر « سوف يتقهقر الشعر الرمزي خطوة ويتقدم الكلاسيكي خطوة فيلتقيان على صعيد عامر بالمعنى الجليل والمبنى الجميل ، سوف يعود الشعر الي التجلي بروح جديدة في اطار الفن العريق نابضا بالعاطفة الصادقة » . والكلمة الأخيرة فيها فصل الخطاب فالاعتدال الذي يجمع بين السهولة أو الوضوح الكلاسيكي والصعوبة أو الغموض الرمزي هو ماله البقاء وفيه الرجاء .

٣ - شـيـوع الحـزن :

ومن أهم وأبرز ظواهر الاتجاه الذاتي عندنا ظاهرة الحزن الشائعة في شعرنا الجديد وارتفاع صوت الشاعر بالبكاء والألم « فصلاح عبد الصبور » مثلا وهو

(١) انظر مجلة الاداب يناير سنة ١٩٥٥ .

يعتبر من الرواد ويمثل المدرسة الجديدة في الشعر يقول عنه « غالى شكرى » ان النعمة الرئيسية في شعر « صلاح عبد الصبور » هي الحزن : .. جميع قصائد « الناس في بلادى » (وهو أول ديوان للشاعر) يمكنك أن تعطيتها نعتا بسيطا بغير جهد ، فهذا هو الحزن العاطفي وذلك هو الحزن الاجتماعي .. وهكذا(١) ..

ويقول عنه « بدر الديب » : « لكل شاعر معطيات مباشرة تصله من واقعه نتيجة لموقفه منه وقد يبلورها أو يظل يكررها في ديوانه كله وتتركز هذه المعطيات من ديوان « الناس في بلادى » في القصائد التالية : « حياتى وعود ، الحزن ، رحلة في الليل » وفي أجزاء من قصائد أخرى مثل : أغنية حب ، وأناشيد غرام ، وغير ذلك - ثم يقول : « وأولى هذه المعطيات هو الحزن :

يا صاحبي انتى حزين »

الحزن لديه معطى بمجرد وجوده لا نستطيع أن نحلل أسبابه وعناصره أو نعرف طريق التخلص منه انه « يولد في المساء لأنه حزين ضرير » .

فاذا نظر الى حياته كلها وآراد أن يستخلص لأمانتها وما تحققه معنى واحدا يصاحبه دائما فانما هو :

وأدركت أن حياتى وعود وأدركت أن وعودى هواء

ان حياته وعود فلن يفرح أبدا بالتحقيق في أى مجال سواء في الفن أو الحب أو المجتمع فاذا ما أصبحت الوعود لون الحياة فلا بد أن يراها :

« رحلة الضياع في بحر الحداد »

والضياع يفضى بالضرورة الى تصوير المصير على أنه :

« هوة تردع الظنون »

ان الحزن في المجموعة الأولى هو الطابع العام واللون الاتصالي الذى يجمع بين الحياة وعود وأنها ضيقة له وأن المصير وهو الموعد هوة .

ونجد في المجموعة التالية أن الحزن كذلك :

قد سمل العيون

(١) شعرنا الحديث الى أين ص ٢٢٩ .

الحنن قد عقد الحياه

ليقيم حكاما طغاه

ويعنى بالحكام الطغاة هنا هذا الضغط الاجتماعى الذى يحسه والذى يجعله معزولا منفردا وانك لتستطيع تتبع أصداء هذا المعنى فى الكثير من القصائد الأخرى مثل معانى القيد فى « الملك لك » و « أناشيد غرام » و « لحن ومعانى الآخرة فى الملك لك » و « الناس فى بلادى » وكل معانى القهر فى « هجم التار » . ومعانى الحرمان المنتشرة فى الديوان وكل أولئك الحكام يعكسون فى غربة الشاعر وتفرده حين يحس أنه فى المدينة غريب وأن الظلام محنة له (١) .

ويعيب د . « لويس عوض (٢) » مع من يعميون على « صلاح عبد الصبور » جنوحه الى التشاؤم بحيث يقلب جرائيم الموت على عناصر الحياة فى كثير مما يكتب ذاكرة أنه ممن يحبون للشاعر أن يصور لنا انتصار الحياة ولكن ليس الانتصار الرخيص القائم على الشعارات ثم يقول : وأنا لا أريد « لصلاح عبد الصبور » أن يجدد تجربة أبى العتاهية فى الشعر العربى حيث لا حديث الا عن الموت وعن جذب الحياة وذلك أن من يقف عند رؤية هذا الوجه الواحد يقف عند النظرة الجزئية مهما تصور فى نظراته الاحاطة والشمول .

ان النبات ينبت حتى فى أصلد الصخور وانه ما دام الاحياء موجودين فليؤمنوا بالحياة حتى لو كانت حلما أو أسطورة . فهذا هو المبرر الوحيد للمدول عن الانتحار .

ومع ذلك يجب أن نقف باحترام أمام آلام الناس الذين يسرون على الأشواك وما أكثرهم وهذا ما قصده بتسكى بالتقاؤل الصعب لا الرخيص .

والدكتورة « بنت الشاطىء (٣) » تعلق على رأى « بدر الديب » فى « عبد الصبور » وتخالفه فى وسم شعره بسمة الحزن .

(١) شعرنا الحديث الى أين ص ٢٢٩ .

(٢) فى حديث له عن تجربته النقدية والادبية : الرسالة الجديدة مارس ١٩٥٤ ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) مجلة الأدب يونيو سنة ٥٧ .

« والحق غير ما تقول بل الحق أن الاتجاه الذاتي الحزين ليس اتجاه
« عبد الصبور » وحده وإنما هو الطابع العام الذي يطبع شعر الجيل الجديد من
الشعراء الشبان » .

وهذا « كمال عمار^(١) » يقول في القصيدة الأولى من ديوان أنهار الملح وهي
بعنوان الحصاد مخاطباً طائر الأحران الذي يعيش في داخله :

يا طائر الأحران كيف عثمت في دمي ولم أرك ؟

كيف استطعت أن تجوب غوري الدفين ؟

وكل ما بداخلي شرك !

وذلك النواح كله لمن ؟

ان كان لي أنا نسيت لوعة الغناء

ويقول في قصيدة « سأم سيدة عاشقة » والأسى واضح في كلمات
السيدة اليه :

قرأتك أحببت فيك الاسى

وأحسست أنك مثلى تدور

وتبحث عن مستحيل أكاد أعانقه

في السطور^(٢)

وفي قصيدة « أنهار الملح » تتغير في نظره صورة صاحبه فتصبح الألفاظ
سما والبلبل الثريد تمثالا أصم ثم يسأل عن السبب في ذلك :

يا الهسى

من سقى الالفاظ سما ؟

وأحال البلبل الثريد تمثالا أصما ؟

(١) أنهار الملح ص ٥ وما بعدها .

(٢) أنهار الملح ص ٨ وما بعدها .

الريساء ؟
أم عيون الاصدقاء ؟
أم تراه حظنا يضحك منا
قد بنينا في الهواء ؟ ! (١)

ويقول في قصيدة الحزن : « ان دموعه نهر بلا مصب » لأنه يحيا بلا أشواق
وطريقه مسدود بحائط الدخان .

« وكل من يحاول العبور يخنق » (٢)

وفي قصيدة « ما حدث ؟ » يسأل عن أحلام حبه ما سبب ضياعها

فمن ذا زوج الاحلام للنجل ؟

وأرضعها تراب الارض لم يسأل ؟

وكانت تشرب الاضواء من عيني ولا أبخل

حلمت ويا أسى الاحلام اذ تجهض

ويخفقها ضباب خريف

من المسئول ؟

أنا أم أنت أم أيامنا الجلي

بكل مخيف ؟ ! (٣)

وفي قصيدة « أعواد الثقاب المبتلة » يملأ الحزن نفسه واليأس قلبه لأنه
لو باح كل شيء بما عنده فإنه لا يستطيع هو أن يبوح إذ :

ما قيمة الحوار والتي أحبها بلا آذان

ولما نصحوه ألا يتكلم وأن يكتفى بالاشارة :

ولتسعف اليدان ان كبابك اللسان

يجيب : يا همى الكبير ، فالتى أحبها بلا عيون .

(١) « أنهار الملح » ص ١٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠ وما بعدها .

و « كمال عمار » يمتاز بأسلوبه الجميل وصوره الجديدة الرائعة ولغته الرمزية وتجاربه الواقعية الحزينة التي تدل على فقد الأمن والراحة والحب والصدقة والخير ولكن ينقصه الوضوح في بعض هذه التجارب كقصائد : « أسئلة وتاريخ » و « يا أيها الذين يملون » و « في المنتصف » وفي كثير من صوره وتعبيراته وهو في ديوانه « أنهار الملح » يكتب بالشكل الجديد المعتمد على التفعيلة الواحدة والقافية المتنوعة وقد جاءت قصيدة « سام سيده عاشقة » بالشكل القديم ولكنه قطع أجزاء البيت فيها ليظهر في صورة الشكل الجديد .

ولو أخذنا لشعرائنا الثيان مثلا « كمال عمار » كشاعر يكتب معظم شعره بالشكل الجديد فاننا نجده يصدر ديوانين يشير عنوان كل منهما الى معنى الحزن والرفض واليأس في نفسه فأحدهما بعنوان « أنهار الملح » والثاني بعنوان « صياد الوهم » ولو تصفحنا عناوين قصائد الديوان الأول لانتبهنا لأول نظرة من مجموع تلك العناوين الى شيوع معنى الحزن في نفسه ، فبالإضافة الى القصيدة التي عنوانها « القبط والحزن » و « شيلان الحزن البيضاء » و « الليل في الصحراء » و « عذابات الليل » و « كلمات قبل النهاية » و « قصتنا المحاصرة » و « الكلمات الأخيرة » و « الباب الضيق » و « أعواد الثقاب المبتلة » و « حين فقدنا الايقاع » .

ولو أخذنا مثلا آخر « محمد أحمد المزب » كشاعر شاب يكتب شعره بالشكل العروضي القديم لوجدنا أن رنة الأسى والحزن تسمع عالية في أكثر شعره فهو يهدى ديوانه الذي صدر عام ١٩٦٥ بعنوان « أبعاد غائمة » الى والدته الراحلة التي قضت في رحلة المعاناة من أجله ، وأكثر قصائد الديوان تنبئ عن غايتها فضلا عن مضامينها بأنها تجارب واقعية حزينة مر بها الشاعر أو عاشها بوجدانه وخياله فمن بين عشرين قصيدة هي كل قصائد الديوان تقرأ هذه العناوين « رحلة صياد » و « صبي الكواء » و « بائعة اليانصيب » و « مذكرات نسال سرق شاعرا » و « خواطر عانس » و « مشردون » و « غريب على الطريق » و « بلا صدى » و « قتلوه » و « ذكريات لاجيء » و « أم شهيد » و « العائشة على الجليد » و « مات يوما » .

ولندع البحث في الحزن في القصائد التي توحى عناوينها به لنبحث عنه في قصائده التي لا توحى عناوينها بشيء من ذلك وهي سبع قصائد فنجد أول قصيدة في الديوان بعنوان « أغنية لعينها (١) » يخاطب فيها محبوبته كاشفا لها عن حبه ولكنه بدلا من أن ينصرف الي وصف محبوبته ينصرف في معظم القصيدة الي وصف حالة نفسه السيئة ومن ذلك قوله :

أتسألين من أنا ؟ سفينة مضيعة
على مرافئ الرياح والجراح مقلعة
ملاحها الجريح شاعر هواك لوعة
فان سألت من أنا أنا رماد موقعه

والبيت الأخير لا يدل على الحزن واليأس فحسب بل على الهلاك والقناء .

وفي قصيدة أخرى بعنوان « الخادمة وفتاتها الجديد (٢) » يصف شعور الخادمة حينما ليست فتاتنا جديدا لم تلبس من قبل مثله في جماله وانسجامة مع « صدرها الجوعان .. وخصرها النزق كالطفل النشوان » فهي لذلك تتحسس فيه « حرمان الحرمان » .

ثم يجعل الفتاة تنزل في فتاتها :

فتاتني . . يا أجمل لون . . غنى لمساتي اليقظان

وحلمت بمن يهواك على بمن يسترحم احضاني

ولكنه لا يدع الفتاة تفرح طويلا بالفتتان وبما يوحى اليها به من الاعجاب والاستحسان لأن أحدا لم يبد حقيقة اعجابه أو استحسانه بها وفتاتها فيندم قلبها وترتمش أبعاد مكانها وزمانها ، وتمود الي سيدتها باكية مولولة .

لأقول لها يا سيدتي ما أقبح لون الفتان !

وتسال سيدتها عن السر في عدم الالتفات اليها .

قولي هل مات الضوء ؟ وهل بهت ألوان الألوان

(١) ديوان « حيا » فائقة ص ١٧ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٤٤ وما بعدها .

وتفهمته سيدتها .. فتنبها الى الحقيقة المرة التي يتصورها لها الشاعر وهي
أنها خادمة ذليلة لا يرفع من شأنها أن تلبس فستانا جديدا .

وأصبح عرفت .. عرفت حقيقة جرحي .. فورة غثيانى
فستانى حلو .. لكنى .. أنا فيه بقايا انسان

وفي قصيدته « اليها(١) » التي أهداها الى الفتاة « التي تتعلق بذراع
كل شاب يعنى لها أحبك !! » يعنى على فتاته أن تسلم نفسها الى « كاهن
الحب وصانع الكلمات الحلوة » الى الذئب الذى ينتهب الاعراض ويرقص
نشوة فلو كان يجبها حقيقة لسانها .

فالحب صلاة بيضاء الاصداء وليس هوى ليله
وما كان هذا أمل أبويهما فيها ، لكنها « نفضت على أيام أبيها وأمها ليل
الاشواك ، ولهذا يقذفها بحاد الشتائم » :

فاتتفضى .. يا نجما محترق الومض .. على الأفق الباكي
اتتفضى يا عار الآباء .. وهزى بالدمع شرارك

وفي « قصيدة رسالة الى فنان مجهول(٢) » التي يوجهها الى أستاذه
« أحمد الشرباصى » يبدؤها بوصف سوء حاله هو حتى بكت الشموع والرياح
لجراحه ووقف يراعه سهران » .

يا سيدى هذى السطور رسالة من شاعر
بكت الشموع على يديه مع المساء الساهر
حتى الرياح مع الجراح بكت بدمع مرهق
ويراعه سهران لم يشهق بدمع أزرق

وفي قصيدة « غرام فى قرية(٣) » يحكى أسفا على الماضى الجلو الذى
ذهب ، قصة غرامه بحبوبته « ليلى » واحتفاظه لها بذكرات حبه ويدعوها
الى العودة اليه :

(١) ديوان أمجاد غائمة ص ٤٧ وما بعدها .
(٢) د . محمد مندور : الادب ومذاهبه ص ٥٢ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق ص ٧٤ وما بعدها .

عودى فاني ههنا لحن على الناي انتحرا
وصباية غيمانة جبرى على كف القدر
رحتى قصيدة « أغنية للشوار » لا تفارقه التقطية التي تغطى وجه شعره
فتسلوه كتابة فيقول في مطلعها :

الليل دموع ودماء والافق الغارب أنواء
وخريف الجذب يفضن وجه الأرض فتبكي الاهواء
ووراء الكوخ وخلف جدار الليل أنين وبكاء^(١)
يقول « صلاح عبد الصبور » في قصيدة « رسالة الى صديقة^(٢) » يشكو
اليه مرضه وانكسار قلبه وفراغ حياته وخلوها من كل ما هو سار أو مفيد .
فيقول لها « كيف يرجو أن ينسق الكلام » .
وكل ما يمشى فيه أجرد كتيب ؟
فقلبه كسير
وجسسه مغلل الى فراشه الصغير
وبالجراح والآلام قلبه كسير
نهاره ثرثرة العواد والصحاب
وليله غرائب لم يحوها كتاب
و « كمال نشأت » في قصيدته « أنا وسيدتى^(٣) » يحس بالضياح كريشة
في مهب الريح ، تطلب منه سيده أن يعنى « أغنية ضاحكة المعانى »
« عن عاشق سعيد » لأن « الليل في وحشته طويل » .. ولكنه يعتذر
لجزئه واعترايه .
ولم أكن أجيد
سوى دموع غربتى

- (١) الأدب ومذاهبه ص ٩٧ وما بعدها .
(٢) انظر الأدب عدد فبراير سنة ١٩٥٦ ص ١٧ .
(٣) انظر ماذا يقول الريح ؟ ص ٣ وما بعدها .

فقلت يا سيدتى
الحنن فى قوسنا حمامة تنوح
ولست الا شاعرا ، يخونه الغناء
قمعذره

:لدمع قد يفسد من ليلتك الممطره

وواضح أنه يستخدم فى القصيدة أسلوب الحياة اليومية : « وليس عندنا
سواء - هدية تليق بالمقام » ، ويستخدم رمزية اللغة بتداخل الحواس « وضحكها
كالضوء فى جبينها حرير » فقد شبه المسموع « الضحك » والمرئى « الضوء »
بالملموس « الحرير » وهو يجسم المعانى ليوحى بقوتها وشدها « الحزن فى
قوسنا حمامة تنوح » .

ف « كمال نشأت » يمثل شعراءنا الجدد الذين يكتبون بالشكل العروضى
المنطلق أصدق تمثيل وان كان لا يسلم ككثير غيره فى بعض قصائده من ركة
فى الأسلوب أو خطأ فى النحو أو كسر فى الوزن كما فى قصيدة « غريب ص ٣٢ »
وقصيدة « خان ص ١٠٥ » .

وقصيدة « مارس الحزين(١) » ل « كمال نشأت » يوحى عنوانها بمضمونها
الحزين ومقدار الأسى الذى يمانى منه الشاعر فى شهر الاثمار
والزهور والربيع :

يا مارس الحزين
فى كل يوم من حياتنا نموت
هنيهة . . هنيهة
يا ويلنا لمقدم الربيع
ان كان فيه موتنا

وما الجنين فى بطن الأرملة الحزن الشديد القاتل وهو تصوير رمزى
بديع يوحى بالشجوة وخيبة الحزن ، ولهذا فان فى قوله بعد ذلك :

ماذا يقول الربيع ص ١٢/١٠ .

اننا هنا

نعيش ما نعيش

ومرجا ان جئت بالصقيع

ونحن في الربيع

غاية الاستسلام والرضا بكل ما يجيء به القدر لأن الشاعر أصبح فاقد الحول والطول لكثرة الهموم عليه وشدة المصائب النازلة به فكان كما يقول شاعرنا القديم .

وصرت اذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

وهكذا يبدو أن كثيرا من شعرائنا الشبان يطعمون شعرهم بطابع الحزن . وما هكذا على الحقيقة حياة الشعراء ولا هكذا بالطبع حياة جماهير الناس فحياة الشعراء والناس دائما خليط مما يفرح ويحزن ، ومزيج مما يسر ويسئ ، ولم تكن قط ولن تكون أبدا لونا واحدا أسود ، ولا طعما واحدا مرا ، ولا حزنا صافيا خالصا .

ولسنا نرفض هذا اللون من الشعر الذى يعبر عن مآسى الحياة وهموم الذات ولكننا نرفض أن يكون شعر الشاعر كله أو شعر عدد كثير من الشعراء ولا سيما الشبان منهم بهذه الصورة القائمة المعتمة بينما الحياة مليئة بالصور البهيجة المشرقة والشباب ينبغى أن يقبلوا على الحياة بصدور منشرحة ونفوس مطمئنة وأن يعرضوا علينا تجاربهم السارة كما عرضوا تجاربهم الحزينة لأنهم عدة المستقبل وأمل المجتمع فى أن ترفرف عليه السعادة بما يبذلون من عمل متحمس بناء يعينهم على تمام اقبالهم عليه ، انهم فرحون مستبشرون قائمون بماضيتهم راضون عن حاضرهم مؤملون فى مستقبلهم .

والخطورة أن العدوى لا تنتقل فى محيط الشعراء وحدهم فالشعراء مهما يكن عددهم كبيرا قليلون اذا قيسوا بسائر الناس وانما الخطورة أن هذه العدوى تسرى فى القراء المتلقين لهذا الشعر واذا سرت عدوى اليأس الى المثقفين من أفراد الشعب سرت الى الشعب كله فقل العمل ونقص الانتاج وانتقلنا

من حالة اليأس التقليدي المصطنع الى يأس حقيقي ناشىء عن فساد الحال
وضياع الآمال وتخلف المجتمع .

الآمل فى السعادة :

ولأن شاعرنا الجديد يعرف جيدا أسباب حزنه واغترابه ثم يعرف طريقه
للتخلص منها فإنه رغم احساسه العميق بالاغتراب والحزن لا يفقد آمله بالإنسان
يخلصه منه وينضر حياته بالسعادة لأن الإنسان اذا كان قد حقق المعجزات فى
عالمه المادى فلعله يكون قادرا على أن يحققها فى عالم الروحى .

ومن هنا نرى « صلاح عبد الصبور(١) » وهو الذى شكى وبكى وتضاءلت
نفسه ازاء ما يلاقى من محبظات ومثبطات نراه لا يتزعزع ايمانه بالإنسان :

وكان الغربة ميقات لا بد تؤديه

ان نضرب أعواما فى التيه

وليالى مثقلة أوزارا

أو أكسارا

فلتفتح لى الأبواب ، أنا الشادى الإنسان

كذلك لا يفقد الشاعر ايمانه بالزمان وتغيره فهو لا يدوم على حال والليل
يعقبه الصباح ففي نهاية القصيدة الحزينة الأسيفة « رحلة فى الليل »
ل « عبد الصبور(٢) » وهى تحكى قصة مأساوية طويلة يتفتح باب الآمل فى
نفس الشاعر ويتوقع ميلادا لنفسه جديدا حين يطلع الفجر :

فى الفجر يا صديقتى تولد نفسى من جديد

كل صباح احتفى بعيدها السعيد

ويلعب الاطفال فوق أسطح البيوت

لعبة العريس والعروس والتبات والنبات

والورد فى خد البنات

(١) انظر الناس فى بلادى ص ١٢٧ .

(٢) أقول لكم ص ٢٤ .

وعند شط النهر عاشقان سارحان
ما أطلت عيون العاشقين حين يسبحون
وما دامت لا تزال في الحياة بقية فأصل الراحة والرخاء قائم ، يقول
« كامل أيوب » :

املاً كوبك

ما دمنا أحياء لم يوقفنا الموت

فستقبل أيام رخاء^(١)

ويعبّر « كيلاني حسن سند » عن همومه وأفراحه ومواجهه وجراحه فيقول
في قصيدته « يا رياح الخريف^(٢) » .

تتوالى الهموم من كل فج مشرعات على حمر السلاح

وأنا أغزل الكتابة شعرا هو شكوى واجعى وجراحي

ثم يعبر عن صموده في مواجهة الصعوبات وأمله في مستقبل مشرق :

يا رياح الخريف هبى وثورى واصفيعنى فلن تشلى جماحى

اننى السابق المبشر بالفجر فمن يستطيع وأد صباحى

ويؤكد « محمد ابراهيم أبو سنة » أن المستقبل سيتغير لصالح الانسان ،
فيقول في قصيدته « قلبى وغازلة الثوب الأزرق^(٣) » .

والقمر سيكمل دورته لن يبكى أبدا

ما أجمل وجه الانسان يضىء غدا

والإغصان الجرداء كأذرعة الموتى

سوف يغطيها الزهر

وبحيرات قرانا ان جفت

سوف يعانقها البحر

(١) الطوفان والمدينة السمراء ص ١٠٧ .

(٢) انظر ديوان فى العاصفة ص ١١/٩ .

(٣) انظر ديوان « قلبى وغازلة الثوب الأزرق » ص ٦٦/٦١ .

وقد يكشف الشاعر بالصمت عن لواعج نفسه والتعبير بالصمت صورة من صور اعتراض الشاعر على سلبيات في المجتمع خاصة أو عامة فردية أو جماعية ومن ذلك قول « فاروق شوشه » في قصيدته « الصمت » وهو في القصيدة يلوذ بالصمت مطمئنا الى أن المستقبل سوف يحمل معه بشائر الحل .

يا صاحبي . . يا صاحبي الحزين

. . . .

الصمت مهما طال تيهنا .. ملاذنا

لأن كل شيء في زماننا نباح

الصمت مهما طال تيهنا .. ملاذنا

لأننا مفللون بالجراح . .

الصمت يأسنا الكبير . . واتصارنا

لأن شيئا قادما . . كأنه صباح .

ان شاعرنا الجديد مهما أحس بالاعتراب ومهما عبر عن القلق والحيرة والضياع وتمزق النفس ومهما حزن وبكى ومهما بدت مظاهر تلك الحالات النفسية في شعره واضحة .. فانه لا يعدم بصيص النور في ظلام حياته والنسمة الرخية في هجيرها وقطرة المزن في جذبها والأمل البسام في ياسها فلم تعد الحياة كما كانت ظلما وظلاما ولم يعد الناس كما كانوا سادة وخداما .. وانما تغيرت الحياة غير الحياة وتبدل الناس غير الناس ، تحطمت قلاع الظلم وانجابت سحب الظلام وتساوى الناس في ظل المجتمع الاشتراكي وأصبحوا جميعا بفضله سادة أحرارا .. فاذا كانت هناك أزمات نفسية حقيقية تنتاب الشعراء وهم اللطاف حسا الرقاق نفسا فهي أزمات الحياة العامة أو كما تسمى أمراض العصر كله ، وتلك مع ما يجرى في المجتمع من تطور لاسعاد الناس لا تكاد تسمح لليأس أن تتسلل جرثومته الى النفوس ليقتلها حتى تسمح للأمل أن يمررها ويغمرها .

ان الشعر الذاتي يخاطب العواطف الانسانية والطبائع البشرية وهو لذلك مقبول ومستجد من كل الأجناس والألوان ، مطلوب مرغوب فيه في كل وقت

وآن . وهو لذلك اذا قورن بالشعر في وجهاته الكثيرة يعد منها أبقى وأخلد ، لان الاحداث والوقائع والمعاني والأهداف الوطنية والقومية والاجتماعية موقوتة بأوقات محددة ، مرتبطة بأماكن وناس معينين ، فالكثير منها وهو ما يرتبط بالأزمنة والأمكنة والناس أى ما يرتبط بالمناسبة ستنطفئ بهجته وروعته بانتهاء المناسبة وانقضاء الوقت ، والقليل منه وهو عاطفة الشاعر وما يسبغه على الشعر من ذاتية نفسه وشفاقية روحه القليل منه وهو ما يرتبط بالمعاني الانسانية من دعوة الى الحب والسلام ومناداة بالكرامة والحرية .. هذا القليل هو الذى سيبقى ، وطبيعى أن ينصرف القراء عنه الى غيره مما هو خالص كله للخلود لانه عالق كله بالانسان في كل زمان وكل مكان وليس مقصورا على انسان جيسل معين في زمان ومكان معينين .

ومع أن ذلك الشعر الذاتى هو الأبقى والأخلد ما اكتسبت فيه عناصر الفن .. الا أن الشعوب النامية المتحررة فضلا عن أنها تحافظ على استقلالها تحاول أن تحقق بركب الدول المتقدمة والمتحضرة ، وهي لكى تقطع مسافات التخلف الكبيرة بينها وبين تلك الدول وتالحق بها في حاجة الى بذل الجهد أضعافا مضاعفة وتعبئة كل الامكانيات والموارد وحشد كل القوى والقدر ، ولانها تعرف ما للأدب وسائر الفنون من دور معنوى يؤدي بالضرورة الى تغيير مادي ، فانها تطالب الفنان والعالم والأديب أن يلتزموا بأهداف المجتمع ويتبنوا قضايا الشعب ويعبروا عن قيم الحياة الصالحة في مجتمهم الجديد وألا يحدوا عن ذلك - مختارين - قيد أنملة ، فيعيقوا الركب عن المسير وهم في مسير الحاجة الى كل خطوة واحدة الى الامام تقرب المجتمع الى هدفه في القوة والثروة وتبلغ بالشعب أمله في تحقيق الكفاية والعدل .

ومعنى ذلك أن الأهداف الوطنية والقومية والاجتماعية وان كانت بفهوم الفن غير مقدمة الا أنها بفهوم الضرورات قد أعطيت الأولوية ، فما كان لفنان أو أديب أو شاعر أن يترك شعبه في أتون النار يحترق ثم يمضى هو بكلية الى برجه العاجى عاكفا على أشواق ذاته ولذاته ومطامع روحه وطموحه .

ومن هنا كان شعرنا واقعيا يصور الحياة الخارجية للمجتمع والحياة ولكنه كان الى جانب ذلك ذاتيا يصور حالات النفس في سعادتها وشقتها ، في أملها وآسها ، في حنينها وأبتها في رضاها وسخطها في هدوتها وثورتها في حبها وكراهيتها .. وتلك هى حياة الناس دائما : واقع مادي يعيشونه ولا يمكنهم الا أن ينعسوا وينغمروا فيه لانه وسيلة حياتهم ورزقهم ، وواقع نفسى يحسونه ويشعرون به انعكاسا لعلاقتهم بالواقع المادى في تألفهم أو تنافرهم معه . والأدب أو الشعر في ظروف الناس الطبيعية مصور للواقعين المادى والنفسى ، فاذا ما تغيرت تلك الظروف تغير معها الأدب أو الشعر فمال الى تصوير هذا الجانب أو ذلك بحسب تلك الظروف المتغيرة .

خاتمة باهم نتائج البحث

في مجال البحث الأدبي - ومجال البحث الأدبي فسيح - تدور مناقشات كثيرة حول موضوعات شتى . وقد يشتد الخلاف ويحتد ، ويطول الصراع ويمتد ، الى حد لا يستبين فيه للحق وجه ولا يطلع فيه للبل صبح . وقد تكون طبيعة الموضوع نفسها هي السبب في الخلاف الذي لا ينحسم ، وقد تكون طبيعة المختلفين المتصارعين هي السبب .

والخلاف في موضوع بحثنا آت من الناحيتين ، من طبيعة الموضوع وطبيعة المتنازعين فيه . فغايات الأدب بالطبيعة متباينة ، والمتصدرون للنظر فيها والحكم عليها قد تعوزهم الحجة لتغليب جانب على آخر ، أو قد تقف حججهم في ميدان الصراع فرسى رهان ، فتبقى الحرب سجالا والقضية معلقة وتنجلى المعركة عن انتصار وانكسار على كلا الجانبين بنفس المقدار .

ولعلنا بالاستقصاء الطويل للسئلة لدى الأطراف المتنازعة في موضوع بحثنا الأدبي ، استقصاء يجمع الأدلة الكافية على ترجيح كفة على كفة ، ولعل الظروف الجديدة الطارئة للمجتمعين المحلي والدولي .. قد أعانتنا على أن ندلى بالقول الفصل في الموضوع ونصدر الحكم الحاسم في القضية . ولعل هذا يكون هو الكشف الجديد الذي وصلنا اليه ، وهو أن غايات الأدب في مجتمعنا الاشتراكي قد تتحدد في أن يصبح الأدب من حيث مضمونه اجتماعيا انسانيا في المقام الأول ، فرديا ذاتيا في المقام الثاني وأن يكون من حيث شكله وبنائه فنيا تكتمل فيه أدوات الفن ومقوماته الصحيحة متحررا من كل القيود التي تعوق انطلاقته في التعبير عن مضمونه الثوري التقدمي .

وفي الباب الأول الذي يبحث نظريا عن مجتمعنا الاشتراكي وغايات الأدب فيه قدمت بتمهيد عن ضرورة الأدب أوضحت فيه ان الادب ضرورة من ضرورات الحياة لا غنى عنه في عصر تقدم العلم كما كان لا غنى عنه في سائر العصور السابقة

لان الانسان جسم وروح ، عقل ووجدان واذا كان لا غنى للجسم والعقل عن الحاجات المادية فانه لا غنى للروح والوجدان عن الحاجات المعنوية ومن بينها الأدب .

وأثبت في الفصل الأول وهو عن مجتمعنا الاشتراكي : أصوله وأهدافه ، أن مجتمعنا الاشتراكي الجديد هو مجتمع العلم والانسانية ، مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع عدم استغلال الانسان لاخته الانسان وهو مجتمع الاسلام في تطبيقه العملي في عصوره الأولى وما دعا اليه فيما دعا لصلاح أحوال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية ، وأثبت أن اشتراكييتنا العربية وان التقت مع غيرها من التجارب الأخرى في الأصول العامة للاشتراكية الا أنها تنفرد عنها في أنها انسانية تحتل الصراعات بالطرق السلمية ، وتعنى بالفرد الى جانب عنايتها بالصناعة ، كما تعنى بالروح الى جانب عنايتها بالمادة ، وكما تعنى وتفيد من الثقافات الأجنبية الى جانب عنايتها وأخذها من التراث العربي القديم .

وظهر في الفصل الثاني وهو غايات الأدب في النقد الأجنبي ونقدنا العربي القديم أن البحث في غايات الأدب قديم قدم الأدب ، فقد نظر فيها واختلف عليها فلاسفة الاغريق وأدباؤهم واستمر النظر والخلاف حتى عصر النهضة الحديثة حين قامت المذاهب الأدبية المتعددة الاتجاهات كردود أفعال لظروف تلك المجتمعات والمتغيرات فيها وكان لا بد ونحن نعرض لغايات الأدب في النقد الأجنبي ومذاهبه الأدبية ، أن نعرض لغاية الادب في نقدنا العربي القديم ، وقد أثبتنا في ذلك أن نقدنا القديم كان جماليا يعنى بالصناعة والصبغة والتجويد في اصابة الغرض ، ولا يعنى بمضمون الشعر وعلاقته بقضايا الشعب وأخلاقيات المجتمع .

وبدا في الفصل الثالث وهو الاتجاهات في غايات الأدب في مجتمعنا المعاصر أن مجتمعنا المعاصر قد احتسوى على ثلاثة اتجاهات ، تقليدي راده البارودي ، واعتد فيه تقليد الشعر العربي في عصوره الزاهية الزاهرة في أسلوبه وقالبه وموضوعاته . ووجداني وقد ثار على الاتجاه التقليدي داعيا الى أن يكون الشعر معبرا عن نفسية الشاعر فالشعر شعور وعاطفة ووجدان . وثالث الاتجاهات وهو ما فصلت فيه الحديث بعد ذلك في الفصل الرابع وهو الاتجاه الواقعي .

وقد فصلت الخلاف على غايات الأدب في مجتمعا المعاصر عارضا آراء الذاتيين من نقادنا وأدبائنا والواقعيين قبيل قيام الثورة وبعدها وما دار بين بعضهم من حوار وقد نبين لى من عرض تلك الآراء ان حجة الواقعيين أقوى وأشد وصوتهم أندى وأرفع ، وأمكن لى أن استخلص من مجموع آراء الواقعيين رأيا يجمع أحسن ما فى تلك الآراء ويتفق مع ظروف مجتمعا الجديد من حيث مضمون الأدب وشكله . وفى الفصل الرابع وهو عن الواقعية وواقعيئنا الاشتراكية أثبت أن الواقعية تختلف من بيئة الى أخرى والواقعية الفردية واقعية انتقادية متشائمة والواقعية الاشتراكية واقعية بناءة متفائلة وواقعيئنا الاشتراكية تجمع بين النقد والبناء ، كما تصحح بين الشكل والمضمون فى وحدة مقدسة ، والمضمون الذى تدعو إليه نحو المضمون انشورى التقدمى على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة .

وفى الفصل الخامس عرضت لقضايا هامة ما كان ينبغى ونحن نعرض لغايات الأدب فى مجتمعا الاشتراكى أن نهمل البحث فيها لأنها جزء من تلك الغايات التى تنتظم الثورة على كل من الشكل والمضمون اللذين سادا فى أدب ما قبل الثورة ، واحدى تلك القضايا هى الالتزام فى الأدب ، وقد أوضحت أن الالتزام المطلوب من الأديب هو الالتزام الحر القائم على الافتتاح بحق الشعب فى تجسيد الأدب لخدمته ، وتكريسه لحل مشكلاته وتبنى قضاياها العادلة .

ومن تلك القضايا ، قضية الأدب والأخلاق ، وقد عرضتها مفصلة وانتهت فيها الى أن الأدب هو لخدمة المجتمع والحياة ولا بد أن يكون أخلاقيا يثير ولا يثير ويهدى ولا يضل . وثالث القضايا وآخرها التى عرضتها هى قضية موسيئى الشعر . وقد تبين أن كلا الشكلين العمودى والحر لازم بحسب الموضوع الخارجى للشعور والاحساس الداخلى للشاعر وما يتطلبه من موسيئى خاصة . ولكن الشكل الحر - مع صعوبته - أقدر على التعبير عن المعانى والمضامين الجديدة والتجارب النفسية المركبة المعقدة ، ولذلك فهو الذى يسود الآن .

وأما الباب الثانى وهو الشعر فى مجتمعا الاشتراكى فهو الجانب التطبيقى فى الرسالة . وقد خصصت الشعر فيه بالتطبيق لأن الشعر جنس من أجناس الأدب

يحاطب الجماهير فيؤثر فيها تأثيرا شديدا وظروف بلادنا الآن تجعلنا في ميسس الحاجة اليه لانه يمكن في هذه الظروف أن يقوم بدور كبير وخطير .

وقد قدمت بين يدي فصول هذا الباب الخمسة بتمهيد عن الشعر في مرحلة التمهيد للثورة بان فيه أن الشعر في هذه المرحلة كان قد عرف طريقه الى حق الشعب والقضية الوطنية التحريرية ، فأعلن على حكاه المستبدين ومحتليه الفاصيين وسالبي أرضه من الاقطاعيين .. أعلن عليهم جميعا الثورة ، معرضا نفسه بذلك لشتى أنواع الضغط . غير أنه لم يسلم في بعض الأحيان من ضمف وانحدار وذلة وانكسار وهرب من الواقع وفرار ، فظهر في بعض قائله نفاق ورياء ووضح في شعر بعضهم خوف واستجداء ، وكانت تلك نقيضة ذلك الشعر وعيب أولئك الشعراء .

وفي الفصل الأول وهو الاتجاه الوطني اتضح أن شعرنا الجديد قد خاض حياتنا الوطنية الصاعدة في وثبتها الكبرى بالثورة فسجل الأحداث وصور الاحساس وعبر عن فرحة الشعب بالانجازات الثورية بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر . حتى اذا وقعت النكسة بكى الشعر وشكا ، ولكنه سرعان ما تماسك فدعا إلى الثبات والصمود ، واسترداد ما سرقه العدو من تراب الأرض وتعويض ما فقدناه من خسارة السلاح والأرواح . فاذا مات قائد الثورة ، محقق الاستقلال ومحطم الاستغلال حامى الحرية وباني الاشتراكية ومحقق الوحدة العربية ومحرر الشعوب في آسيا وافريقية ، وداعية السلام في العالم ، أنكر الشعر — كما أنكر الشعب — أن يهدم ذلك الطود ويسقط في الميدان ذلك البطل ، حتى اذا انجلى الموقف الرهيب الكثيب وهدأت تائرة الشعر ، أعلن الشعر أن كنانة الله في أرضه لا يرتبط مصيرها بفرد مهما عظم ولا بقائد وان جلى ، واذا كان عبد الناصر قد مات فالشعب من خلفه باق ، والوطن من بعده خالد ، ولا بد للشعب أن ينتصر وللحياة أن تزدهر فقد أرسى عبد الناصر المبادئ ووضع القواعد ورسم الطريق .

وفي الفصل الثاني وهو الاتجاه القومي ، ثبت أن شعرنا وقد آمن بالقومية العربية طريقا الى القوة والوحدة والرخاء ... أدى دوره في الدعوة اليها بشتى الطرق وفي شتى المناسبات ، ونعى على الانفصاليين الشعوبيين . وفي نكبة فلسطين ، طال حديث الشعر وكثر ، واتخذ أشكالا عديدة من سرد وقص وحوار ورسائل

وأناشيد... لتجسيم المأساة واثارة حسية الشعب العربي وحكامه لاسترداد الأرض المقاسة التي اغتصبتها عصابة الصهاينة ومن ورائهم وأمامهم الاستعمار العالمي ، فأجاد الشعر في ذلك وأفاد ، وكان واضحا أن الشعر في مأساة فلسطين أشد انفعالا وأقوى احساسا ينفذ الى القلب بتأثيره لانه ساعد من القلب .

وفي الفصل الثالث وهو الاتجاه الاجتماعي أثبت بالنصوص العديدة أن شعرنا لم تكن غايته حرية الشعب السياسية فحسب بل وحرية الاجتماعية أيضا بتحريره من الفقر والجهل ، فعرض لمشكلة العلاقة الاستغلالية التي سادت مجتمعنا قبل الثورة وهي علاقة الاقطاعيين الأغنياء بالفلاحين الفقراء ، وكشف عن بعض العيوب والعادات الاجتماعية التي لا تزال قائمة في مجتمعنا راسية في عقولنا من عهود سابقة متخلفة .

وفي الفصل الرابع وهو الاتجاه الانساني ، أوضحت أن شعرنا الجديد لم ينطو على نفسه وعالمه المحلي المحدود ، وانما انطلق الى حيث الناس ومشاكلهم في كل مكان من العالم ، فهاجم الاستعمار كله ، وتدب بالتفرقة العنصرية حيث كانت ، ودعا الى السلام والحرية للناس جميعا ، وأشاد بالعلم النافع ووقف من علم الفضاء المتقدم موقف المتردد الحذر بل موقف المستنكر العائب العائب لانه كان يود لو فكر الانسان في حل مشاكل الانسان على الأرض قبل أن يفكر في الصعود الى الكواكب الأخرى مع ما تكلفه هذه الرحلات من اتفاق غير محدود .

وفي الفصل الخامس والأخير وهو الاتجاه الذاتي ، بدا أن شعرنا الواقعي الجديد لم تكن واقعيته جامدة تحصره في الواقع الخارجي ، وتقتصره على الوجدان الجماعي وتلزمه بمسائل الساعة ومشاكل السياسة وحاجات العيش وانما هي تتركه كذلك الى واقعه النفسي ووجدانه الذاتي والى شؤنه وشجونه وهمومه وظنونته ان شاء ، يجتر ذكرياته ، ويصف أشواقه وأفراحه وآماله وآلامه من كل ما ينطبع على نفسه من بيئته ومجتمعه وعالمه ، رأوا ما يصوره خياله من عوالم موهومة ، فكأن كثير من شعر شبابنا الجدد يعبر عما يحس به كثير من شباب عصرنا الحاضر من تمزق نفسي واحساس بالضياع والاعتراب ، غير أن مجتمعنا الاشتراكي الصاعد الذي أعطى للشعب سلطة الحكم وولاه مقاليد الأمور في البلاد فضمن للشعب

حقه وأمنه على مستقبله وفتح الطريق واسعا أمامه للنماء والرخاء .. هذا المجتمع الاشتراكي يزرع الأمل في القلوب ، فينطلق أفراد الشعب الى طريق النضال والكفاح ، أملين أن يكون النصر قريبا وأن تكون حياة الرخاء وشيكة . ولهذا فمع رنة العزف في شعرنا الذاتى الجديد نسمع نغمة الأمل ومع طابع الأسى نرى طابع الرجاء والاستبشار بالمستقبل .

وهكذا يتكشف لنا البحث في جانبيه النظرى والعلمى عن لقاء حميم بين حياتنا الجديدة وأبعادها المترامية ، واستشرافها الى مستقبل أفضل ، وبين نقدنا الأدبى فيما حدده من غايات وشعرنا الجديد فيما عالجه من مسائل ومشاكل ومن شئون وشجون .

ومع أن الشعر - كما عرضناه - لم يضعف في عصر العلم الذى نعيشه بل هو قوى فنى يؤدى رسالته في الحياة أحسن ما يكون الأداء ، غير أننا نرجو منه مع ذلك مزيدا من النماء والثراء ، ونوصى شعراء الشكل العمودى أن يقتربوا في شكل شعرهم من أسلوب حياتنا الجديدة في بساطتها وسهولتها ومنطقها أكثر مما يميلوا الى الرصانة والخطابية والمبالغات السقيمة ونوصى شعراء الشكل الحر أن يقتربوا في مضمون شعرهم من وجدان الشعب ويخففوا من طغيان هموم الذات على شعرهم الجديد .

ونوصى ولادة الأمر - وهم مسئولون عن نهضة الشعر وتوجيهه الوجهة الصحيحة أن يعملوا على ربط الشعراء عن رغبة منهم بالتنظيم السياسى . فالانتماء الى التنظيم الثورى ينقل الشعراء من التجربة الفردية الى التجربة الجماعية ويتيح لهم معرفة واسعة بالواقع المادى والنفسى للمجتمع ويؤيد ايمانهم بحقوق الشعب في الحرية والكرامة الانسانية ويمنحهم صلابة وقوة في نضالهم ضد القوى المضادة لتيار الحياة الصاعد ويدفعهم الى الالتزام الذى لا يتردد في الأدب والسلوك ، ونوصيهم أن يوفروا للشعراء الفرص لمعايشة العامل في الحقل والمتجر والمصنع والمدرسة وفي المشروعات القومية معايشة كاملة طويلة وأن يفتحوا للقراء الشعراء مع الجماهير بابا واسعا كذلك الذى كان من قبل في أسواق الأدب ومنتدياته

ومحافظه وما أسهل اللقاء الآن وأوسع بوسائل الاعلام من صحافة واذاعة مسموعة
ومرئية .

كنا نطالب ولاية الأمر بالتشجيع على حفظ الشعر ونظمه ، لا يقتصر ذلك على
الجوائز الحولية الضيقة وانما يمتد الى جوائز دورية وغير دورية على مدار
السنة ، فى المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وفى الصحافة والاذاعة ، وفى شتى
دور العلم الاقليمية والمركزية ، المتوسطة والعالية ، وبالإضافة الى نشر الانتاج
الشعرى ونقده والتبصير بقيمته فى شكله ومحتواه وفى مبناه ومغزاه .

وأما رجال التعليم العالى والمتوسط الذين يصرون الناشئة بجمال لغتهم
العربية ويهدون اليهم طرائف الأدب العربى فى نثره وشعره ، فلا يفوتنى أن أوصيهم
بأن يعرضوا على هؤلاء الشباب نماذج من شعرنا الحر الجديد ، فشعرنا الحر قد
أصبح حقيقة واقعة ، بل واقعا مسيطرا ، ونحن لا نعدم فيه روائع تستحسن
وتستجدد للدراسة بل ان روائعه كثيرة متنوعة ، ولسوف يجده شدة الشعر العربى
يفسر أسواق الأدب وصفحات المجلات التى تفسح للشعر مجالا فى هذه الأيام ،
فأولى من يعدونهم للحياة أن يبصروهم بكل ما فى هذه الحياة ليسيروا فيها بعد
على صراط مستقيم .

والله ولى التوفيق ،،،

مراجع البحث

- (أ) دراسات في نقد الأدب والشعر .
- (ب) مجموعات شعرية .
- (ج) مقدمات دواوين شعرية
- (د) مجلات وصحف دورية .

* * *

(أ) دراسات في نقد الأدب والشعر :

- ١ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (ج ٢) .
د . محمد محمد حسين - مكتبة الآداب بالقاهرة - الطبعة الأولى ٥٦ .
- ٢ - أدباء معاصرون .
رجاء النقاش - دار الهلال - ١٩٧١ .
- ٣ - أدب الثورة .
د . محمد غلاب - جريدة المصري - ١٩٥٣ .
- ٤ - الأدب الثوري عبر التاريخ .
محمد مفيد الشوباشي - دار الهلال - ١٩٦٧ .
- ٥ - الأدب الشيوعي .
ماهر نسيم - دار المعارف بمصر - ١٩٥٩ .
- ٦ - الأدب في خدمة المجتمع .
معروف مصطفى زريق - منشورات مكتبة النور بدير الزور . الطبعة الأولى ٥٨ .
- ٧ - الأدب للشعب .
سلامة موسى - الانجلو بالقاهرة .
- ٨ - الأدب الهادف .
محمود تيمور - مكتبة الآداب بالقاهرة - الطبعة الأولى ٥٤ .
- ٩ - الأدب والحياة في المجتمع المصري المعاصر .
د . ماهر حسن فهمي - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - ١٩٦٤ .
- ١٠ - أدب وعروبة وحرية .
رجاء النقاش - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٢ .

- ١١ - **الأدب والفن في ضوء الواقعية** .
جون فريفييل : ترجمة محمد مفيد الشوباشي - دار الفكر العربي .
- ١٢ - **الأدب وفتونه** .
د . عز الدين اسماعيل - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى ٥٨ .
- ١٣ - **الأدب وقيم الحياة المعاصرة** .
د . محمد زكي العشماوي - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٦ .
- ١٤ - **الأدب والمجتمع** .
محمد كمال الدين على يوسف - الدار القومية للطباعة - ١٩٦٧ .
- ١٥ - **الاديب العربي ومشكلات العصر الحديث - أبحاث مؤتمر الادباء العرب السابع**
مجموعة كتاب - وزارة الثقافة والاعلام ببغداد ١٩٦٩ .
- ١٦ - **الأسس الجمالية في النقد العربي** .
د . عز الدين اسماعيل - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى ٥٥ .
- ١٧ - **الأسس الفنية للنقد الادبي** .
د . عبد الحميد يونس - دار المعرفة بالقاهرة - الطبعة الأولى ٥٨ .
- ١٨ - **الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة** .
د . مصطفى سويف - دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الأولى ٥٤ .
- ١٩ - **الاسلام دين الاشتراكية** .
مجموعة كتاب - الدار القومية
- ٢٠ - **الاسلام والاستبداد السياسي** .
محمد الفزالي - دار الكتب الحديثة بمصر - الطبعة الثانية - ١٩٦١ .
- ٢١ - **الاسلام والمناهج الاشتراكية** .
محمد الفزالي - دار الكتب الحديثة بمصر - الطبعة الرابعة ٦٠ .
- ٢٢ - **الاسلام والأوضاع الاقتصادية** .
محمد الفزالي - دار الكتب الحديثة - الطبعة الخامسة ٦١ .
- ٢٣ - **الاسلامية والمذاهب الادبية** .
د . نجيب الكيلاني - مكتبة النور - ليبيا - الطبعة الأولى ٩٣ .
- ٢٤ - **اشتراكية الاسلام** .
د . مصطفى السباعي - دار ومطابع الشعب - ١٩٦٢ .
- ٢٥ - **اشتراكييتنا بين الاشتراكيات العالمية** .
د . عبد القادر حاتم - الدار القومية .

- ٢٦ - الاشتراكية والفن .
 أرنست فيشر ، ترجمة أسعد حليم - دار الهلال - ١٩٦٦ .
- ٢٧ - أضواء على الثورة الثقافية .
 فؤاد عبد الحليم - دار الثقافة الجديدة بالقاهرة .
- ٢٨ - افلاطون .
 عبد الرحمن بدوي - النهضة المصرية - ١٩٤٣ .
- ٢٩ - بحوث ودراسات في العروبة وآدابها .
 محمد خلف الله أحمد - معهد الدراسات العربية - ١٩٧٠ .
- ٣٠ - البرنامج الثقافي للتنقيف .
 امانة الثقافة والفكر الاشتراكي - الاتحاد الاشتراكي العربي - ١٩٦٩ .
- ٣١ - البلاغة العصرية واللفظ العربية .
 سلامة موسى - سلامة موسى للنشر - الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .
- ٣٢ - التجربة الاشتراكية في ج.م.ع .
 كمال الدين رفعت - الاتحاد الاشتراكي .
- ٣٣ - تطور الشعر العربي الحديث في مصر ١٩٠٠ - ١٩٥٠ .
 د . ماهر حسن فهمي - مكتبة نهضة مصر - ١٩٥٨ .
- ٣٤ - تطور النقد والتفكير الادبي الحديث في مصر في الربع الاول من القرن العشرين
 د . حلمي علي مرزوق - دار المعارف - الطبعة الاولى ١٩٦٦ .
- ٣٥ - مقدمة الاسلام وعالمنا المتطور .
 عبد المعنى سعيد - دار الكاتب العربي - الطبعة الثانية .
- ٣٦ - التكافل الاجتماعي في الاسلام .
 محمد أبو زهرة - الدار القومية - ١٩٦٤ .
- ٣٧ - التوجيه الادبي .
 د . طه حسين وآخرون - وزارة المعارف العمومية - ١٩٤٣ .
- ٣٨ - تيارات أدبية بين الشرق والغرب .
 ابراهيم سلامة - الانجلو المصرية - ١٩٥٢ .
- ٣٩ - التيارات المعاصرة في النقد الادبي .
 د . بدوي طيانه - الانجلو المصرية - الطبعة الاولى ١٩٦٣ .

- ٤٠ - تيارات ومذاهب فنية وأدبية جديدة .
عبد المنعم الحفنى - الدار المصرية للنشر - ١٩٦٠ .
- ٤١ - الثقافة والثورة .
محمود أمين العالم - دار الآداب - الطبعة الأولى ١٩٧٠ .
- ٤٢ - ثورة ١٩٥٢ وأثرها في الفكر والأدب .
على بدور - الدار القومية - ١٩٦٠ .
- ٤٣ - الثورة والأدب .
د . لويدس عوض - دار الكاتب المصرى للنشر - ١٩٦٧ .
- ٤٤ - حياة قلم .
عباس محمود العقاد - مكتبة غريب بالقاهرة
- ٤٥ - جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث .
عبد العزيز الدسوقي - معهد الدراسات العربية - الطبعة الأولى ١٩٦٠ .
- ٤٦ - الجنس والأدب .
محمود عبد الرحيم عنبر - مطبعة المعرفة - ١٩٧٠ .
- ٤٧ - الجنس والحياة .
محمد عبد الرحيم عنبر - دار الجامعيين للنشر - ١٩٦٧ .
- ٤٨ - الجنس والواقعية في القصة .
فتحي الأيبارى - الدار القومية للنشر .
- ٤٩ - حركة البعث في الشعر العربى الحديث .
د . ماهر حسن فهمى - النهضة المصرية - الطبعة الأولى ١٩٦١ .
- ٥٠ - الحركة الماقلة .
محمد عطا - مكتبة سليم الحديثة - ١٩٥٢ .
- ٥١ - الحنين والغربة في الشعر العربى الحديث .
د . ماهر حسن فهمى - معهد الدراسات العربية - ١٩٧٠ .
- ٥٢ - الحياة والشاعر .
ستيفن سيندر ، ترجمة د . مصطفى رجب - الانجلو بالقاهرة - الطبعة الأولى
- ٥٣ - خصام ونقد .
د . طه حسين - دار العلم للملايين - ١٩٥٥ .
- ٥٤ - خطوات في النقد .
يحيى حقى - مكتبة دار العروبة .

- ٥٥ - دراسات في أدبنا الحديث .
د . لويس عوض - دار المعرفة - الطبعة الأولى ١٩٦١ .
- ٥٦ - دراسات في الشعر العربي المعاصر .
د . شوقي ضيف - مكتبة الخانجي - ١٩٥٣ .
- ٥٧ - دراسات في الشعر والمسرح .
د . مصطفى بدوي - دار المعرفة - الطبعة الأولى ١٩٦٠ .
- ٥٨ - دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية .
عباس محمود العقاد - مكتبة غريب .
- ٥٠ - دعوة الميثاق الوطني من دعوة الاسلام .
حسنى عبد الحميد - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - ١٩٦٥ .
- ٦٠ - دور الشرطة في مجال العمل السياسى .
مجموعة كتاب - دار التعاون للنشر - ١٩٦٧ .
- ٦١ - رسالة الحياة .
د . ابراهيم ناجى - مكتبة العالم العربى .
- ٦٢ - الرومانتيكية .
د . محمد غنيمى هلال - مكتبة نهضة مصر .
- ٦٣ - ساعات بين الكتب .
عباس محمود العقاد - دار الكاتب العربى ببيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٩ .
- ٦٤ - سلاح الشعر .
احمد الشرباصى - الدار القومية للنشر .
- ٦٥ - الشخصية المصرية في الشعر الحديث .
د . محمد جمال الدين الرمادى - الدار القومية للنشر - ١٩٦٢ .
- ٦٦ - شعرنا الحديث الى اين ؟
غالى شكرى - دار المعارف - ١٩٦٨ .
- ٦٧ - الشعر وقصيته في الأدب العربى الحديث .
ابراهيم العريض - منشورات صوت البحرين - ١٩٥٥ .
- ٦٨ - شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى .
عباس محمود العقاد - النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- ٦٩ - شعراء معاصرون .
مصطفى السحرى - دار الكرنك بالقاهرة - ١٩٦٢ .

- ٧٠ - الشعر بين الجهود والتطور .
العوضى الوكيل - دار القلم بالقاهرة - ١٩٦٤ .
- ٧١ - شعر الثورة في الميزان (ج ١ ، ٢) .
د . أحمد بدوى - مكتبة نهضة مصر - ١٩٥٠ .
- ٧٢ - الشعر ديوان أخضر .
نزار قباني - منشورات المكتب التجارى بيروت - الطبعة الثانية ١٩٦٤
- ٧٣ - الشعر العربى بين الجهود والتطور .
محمد عبد العزيز الكفراوى - مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى ١٩٥٧
- ٧٤ - الشعر العربى القومى فى مصر والشام بين الحربين العالميتين الأولى والثانية .
سميرة محمد زكى أبو غزالة - الدار القومية - ١٩٦٦ .
- ٧٥ - الشعر فى إطار العصر الثورى .
د . عز الدين اسماعيل - الدار المصرية للنشر - ١٩٦٦ .
- ٧٦ - الشعر المصرى بعد شوقى (ج ٢) .
د . محمد مندور - معهد الدراسات العربية - الطبعة الأولى ١٩٥٨ .
- ٧٧ - الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث .
مصطفى السحرى - مطبعة المتكطف والمقطم - ١٩٤٨ .
- ٧٨ - الشعر والتجديد .
د . محمد عبد المنعم خفاجى - رابطة الادب الحديث .
- ٧٩ - شعر اليوم .
مصطفى السحرى - رابطة الادب الحديث - ١٩٥٧ .
- ٨٠ - الصعلكة والفتوة فى الاسلام .
د . احمد أمين - دار المعارف - ١٩٥٤ .
- ٨١ - ظلال مضيئة : فلسفة الادب والفن ومشكلات المجتمع والحياة .
محمود تيمور - النهضة المصرية - الطبعة الأولى - ١٩٦٤ .
- ٨٢ - الميقرية والفن .
د . مصطفى سوييف - دار القلم - ١٩٦٠ .
- ٨٣ - الملم والشعر .
١ . اريشاردز ، ترجمة مصطفى بدوى - الانجلو المصرية - الطبعة الأولى .
- ٨٤ - فلسفة الجمال .
د . أميرة بقطر - المؤسسة العربية للنشر - ١٩٦٢ .

- ٨٥ - فلسفة وفن •
د . زكى نجيب محمود - الانجلو المصرية - ١٩٦٣ .
- ٨٦ - فن الأدب •
توفيق الحكيم - مكتبة الآداب .
- ٨٧ - فن الشعر •
د . محمد مندور - المكتبة الثقافية .
- ٨٨ - الفن والجماهير •
عبد المنعم شمس - دار القومية .
- ٨٠ - الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة •
أنيس المقدسى - دار الكاتب العربى - بيروت - ١٩٦٣ .
- ٩٠ - فى الأدب والنقد •
د . محمد مندور - لجنة التأليف والنشر - الطبعة الثانية ١٩٥٧ .
- ٩١ - فى الثقافة المصرية •
محمود العالم وعبد العظيم أنيس - دار الفكر الجديد - الطبعة الأولى ٥٥ .
- ٩٢ - فى الميزان الجديد •
د . محمد مندور - لجنة التأليف والنشر - الطبعة الأولى ١٩٤٤ .
- ٩٣ - فى نقد الشعر •
د . محمود الربيعى - دار المعارف بمصر - ١٩٦٨ .
- ٩٤ - قضايا جديدة فى أدبنا الحديث •
د . محمد مندور - دار الآداب - الطبعة الأولى ١٩٥٨ .
- ٩٥ - قضية الشعر الجديد •
د . محمد النوبهى - معهد الدراسات العربية - الطبعة الأولى ١٩٦٤ .
- ٩٦ - قضايا الشعر المعاصر •
د . أحمد زكى أبو شادى - الشركة العربية للنشر - الطبعة الأولى ١٩٥٩ .
- ٩٧ - قضايا الشعر المعاصر •
نازك الملائكة - دار الآداب بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٢ .
- ٩٨ - قضية الفلاح فى القصة المصرية •
حسن محاسب - الهيئة المصرية للنشر - ١٩٧١ .
- ٩٩ - القومية العربية فى الأدب الحديث •
د . محمد زغلول سلام - دار المعارف - ١٩٥٩ .

- ١٠٠- القومية العربية والشعر المعاصر .
د . ماهر حسن فهمى - مؤسسة المطبوعات الحديثة - ١٩٧١ .
- ١٠١- قيم ومعايير .
العوضى الوكيل - المؤسسة المصرية للنشر - ١٩٦٥ .
- ١٠٢- كتب في الميزان .
عباس خضر - المؤسسة المصرية للنشر - ١٩٦٤ .
- ١٠٣- مؤتمر الأدباء العرب الدورة الثالثة .
مجموعة كتاب - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - ١٩٥٧ .
- ١٠٤- محاضرات في الأدب ومذاهبه .
د . محمد مندور - معهد الدراسات العربية - ١٩٥٥ .
- ١٠٥- محاضرات منظمة الشباب الاشتراكي (ثلاثة أجزاء) .
مجموعة كتاب القومية - ١٩٦٩ .
- ١٠٦- مذاهب النقد الأدبي .
د . سهيل القلماوي وآخرون - الإذاعة المصرية .
- ١٠٧- المذاهب النقدية .
د . ماهر حسن فهمى - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٢ .
- ١٠٨- مشكلات الأدب والفن .
محمود عزت موسى - دار الثقافة العربية للنشر - الطبعة الأولى ١٩٥٨ .
- ١٠٩- المارك الأدبية .
أنور الجندي .
- ١١٠- معالم الطريق في التطبيق الاشتراكي .
مصطفى المستكاوي - الدار القومية - ١٩٦٢ .
- ١١١- مع الشعراء المعاصرين في مصر .
عبد الحى دياب - الدار القومية - ١٩٦٦ .
- ١١٢- مع طه حسين (ج ٢) .
سامى الكيالى - دار المعارف - ١٩٦٨ .
- ١١٣- مع العقائد .
د . شوقي ضيف - دار المعارف - ١٩٦٤ .

- ١١٤- مقالات في النقد الأدبي •
د . رشاد رشدي - الانجلو المصرية - ١٩٦٢ •
- ١١٥- الملحة في الشعر العربي -
د . سعد الدين الجيزاوي - دار الكاتب العربي للنشر - ١٩٦٧ •
- ١١٦- من أدبنا المعاصر •
د . طه حسين - الشركة العربية للنشر - الطبعة الاولى ١٩٥٨ •
- ١١٧- من فنون الأدب العربي •
د . مصطفى الشكعة - الانجلو المصرية - ١٩٥٧ •
- ١١٨- من النقد والأدب (ج ٣) •
د . أحمد! حمد بدوي - مكتبة نهضة مصر •
- ١١٩- الموسوعة العربية الميسرة •
اشرف محمد شفيق غربال - دار القلم - ١٩٦٥ •
- ١٢٠- الميثاق الوطني •
اقره المؤتمر القومي العام سنة ١٩٦٢ - الاتحاد الاشتراكي العربي - ١٩٦٢ •
- ١٢١- النظرات (ج ٢) •
مصطفى لطفى المنفلوطي - المكتبة التجارية الكبرى - ١٩٥٢ •
- ١٢٢- نظرات في أدبنا المعاصر •
د . زكي المحاسني - دار القلم - ١٩٦٢ •
- ١٢٣- نظرية الفن التجدد وتطبيقها على الشعر •
عز الدين الأمين - مكتبة وهبة - الطبعة الاولى ١٩٦٤ •
- ١٢٤- النقد الأدبي (جزآن) •
أحمد أمين - لجنة التأليف والنشر - ١٩٥٢ •
- ١٢٥- النقد الجمالي وأثره في الأدب العربي •
روز غريب - العلم للملايين - بيروت - ١٩٥٢ •
- ١٢٦- نقد الشعر في الأدب العربي •
نسيب عازار - دار المكشوف - بيروت - ١٩٣٩ •
- ١٢٧- النقد والنقاد المعاصرون •
د . محمد مندور - مكتبة نهضة مصر •

- ١٢٨- **وحى العصر** .
ابراهيم المصرى - مكتبة الهلال .
- ١٢٨- **الوطن في الأدب العربى** .
ابراهيم الايبارى - دار القلم - ١٩٦٢ .
- ١٣٠- **وظيفة الأدب بين الالتزام الفنى والانفصام الجمالى** .
د . محمد النويهي - معهد الدراسات العربية - ١٩٦٧ .
- (ب) **مجموعات شاعرية :**
- ١٣١- **أبعاد غائمة** .
محمد أحمد العزب - المجلس الأعلى للفنون - ١٩٦٥ .
- ١٣٢- **الأجنحة البيضاء** .
جليلة رضا - دار مصر للطباعة - الطبعة الأولى ١٩٥٩ .
- ١٣٣- **أحلام الربيع** .
محمد محمود زيتون - دار الهلال - ١٩٦٩ .
- ١٣٤- **أحلام الفارس القديم** .
صلاح عبد الصبور - دار الآداب - الطبعة الأولى ١٩٦٤ .
- ١٣٥- **أشعار الى الله** .
العوضى الوكيل - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - ١٩٧٢ .
- ١٣٦- **أشعار قومية** .
عيد العليم القباني - الدار القومية .
- ١٣٧- **أغاني انسان** .
سعد دعيبس - مطبعة الرسالة .
- ١٣٨- **أغنية الكفاح** .
جمعه : مصطفى عبد الرحمن - من سلسلة من الشرق والغرب .
- ١٣٩- **أقول لكم** .
صلاح عبد الصبور - دار الآداب - الطبعة الأولى ١٩٦٤ .
- ١٤٠- **الحنان مصرية** .
صالح جودت - دار الكاتب العربى .
- ١٤١- **الله أكبر** .
عبد الله شمس الدين - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

- ١٤٢- **أناشيد صغيرة** .
د . احمد كمال زكى - دار المصرية للنشر .
- ١٤٣- **أنشودة الطريق** .
كمال نشأت - دار ممفيس .
- ١٤٤- **انغام حائلة** .
روحية القاينى - لجنة الترجمة والنشر - ١٩٦٤ .
- ١٤٥- **انفاس محترقة** .
محمود أبو الوفا - دار الهلال - ١٩٣٣ .
- ١٤٦- **أنهار الملح** .
كمال عمار - دار الكاتب العربى - الطبعة الاولى ١٩٦٨ .
- ١٤٧- **أيام مشناها** .
خليل جرجس خليل - دار أخبار اليوم - ١٩٥٨ .
- ١٤٨- **البكاء بين يدي زرقاء اليمامة** .
امل دنقل - دار الآداب - بيروت .
- ١٤٩- **ترانيم الليل** .
على الجندى - دار المعارف - ١٩٦٤ .
- ١٥٠- **تقويم الشعر السنوى الخامس** .
مجموعة شعراء - مؤسسة سجل العرب - ١٩٦٣ .
- ١٥١- **ثورة الشعر تحت لواء العروبة** .
عامر محمد بحيرى - دار المعرفة - الطبعة الاولى ١٩٦٠ .
- ١٥٢- **ديوان الأسمر** .
محمود الأسمر - دار احياء الكتب العربية .
- ١٥٣- **ديوان الشرنوبى** .
صالح الشرنوبى - مكتبة مصر من سلسلة الالف كتاب عدد ١٩٧ .
- ١٥٤- **ديوان الماحى** .
محمد مصطفى الماحى - دار الفكر العربى - ١٩٥٧ .
- ١٥٥- **ديوان هاشم الرفاعى** .
هاشم الرفاعى - وزارة التربية والتعليم - ١٩٦٠ .
- ١٥٦- **ذكريات شباب** .
د . عبد القادر القط - مكتبة مصر بالفجالة - الطبعة الاولى ١٩٥٨ .

- ١٥٧- رسوم وشخصيات •
العوضى الوكيل - مطبعة الاعتماد - الطبعة الأولى ١٩٦٠ .
- ١٩٥٨- شعبي المنتصر •
عبده بدوى - دار النشر المصرية .
- ١٥٩- الشعر في المعركة •
مجموعة شعراء - وزارة التربية والتعليم - ١٩٥٩ .
- ١٦٠- شسعرى •
محمود أبو الوفا - دار المعارف - ١٩٦٢ .
- ١٦١- شسفق •
العوضى الوكيل - دار الزينى - ١٩٥٩ .
- ١٦٢- صدى زئور ودموع •
حسن كامل الصيرفى - الشركة العربية للنشر - الطبعة الأولى ١٩٦٠ .
- ١٦٢- الطوفان والمدبنة السمراء •
كامل أيوب - الدار القومية - الطبعة الأولى ١٩٦٥ .
- ١٦٤- عبير الأرض •
فوزى المثنيل - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى ١٩٦٥ .
- ١٦٥- في ظلال الثورة •
محمود غنيم - دار المعارف - ١٩٦١ .
- ١٦٦- في العاصفة •
كيلانى حسن سند - عالم الكتب .
- ١٦٧- في هرقص الظلال •
كامل سعفان - دار الهلال - ١٩٦١ .
- ١٦٨- قاب قوسين •
محمود حسن اسماعيل - دار العروبة - الطبعة الأولى ١٩٦١ .
- ١٦٩- قال المساء •
ملك عبد العزيز - الدار القومية .
- ١٧٠- قصائد في القتال •
كيلانى حسن سند - مكتبة الشرق - ١٩٥٧ .
- ١٧١- قلبى وغازلة الثوب الأزرق •
محمد إبراهيم أبو سنة - المكتبة المصرية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٥ .

- ١٧٢ - كلمات على الطريق •
اعداد فاروق شوشة - دار الكتاب العربي •
- ١٧٣ - لا بد •
محمود حسن اسماعيل - الدار القومية - الطبعة الاولى ١٩٦٦ •
- ١٧٤ - اللحن النائر •
جليلة رشا - الشركة العربية للنشر - الطبعة الثانية
- ١٧٥ - لم يبق الا الاعتراف •
احمد عبد المعطى حجازى - دار الادب - الطبعة الاولى
- ١٧٦ - لهب وامواج •
شريفة فتحى - لجنة الترجمة والنشر - ١٩٦٤ •
- ١٧٧ - ماذا يقول الربيع ؟
كمال نشأت - الدار القومية - ١٩٦٥ •
- ١٧٨ - محاكمة أمريكا •
محمد الجيار - دار الكتاب العربي - ١٩٦٧ •
- ١٧٩ - المختار من الشعر الحديث المجموعة الاولى •
مجموعة شعراء - دار مصر للطباعة - الطبعة الاولى ١٩٥٨ •
- ١٨٠ - مدينة بلا قلب •
احمد عبد المعطى حجازى - دار الادب - الطبعة الاولى ١٩٦٥ •
- ١٨١ - مزامير •
محمد هازون الحلو - مكتبة نهضة مصر - الطبعة الاولى ١٩٦١ •
- ١٨٢ - مهرجان الشعر الأول بدمشق •
مجموعة شعراء - المجلس الأعلى لرعاية الفنون - ١٩٥٩ •
- ١٨٣ - مهرجان الشعر الثاني بدمشق •
مجموعة شعراء - المجلس الأعلى لرعاية الفنون - ١٩٦٠ •
- ١٨٤ - مهرجان الشعر الثالث بدمشق •
مجموعة شعراء - المجلس الأعلى لرعاية الفنون - ١٩٦١ •
- ١٨٥ - مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية •
مجموعة شعراء - المجلس الأعلى لرعاية الفنون - ١٩٦٢ •

- ١٨٦- مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية •
مجموعة شعراء - المجلس الأعلى لرعاية الفنون - ١٩٦٣
- ١٨٧- مهرجان الشعر السادس ببغداد •
مجموعة شعراء - المجلس الاعلى لرعاية الفنون - ١٩٦٤ .
- ١٨٨- مهرجان الشعر السابع بفزة •
مجموعة شعراء - المجلس الاعلى لرعاية الفنون ١٩٦٥ .
- ١٨٩- نار وأصفاد •
محمود حسن اسماعيل - الانجاو المصرية - الطبعة الاولى ١٩٥٩ .
- ١٩٠- الناس في بلادى •
صلاح عبد الصبور - دار الآداب - الطبعة الاولى ١٩٥٧ .
- ١٩١- همسة الروح •
روحية القالينى - دار المعرفة - الطبعة الاولى ١٩٦٠ .
- ١٩٢- وطنى وحى •
د . عفيفى محمود - شركة مركز كتب الشرق الاوسط - ١٩٦٠ .
- (ج) مقدمات دواوين شعرية :
- ١٩٣- اغانى الصبا لملك عبد العزيز •
د . محمد مندور وملك عبد العزيز - دار المعارف - ١٩٥٩ .
- ١٩٤- اغانى انسان لسعد دعبيسى •
مصطفى السحرى - مطبعة الرسالة .
- ١٩٥- الله أكبر لعبد الله شمس الدين •
عبد الله شمس الدين - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .
- ١٩٦- أناشيد صغيرة لأحمد كمال زكى •
فاروق خورشيد - الدار المصرية للنشر .
- ١٩٧- ايام عشائها لخليل جرجس خليل •
عزيز اباظة - دار أخبار اليوم - ١٩٥٨ .
- ١٩٨- دموع ونيران لعبد الرحمن الخميسى •
د . لويس عوض وآخرون - دار الفكر العربى - ١٩٦٢ .

- ١٩٩- ديوان الشاعر القروي نرشيد سليم الخورى .
رشيد سليم الحورى .
- ٢٠٠- ديوان الشرنوبى لصالح الشرنوبى .
على أحمد باكثير - دار مصر للطباعة .
- ٢٠١- الطوفان والمدينة السمراء لكامل ايوب .
كامل ايوب - دار القومية - الطبعة الاولى - ١٩٦٥ .
- ٢٠٢- الطين والظافر لمحبي الدين فارس .
محمود أمين العالم - دار النشر المصرية .
- ٢٠٢- عبر الأرض لغوزى العنتيل .
د . محمد مندور - دار الفكر العربى - الطبعة الاولى ١٩٥٦ .
- ٢٠٤- فى ظلال الثورة لمحمود غنيم .
عزيز أبانقة - دار المعارف - الطبعة الاولى ١٩٦١ .
- ٢٠٥- قصائد فى القتال لكبلانى سند .
محمود العالم ومحمد أبو الحسن - مكتبة الشرق - ١٩٥٧ .
- ٢٠٦- مارب يتكلم لعبيده عثمان عبد العزيز المقالح .
عبد العزيز المقالح - الدار الحديثة للنشر بتعز - ١٩٧١ .
- ٢٠٧- محاكمة أمريكا لمحمد الجيار .
عبد الرحمن الخميسى - دار الكاتب العربى - ١٩٦٧ .
- ٢٠٨- مدينة بلا قلب لأحمد عبد المعطى حجازى .
رجاء انتقاش - دار الآداب بالقاهرة - الطبعة الاولى ١٩٦٥ .
- ٢٠٩- الناس فى بلادى لصالح عبد الصبور .
بدر الديب - دار الآداب - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٥٧ .
- ٢١٠- وطنيتى لعلى الفياتى .
محمد فريد وعلى الفياتى - مطبعة عطايا - الطبعة الثانية ١٩٣٨ .

www.dar-alkotob.com دار الكتب

(د) مجلات وصحف دورية :

- ١ - مجلة الآداب - لبنان .
- ٢ - مجلة الأدب - مصر .
- ٣ - مجلة الأزهر - مصر .
- ٤ - مجلة الثقافة - مصر .
- ٥ - مجلة الرسالة - مصر .
- ٦ - مجلة الرسالة الجديدة - مصر .
- ٧ - مجلة روز اليوسف - مصر .
- ٨ - مجلة الشهر - مصر .
- ٩ - مجلة الشهر - مصر .
- ١٠ - مجلة الكاتب - مصر .
- ١١ - مجلة الكاتب المصري - مصر .
- ١٢ - مجلة المجلة - مصر .
- ١٣ - مجلة المسرح - مصر .
- ١٤ - جريدة الأخبار - مصر .
- ١٥ - جريدة الأهرام - مصر .
- ١٦ - جريدة الجمهورية - مصر .

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع	
مقدمة	١
تمهيد : الشعر في مرحلة التمهيد لثورة ١٩٥٢	٣ - ٣٢
الفصل الأول : الاتجاه الوطني	٢٣ - ١.١
الفصل الثاني : الاتجاه القومي	١٢٤ - ١.٢
الفصل الثالث : الاتجاه الاجتماعي	١٧٨ - ١٣٥
الفصل الرابع : الاتجاه الانساني	٢١٥ - ١٧٩
الفصل الخامس : الاتجاه الذاتي	٢٧٤ - ٢١٦
خاتمة بأهم نتائج البحث	٢٨١ - ٢٧٥
مراجع البحث	٢٩٨ - ٢٨٣
فهرس الكتاب	٢٩٩
الفهرس المفصل للكتاب	٣٠١ - ٣٠٠

الفهرس المفصل للكتاب

الشعر في مجتمعنا المعاصر

- تمهيد** : الشعر في مرحلة التمهيد لثورة ١٩٥٢ ... ٣٠ - ٣٢
ثورة الشعر على الاحتلال وأهوانه ص ٣ - ثورة
الشعر في مجال الإصلاح الاجتماعي ص ١٩ -
مواقف الضعف في شعر ما قبل الثورة ص ٢٥
- الفصل الأول** : الاتجاه الوطني ... ٣٣ - ١٠١
تمهيد ص ٣٣ - استقبال الثورة ص ٣٤ - الغاء
الغناء الملكي، وإعلان الجمهورية ص ٤١ - قانون
الإصلاح الزراعي ص ٤٢ - الجلاء والاعتداء على
عبد الناصر ص ٤٥ - قبيل عقد الاتفاقية بالجلاء
ص ٤٦ - بعد توقيع الاتفاقية والاعتداء على
عبد الناصر ص ٤٧ - بعد الجلاء ص ٥١ - في
مناسبات عيد الجلاء ص ٥٣ - أميم قناة السويس
ص ٥٤ - العدوان الثلاثي ص ٥٧ - قبيل معركة
بور سعيد ص ٥٨ - في خلال المعركة ص ٦١ -
بعد الانسحاب ص ٦٥ - السد العالي ص ٦٩ -
التصنيع ص ٧٣ - الانفصال ص ٧٥ - في مناسبات
اعيداد الثورة ص ٧٦ - عدوان يونيو سنة
١٩٦٧ - مقدماته ونتائجه ص ٧٧ - قصة الحرب
والقدر فيها ص ٨٠ - غضب وثورة ص ٨١ -
شكوى الى الله واسترحام ص ٨٣ - استبقاء
عبد الناصر بعد تنحيه ص ٨٧ - التمسك بحب
البلاد ص ٨٨ - التنديد بالاستعمار ص ٨٩ -
اصرار على استرداد فلسطين ص ٩١ - الدعوة
الى وحدة الأمة العربية ص ٩١ - الأمل في
مستقبل انسان الجيل العربي الجديد والأجيال
القادمة ص ٩٢ - رثاء عبد الناصر... ص ٩٤ .

الفصل الثاني : الاتجاه القومي ... ١٠٢ - ١٣٤

- مع السودان ص ١٠٦ - ومع الجزائر ص ١٠٦
ومع العراق ص ١١٠ - ومع اليمن ص ١١٣ -
ومع ليبيا ص ١١٥ - ومع المغرب ص ١١٦ -
ومع الكويت ص ١١٧ - ومع تونس ص ١١٨ -
ومع سوريا ص ١١٩ - ومع فلسطين ص ١٢٥

١٧٨ - ١٣٥	الفصل الثالث : الاتجاه الاجتماعي الدفاع عن قضية الفلاح والشعب الاجتماعية ص ١٣٨ - العطف على آلام الشعب النفسية ص ١٥٦ - - السلم والتعليم ص ١٥٩ - عادات وتقاليد وعيوب اجتماعية ص ١٦١ - الارتباط بالأسرة ص ١٧١ - الأشادة بالمصلحين الاجتماعيين ص ١٧٤ - تحول العسائفة الى حب للوطن والشعب الكادح ص ١٧٦
٢١٥ - ١٧٩	الفصل الرابع : الانبياء الانساني مخاربة الاستعمار ص ١٨١ - مهاجمة امريكا ص ١٨٦ - الدعوة الى السلام ص ١٩١ - الأشادة بأبطال الحرية ص ١٩٧ - الأشادة بالعلم وموقف الشعر من غزو الفضاء ص ٢٠٥
٢٧٤ - ٢١٦	الفصل الخامس : الاتجاه الذاتي اسباب ظاهرة الاغتراب والقلق النفسي في شعرنا المعاصر ص ٢١٧ - مجالات الاغتراب في شعرنا الذاتي - الثورة على الاستعمار والظلم ص ٢٢٢ - الثورة على فساد الذمم واختلال القيم وسوء الاخلاق ص ٢٢٥ - الضيق بحياة المدينة ص ٢٢٨ - الحنين الى الريف والارتقاء في أحضان الطبيعة ص ٢٣٥ - الحنين الى حياة الطفولة ص ٢٣٨ - اللواذ بالحب ص ٢٤٢ - الزهد في الحياة والابتهاج الى الله والتوسل الى الانبياء والاولياء ص ٢٤٤ - مظاهر بارزة في الاتجاه الذاتي - غموض الشعر ص ٢٤٨ - استخدام الرموز ص ٢٥٤ - شذويع الحزن ص ٢٥٩ - الأمل في السعادة ص ٢٧٠
٢٨١ - ٢٧٥	خاتمة باهم نتائج البحث
٢٩٨ - ٢٨٣	مراجع البحث
٣٠١ - ٣٠٠	الفهرس الفصل للكتاب

.. تم بحمد الله ..

